دراسات في تاريخ مملكة غانا

فيما بين القرنين الخامس و السابع الهجريين
(مرحلة انتشار الإسلام)

حمد محمد الجهيمي





دراسات في تاريخ مملكة غانا

إصدارات

مجلس الثقافة العام

دراسات في تاريخ مملكة غانا

فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين

(مرحلة انتشار الإسلام)

إعداد الأستاذ

حمد محمد الجهيمي

الناشر

مجلس الثقافة العام

اســـــم الكـــــتاب: دراسات في تاريخ مملكة غانا (فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين)
اســـــم المؤلـــــف: حمد محمد الجهيمي
ســـــنة النشـــــر: 2008م
رقـــــم الإيـــــداع: 803 / 2008م
الترقـــــيم الدولـــــي: 978 - 9959 - 38 - 762 - 4

تصـــــميم الغـــــلاف: علي العباني
التنفـــــيذ الفـــــني: دار قباء الحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت
هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161
فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار
هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388
ص ب 2764 طرابلس
فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني
هاتف 00218612241577 - 00218612241578
بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي
بريد إلكتروني - LCC2_2005 @Yahoo.ca

الإهـــــداء

إلى روح جدي العزيز المرحوم

الحاج : حمد مصطفى الجيهمي
(1899- 1993ف)

الذي كان معلمي الأول في التاريخ والأخلاق وحب الوطن.

إلى والديَّ اللذين زرعا في نفسي
بـذور الأمـل والطمـوح
وعلمانـي أن الحياة كفاح.

كلمة شكر وتقدير

وأنا أضع اللمسات الأخيرة على صفحات هذا العمل العلمي تبادر إلى ذهني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى إدارة مجلس الثقافة العام وعلى رأسهم

الأستاذ : علـي الفـــلاح

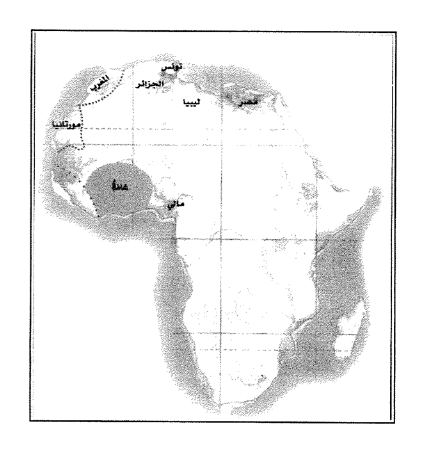
الأستاذ : هليـل البيجـو

الأستاذة : عبير العريبي

على ما بذلوه من اهتمام في نشر هذا الكتاب

الباحث...

فهرس الموضوعات



شكل رقم (1)

المملكة التي تناولتها في دراستي



بسم الله الرحمن الرحيم

تُعتبر مملكة غانا الإسلامية بحكم موقعها الجغرافي واسطة العقد في غرب أفريقيا، ولذلك قدر لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ أفريقيا، فعن طريق غانا انساحت القبائل العربية إلى غرب أفريقيا تحمل معها عقيدتها ولغتها وحضارتها. وكما كانت غانا مدخلاً للعروبة والإسلام، فإن مدنها كانت حلقة وصل بين غرب أفريقيا وشمالها، ولم يقتصر دورها على ذلك، بل تمثل أيضاً في حركة القوافل التجارية بين غانا وجنوبها وشمال أفريقيا، تلك القوافل التي كان يصاحبها العلماء والفقهاء والدعاة، ينقلون معهم علمهم وآرائهم ومعتقداتهم الدينية ونظمهم السياسية.

وعلى الرغم من أن المادة العلمية لتاريخ غانا الإسلامية موزعة في بطون مصادر التاريخ الإسلامي العام، ومصادر تاريخ أفريقيا الإسلامية، فإن الباحث يضنيه التعب في قراءة عشرات المصادر وآلاف الصفحات عساه أن يحصل على خبر أو رواية تتعلق بتاريخ غانا الإسلامية في تلك الفترة.

وفي ضوء هذا الفهم لحقائق تاريخ غانا الإسلامية يستطيع القارئ أن يقدر أهمية هذه الدراسة التي قام بها الأستاذ حمد محمد الجهيمي عن تاريخ غانا الإسلامية فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير في الآداب من قسم التاريخ بجامعة عمر المختار-فرع المسيرة الكبرى- طبرق.

لقد كان على الأخ حمد الجهيمي أن يجمع شتات المادة العلمية الخاصة بغانا الإسلامية الموزعة بين هذه المصادر التاريخية المتعددة وأن ينقيها مما شابها من اضطراب وغموض ليكتب لنا تاريخ غانا الإسلامية في هذه الفترة. ولم يكتف الباحث بدراسة نشأة غانا ، وإنما أضاف إلى هذا الجهد جهد آخر

تــوج بـــه هذه الدراسة ، فقد أفرد فصلاً عن انتشار الإسلام والحياة الثقافية والاجتماعية لمملكة غانا ، وأفرد فصلاً عن الحياة السياسية والإدارية وتوج بحثه بفصل عن الحياة الاقتصادية.

هذا ويسعدني كأستاذ مشرف على هذا البحث أن أقدم للقارئ الأفريقي بخاصة وإلى القارئ العربي بعامة هذا البحث العلمي القيم.

والله ولي التوفيق،،

أ. د. صالح مصطفى مفتاح المزيني

أستاذ التاريخ الحديث والإسلامي

كلية الآداب – جامعة عمر المختار



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين وبعد،،،

احتلـــت العلاقات بين شمال إفريقيا وجنوبها (عبر الصحراء) مكانة بـــارزة في تاريخ إفريقيا الغربية منذ عصور مبكرة، فعبر الصحراء دخلت الكثـــير مـــن المؤثرات التي طبعت تاريخ منطقة غرب إفريقيا بطابع مميز، ربطها بالشمال، وجعلها تتأثر بالأحداث الجارية في شمال إفريقيا.

ومـــن أقدم الممالك التي لعبت دوراً كبيراً في هذه العلاقات مملكة غانا التـــي تعتـــبر بحكـــم موقعها الجغرافي بالغة الأثر في تاريخها، فهي تقع في الجزء الغربي من قارة إفريقيا التي شملت كلاً من موريتانيا، والجزء الشرقي مـــن الســـنغال وبعض المناطق في دولة مالي حيث قامت في الأقاليم الواقعة بيـــن نهـــري السنغال والنيجر حضارات هامة في تاريخ الإسلام والحضارة الإســـلامية فعـــن طريق غانا تقدم العرب لفتح بقية الممالك الإفريقية، وعن طـــريقها انســـاحت القـــبائل العربية في ربوع إفريقيا لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية في بقية أجزاء القارة الإفريقية.

كمـــا لعبت غانا دوراً رئيسياً في الحياة الاقتصادية بغرب إفريقيا، فعن طـــريقها تطورت حركة التجارة بين المغرب العربي وغرب ووسط إفريقيا، حيـــث تأسست ما يعرف بالتجارة عبر الصحراء والتي نقلت الإسلام ومبادئه مفاهيمه وقيمه إلى مختلف أنحاء إفريقيا، حيث أخذ طريقه بالتدريج إلى هذه المـــناطق، والتـــي تحولت في النهاية إلى إمبراطوريات وممالك وأخذت هذه الممـــالك علـــى عاتقها (وبفضل الزعامات السياسية والدينية) نشر الإسلام وترسيخه بين الشعوب الإفريقية المختلفة.

ولقد كرست دراستي حول هذه المنطقة من غرب إفريقيا في الفترة من عـــام 469- 638هـــــ/ 1067- 1240م أي من القرن الخامس حتى القرن الســـابع الهجـــري/ الحـــادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي، باعتبارها قوة سياســـية حظـــى حكامها باحترام كبير وقوة اقتصادية لتعدد مواردها، وقوة علمـــية لتعدد مساجدها ومدارسها ونأمل من خلال هذه الدراسة الإجابة على بعض التساؤلات الآتية :

مـــا هـــي دوافع العلاقات بين مملكة غانا وبلدان شمال إفريقيا؟ ولماذا تعتـــبر غانـــا من أولى الممالك الإسلامية التي دخلها الإسلام قبل غيرها من ممالك السودان الغربي؟ ثم ما هو دور المراكز الثقافية والطرق التجارية في نشر الحضارة الإسلامية؟ وما أهم السلع التي تحملها القوافل بين الاتجاهين؟ وما النتائج التي حققتها هذه القوافل في رحلاتها؟

وفـــي هذه الدراسة سوف نتناول بالشرح والتحليل الإجابة على الأسئلة الســـابقة مســـتخدماً مـــا تمكنـــت الحصـــول علـــيه مـــن مصادر ومراجع منشورة ومخطوطة.

أسباب اختيار الموضوع :

لـــم تكن اهتماماتي بدراسة تاريخ القارة الإفريقية بصفة عامة، وتاريخ مملكة غانا بصفة خاصة منذ أن كنت طالباً بالدراسات العليا، بل على العكس مـــن ذلك، فقد كان اهتمامي بها منذ المرحلة الجامعية عندما كان أستاذ مادة إفريقـــيا الإســـلامية يكلفـــنا بـــإعداد بحوث وأوراق عمل، فنجد في إعدادها صـــعوبة، نظـــراً لقلـــة مـــا كتب عن القارة الإفريقية فلهذا ازداد اهتمامي بالدراســـات الإفريقية، وبرزت لي فكرة دراسة مملكة غانا الإسلامية خلال الفـــترة من 469- 638هــ/ 1067- 1240م باعتبارها المملكة الأولى التي دخلها الإسلام، ومنها تشعب إلى أجزاء القارة.

ومن أسباب اختياري لهذه الدراسة أيضاً، حاجة المكتبة العربية إلى ظهور الكتب والبحوث حول تاريخ غانا الإسلامية، وبالتالي فقد استقرت رغبتي على اختيار هذا الموضوع، محاولاً إلقاء الضوء على بعض جوانبه المختلفة وذلك لأن معظم المؤرخين الذين أرخوا لأفريقيا لم يتعرضوا لتاريخ غانا بالتفصيل خلال فترة الدراسة ، ولعل ذلك يرجع إلى العديد من المصاعب التي تعتري سبيل من يتطرق لمثل هذه المواضيع.

ومن الدوافع التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع إيماني الراسخ بأهمية القارة الإفريقية كمجال للدعوة الإسلامية، ونشر ثقافتها، وأنها أخصب وأصلح بقاع الأرض لنشر هذه العقيدة.

ومن بين الدوافع التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع أيضا، الوقوف على آراء الكتاب المستشرقين وغيرهم الذي تناولوا التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في إفريقيا (جنوب الصحراء) برؤية خاصة، حيث جاءت آراؤهم بعيدة عن الموضوعية، ومن ثم جاءت كتاباتهم في كثير من الأمور بطريقة شوهت الحقائق وموهتها، بحيث تخدم أهدافهم الاستعمارية، والادعاء بأن المسلمين هم السبب المباشر في تأخير الأفارقة عن مواكبة العصر.

أهداف الدراسة :

إن الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو كشف النقاب عن تاريخ مملكة غانا الزاهر بالأمجاد وعن دور المسلمين في نشر الحضارة العربية الإسلامية بها وإبراز العلاقات العربية الإفريقية خلال فترة الدراسة وتوضح الدور العظيم الذي اضطلع به المسلمين في تمكين الشعوب الإفريقية التي اتصلوا بها وخالطوها من أجل التقدم وتسفه مزاعم الكتاب الأوروبيين بالحقائق العلمية الدامغة.

المنهج المتبع في هذه الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على إتباع المناهج العلمية حسب ما تقتضيه الدراسة والتي أبداها بالمنهج السردي فيما يختص بالنواحي الجغرافية، والمنهج التحليل الذي يعتمد على تحليل الوقائع والأحداث، كما سأقوم بعرض وجهة نظري المتواضعة كلما دعت الحاجة إلى إبداء الرأي.

وقد تمت معالجة موضوع الدراسة بتقسيمه إلى أربعة فصول بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة.

فيتناول الفصل الأول نشأة مملكة غانا ونقسمه إلى قسمين : القسم الأول، شمل الموقع والتضاريس والمناخ، بالإضافة إلى المجموعات والقبائل السكانية، وما تلا ذلك من الآثار المترتبة على الهجرات التي لعبت دوراً هاماً في البناء السكاني لمملكة غانا، ومحاولة توضيح حدودها وعاصمتها.

وشمل القسم الثاني : الخلفية التاريخية لهذه المملكة، من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية قبل انتشار الإسلام بها.

وخصص الفصل الثاني لانتشار الإسلام، والحياة الثقافية والاجتماعية لمملكة غانا الإسلامية، ونقسمه هو الآخر إلى فرعين : الفرع الأول يوضح الوسائل التي ساعدت على انتشار الإسلام بالمنطقة من تجار ودعاة ودور المرابطين.

أما الفرع الثاني فقد خصص للحديث عن الحياة الثقافية، ودور التعليم والمراكز الثقافية في ذلك، والاتصالات التي كانت قائمة بين مملكة غانا الإسلامية والشمال الإفريقي، كما تم التعرض إلى الآثار الاجتماعية التي بنيت عن تلك الاتصالات والتي كانت قائمة بين الشعبين.

أما الفصل الثالث فيتحدث عن الحياة السياسية بفرعيها الداخلي والخارجي ويوضح التغيرات السياسية التي حدثت في هذه المملكة، كما يتتبع السفارات والوفود التي كانت قائمة بين الشمال الإفريقي ومملكة غانا.

وعلى الرغم من قلة المصادر الأولية التي عالجت الحياة السياسية وعدم تنوعها حيث أن المعلومات المتعلقة بتاريخ مملكة غانا من الناحية السياسية تعاني من الندرة الشديدة ناهيك عن المعلومات المتعلقة بعلاقاتها مع الشمال الإفريقي فقد حرصنا على الاستفادة من المعلومات المتناثرة في بطون المصادر، والمراجع وربطها بصورة متماسكة.

أما في الفصل الرابع فدرست فيه الحياة الاقتصادية، وقد اهتم هذه الفصل في بدايته ببعض المجالات مثل الزراعة، والثروة الحيوانية والمعدنية، والصناعات المحلية، ومن ثم التجارة الداخلية والخارجية، حيث تطرقت إلى الطرق التجارية التي ربطت مملكة غانا بالشمال الإفريقي، والقواعد والنظم التجارية التي سادت في ذلك الوقت، كما تناولت أهم المراكز التجارية سواء على الطرف الشمالي للصحراء الكبرى، أو الطرف الجنوبي منها، وأنواع السلع التجارية المتداولة بين الشمال الإفريقي ومملكة غانا.

ثم انتهيت إلى خاتمة للدراسة أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة وأهم العوامل التي أدت إلى إضعاف مملكة غانا وقيام مملكة مالي الإسلامية في مطلق القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

التعرف ببعض مصادر الدراسة :

أما فيما يتعلق بمصادر ومراجع الدراسة فقد عملت جهدي بالبحث والتنقيب عن المصادر الأولية، والمراجع الحديثة ذات العلاقة بالموضوع، ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها ما يلي :

1 - ابن واضح اليعقوبي 282هـ/895م كتاب البلدان :

هـو أحمـد بـن يعقوب بن جعفر بن واضح، ولد ببغداد، كان كثير الأسـفار فقـد تجول في أرمينيا وخراسان والهند وفلسطين وسمرقند، تمتع بـرعاية المأمون في بغداد وبرعاية الطولونيين في مصر، وله كتاب البلدان، وهـو كـتاب جغرافـي عظـيم الأهمية، ويعتبر أول كتاب في البلدان عند المسلمين حيث يتضمن وصفاً دقيقاً مسهباً لبغداد في عهده، كما يضم أوصافاً عن بلاد المغرب والأندلس، وقد استفدنا منه فائدة كبيرة في الحياة الاقتصادية بمملكـة غانـا حيـث وردت فيه الكثير من الإشارات عن المراكز التجارية بالمغـرب ومملكـة غانـا، كما بدأت تتضح في كتابه معالم الطريق الغربي عن دولة أنبية الصنهاجية، هذا فضلاً عن كتابه في التاريخ الذي يلقي الضوء على العديد من الممالك جنوبي الصحراء بما في ذلك مملكة غانا.

2 - ابن حوقل 380هـ/ 990م صورة الأرض :

هـو أبو القاسم محمد بن حوقل النصبي، من مدينة نصبين بالجزيرة، وقـد اشتغل بالتجارة، فزار إفريقيا الشمالية والأندلس، ثم توجه بعد ذلك إلى القـارة الإفريقـية مـن الشرق إلى الغرب، وقدم لنا معلومات قيمة عن بلاد الحبشـة وأرض الـزنج والسودان الغربي، وله كتاب صورة الأرض، وقد أفادنا منه إفادة كبيرة في الناحية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لمملكة غانا الإسلامية، فضلاً عن وصفه للمدن والتعريف بها.

3 - أبـو عبـيد الله الـبكري 487هـ/ 1094م المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب :

هـو عبـيد الله بن عبد العزيز محمد البكري، من عائلة عربية كانت تعيش بأسبانيا وبالتحديد في قرطبة، كان مغرماً بالترحال، ترحل إلى إفريقيا عـدة مـرات، وكتب عدداً من المجلدات باسم المسالك والممالك، حيث أمدنا

بمعلومات عن بلاد المغرب والسودان، وسجل لنا أكثر المعلومات تفصيلاً عن مملكة غانا، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما تعرض البكري لطرق التجارة الصحراوي خاصة في الصحراء الغربية بتفصيل دقيق، فتناول المراحل وأماكن توفر الماء، والمخاطر التي تواجه القوافل، وأورد تفاصيل وافية عن دور المراكز التجارية في النشاط التجاري.

4 - والمؤلف الآخر الذي وردت به معلومات متعلقة بالدراسة هو كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار - لمؤلف مجهول من كُتاب القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد أمدنا هذا المؤلف بمعلومات وفيرة عن مراكز الصحراء والسودان الغربي والتجارة بينهما، وهي معلومات تكاد تتفق مع ما ذكره البكري في كتابه.

5 - الدرجيني : السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي طبقات المشائخ بالمغرب :

وهو الشيخ أبو العباس بن سعيد الدرجيني، وله كتاب طبقات المشائخ بالمغرب وقد استفدنا من مؤرخنا هذا استفادة كبيرة خاصة فيما يتعلق بالحياة الثقافية ، وعن الكيفية التي اتبعها التجار والدعاة لنشر الإسلام بمملكة غانا.

6 - الإدريسي 649هـ/ 1251م نزهة المشتاق في اختراق الآفاق :

هو أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي الصقلي، ولد بسبتة، وتعلم في قرطبة وتنقل في أرجاء العالم الإسلامي وإفريقيا عدة مرات، حيث كلفه الملك روجر الثاني ملك صقلية بجمع المعلومات الجغرافية والعلمية عن هذه المناطق، وقد ألف لنا كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وهو يعد تاريخاً شبه متكامل عن المغرب وأرض السودان والأندلس، وقد استفدنا من مصدرنا هذا في الحياة السياسية والاقتصادية لمملكة غانا الإسلامية.

7 - ابــن عــذاري المراكشي : أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي البيان المغرب في أخبار المغرب :

هو أبو عبد الله محمد المراكشي، من أصل أندلسي، عاش في مراكش فــي أواخــر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وله كتاب البيان المغرب في أخبار المغرب والذي يقع في أربعة أجزاء، حيث تحدث فيه عن فــتح العرب لإفريقيا والمغرب ومن تولاهما من الأمراء، وقيام دولة الأغالبة والفاطمييــن والصنهاجيين بإفريقيا والعداء بين الفاطميين والصنهاجيين، كما أشار إلى الأندلس ودخول المسلمين إليها وانتزاعها من يد الكفار.

هذا وقد استفدنا من المادة العلمية الوفيرة التي قدمها لنا مؤرخنا في دراسة الفصل الثاني عن كيفية انتشار الإسلام وما هو دور المرابطين في ذلك.

8 - ابن خلدون 808هـ/ 1405م : العبر وديوان المبتدأ والخبر :

وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ولد بتونس سنة 732 هــ، تلقى العلم والأدب على يد أبيه وعلى يد كبار العلماء من مشيخة تونس وجالــية الأندلــس فــيها، والوافدين على تونس من علماء المغربين الأوسط والأقصـــى، وقــد ارتــبط اسم ابن خلدون بكتاب العبر وهي مقدمة ترددت أصــداء شــهرتها في مختلف بقاع العالم، وقد استفدنا من المادة الوفيرة التي قدمها لنا مؤرخنا هذا في دراسة الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وأهم المراكز التجارية في شمال الصحراء وجنوبها.

9 - الشماخي 928هـ/ 1522م كتاب السير :

وهــو أبــو العباس أحمد بن سعد بن عبد الواحد، الذي عاش في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وله كتاب السير، وهذا المصدر يعتبر مــن المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، حيث يعد من الكتب

شـــبه المتكاملة عن تاريخ الأباضية بالمغرب، وقد أفادنا إفادة مهمة في الناحية الثقافية، خاصة فيما يتعلق بوسائل انتشار الإسلام في السودان الغربي.

10 – محمـــود كعـــت بن الحاج المتوكل التنبكتي : العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس :

من مواطني مدينة تمبكت والتي كانت في ذلك الوقت من مراكز العلم، لـــه كتاب الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، والذي تحدث فيه عن الدول التي قامت في السودان الغربي، حيث أعطى لها وصفاً دقيقاً للحياة السياســـية والاقتصادية بهذه الدول، وقد استفدنا من المادة الوفيرة التي قدمها لنا التنبكتي في دراسة الحياة السياسية لمملكة غانا الإسلامية.

أما فيما يتعلق بالمراجع التي اعتمدت عليها في دراستي هذه فهي متعددة ومتنوعة فمن أبرز المراجع التي أفادتني في مادة هذه الدراسة كتاب :

1 – إبراهـــيم طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية : ويقع هذا الكتاب في 106 صفحات، ويحتوي على مقدمة وأربع فصول وقائمة بالمصادر والمراجع.

وهـــذا الكـــتاب يعـــد إحـــدى الدراسات العلمية حول مملكة غانا، ويتصل بموضوع دراستي من حيث أنه تطرق إلى أغلب فصول دراستي، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية، وبالتالي فهو يعتبر من المراجع الرئيسية لكل من يدرس الممالك الإفريقية في السودان الغربي بصفة عامة، ومملكة غانا بصفة خاصة.

2 – نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ويضم هذا الكتاب 168 صفحة يحـــتوي على مقدمة وثلاث فصول وقائمة بالمصادر والمراجع، وقد تحدث في الفصل الأول عن جغرافية إفريقيا الغربية بشكل عام، وفي الفصل الثاني تطرق إلى التاريخ السياسي لتلك الممالك التي كانت قائمة في إفريقيا الغربية، ومـــن ثم تحدث في الفصل الثالث عن الحضارة الإفريقية في غرب إفريقيا،

وقد استفدنا من هذا الكتاب في الفصل الثالث أثناء الحديث عن الحياة السياسية لمملكة غانا الإسلامية.

3 – عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا : ويقع هذا الكتاب في 342 صفحة ويحتوي على مقدمة وتسعة فصول وقائمة بمصادر ومراجع الدراسة، ويعد هذا الكتاب إحدى الدراسات الأكاديمية حيث أشار في الفصل السابع منه إلى مملكة غانا، وأعطانا عنها صورة واضحة، عن أوضاعها السياسة والاقتصادية والاجتماعية، سواء قبل انتشار الإسلام بها أو بعد انتشاره، وقد استفدت منه في أغلب فصول الدراسة.

هذا إلى جانب العديد من المراجع الأخرى والتي يطول المقام هنا لذكرها، فهي ذات أهمية بالغة في تغطية كثير من النقاط التي تناولتها الدراسة.

4 – وبالإضافة إلى ذلك فقد حفلت الدوريات العربية بأبحاث ومقالات طيبة أثارت كثيراً من غوامض هذه الدراسة، فمن أهم هذه الدوريات مجلة كلية الآداب – جامعة قاريونس، ومجلة البحوث التاريخية التي تصدر عن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ومجلة الثقافة العربية، ومجلة المناهل المغربية، وكذلك مجلة الدراسات الإفريقية والتي تصدر عن المركز الإسلامي والإفريقي بالخرطوم، والمجلة التاريخية المصرية.

والله ولي التوفيق،،،

بنغازي في 2006/12/28 ف

أ. حمد محمد الجهيمي

عضو هيئة تدريس

كلية الآداب والعلوم– جامعة عمر المختار

الفصل الأول

نشأة مملكة غانا

1 – الناحية الجغرافية

أ – الموقع والتضاريس والمناخ.

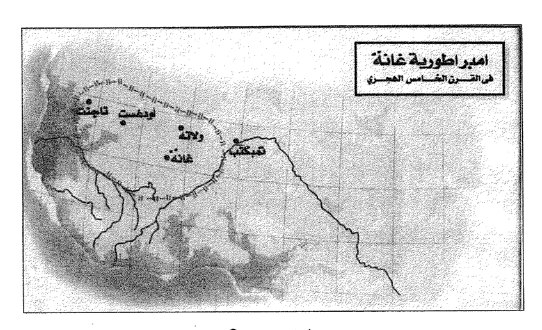
ب – المجموعات والقبائل السكانية.

2 – الخلفية التاريخية لمملكة غانا قبل انتشار الإسلام

أ – الأوضاع السياسية.

ب – الأحوال الاقتصادية.

جـ – الحياة الاجتماعية.



شكل رقم (2)

مملكة غانة الإسلامية في القرن الخامس هـ/ الحادي عشر الميلادي

المصدر : دندش : دور المرابطين، ص109

الفصل الأول : نشأة مملكة غانا (قبل انتشار الإسلام)

1 – الناحية الجغرافية

تاريخ إمبراطورية غانا هو أول حلقات تاريخ غرب أفريقيا، فهي أول إمبراطورية قامت بالسودان الغربي،[1] ولعلها أول تجربة أو أقدم ما عرف من تجارب الحكم الوطني الناجح بتلك البلاد، وقد دل ازدهارها على قدرة الأفريقيين على تدبير شئونهم بأنفسهم، وهذا ما حمل أحد الكتاب الغربيين المنصفين على أن يقرروا بأن حضارة هذه البلاد في العصور الوسطى لم تكن دون حضارة البيض، بل فاقت حضارة بعض البلاد الأوروبية.[2] وقد بلغت هذه الإمبراطورية ذروة مجدها وعظمتها في الفترة من القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ التاسع/ الحادي عشر الميلادي إذ يرجع أول نص عربي صريح عن السودان إلى المؤرخ ابن عبد الحكم، (188- 257 هـ/ 803- 870 م)، عندما أشار إلى السوس جنوبي المغرب والسودان سنة (116 هـ/ 734 م) فقال : وغزا عبيد الله الفهري السوس وأرض السودان"[3] ومن المرجح أن كلمة غانا كانت لقباً يلقب به ملوك هذه الإمبراطورية، ثم اتسع مدلول هذه الكلمة فأصبح اسماً يطلق على

---

(1) أطلق اسم السودان على البلاد الواقعة جنوبي الصحراء وبعد ذلك اقتصرت هذه التسمية على البلاد التي تحدها الصحراء شمالاً ومنطقة الغابات الكثيفة في الجنوب والتي تمتد حتى الأطلنطي وتضم البلاد الواقعة غربي بحيرة تشاد: إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، 1983، ص36.

(2) Clyde Chantler, The Ghana story, London press 1971. p. 73.

(3) عبد الرحمن ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأفريقية، تحقيق محمد صبيح، القاهرة، ص122.

الإمبراطورية كلها.[1]

والملاحظ أن هذه التسمية ليست لها أصول عربية، فالبكري 487 هـ/ 1094م يقول : "وغانا سمة لملوكهم، واسم البلد أوكار"[2] ويقول ياقوت الحموي : 626 هـ/ 1228م : "وغانا كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركاً من العربية، وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة بالسودان"[3] وعن القلقشندي 821 هـ/ 1418 م : "أن بلاد غانا تقع غربي بلاد صوصو وتجاور البحر المحيط الغربي، وقاعدته – أي قاعدة هذا الإقليم– مدينة غانا، وهي محل سلطان بلاد غانا"[4] أما المقريزي 845 هـ/ 1441م فقال : "ومدينة غانا محل سلطان بلاد غانا".[5]

وقد اختلف الباحثون في تحديد ظهور مملكة غانا، فمنهم من يرى أنها ظهرت في القرن الأول الميلادي، وكان ظهورها على يد جماعة من البيض،[6] ومنهم من يرى أنها وجدت منذ القرن الخامس الميلادي، وتبوأت مكانة ذات شأن منذ حوالي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي،[7] ومنهم من يرى أنها تكونت، وتأسست ما بين القرنين الثاني والرابع الميلادي حيث إنه حوالي القرن الثاني الميلادي خرجت جماعة من سكان شمال

---

(1) توفيق أمين الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1984، ص305.

(2) أبو عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، ص174.

(3) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 4، دار صادر، بيروت، 1957، ص184.

(4) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية العامة، ص284.

(5) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: الإلمام بأخبار من بالحبشة من ملوك الإسلام، مصر، ص22.

(6) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ط 4، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1983، ص103.

(7) أحمد الفيتوري: الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة الثالثة، 1981، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص246.

أفريقيا واستقر بهم المقام بين شعوب الماندي الزنجية وخصوصاً بين شعوب السوننك وهؤلاء المغاربة لا يعرف أصلهم على وجه التحقيق، وفي القرن الرابع الميلادي حكم هؤلاء زنوج هذه المنطقة،[1] ولكن من المرجح أن تكوين مملكة غانا قد حدث قبل ظهور الإسلام لفترة تجاوزت القرنين وبعد ظهور الإسلام بفترة بلغت هذه المملكة قوة مجدها وذلك في الفترة ما بين القرنين الثالث إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ التاسع/ الحادي عشر الميلادي[2] فقد أفاض صاحب كتاب تاريخ الفتاش في وصف قوة غانا، وسعة نفوذها وعظمة ملوكها وأورد أخباراً عن الملك كنسعى المعاصر للرسول (صلعم) فيقول : "أن له ألفاً من الخيل مربوطة في داره" وهذا يدل على الثراء بحيث صاروا يلقبون بملوك الذهب.[3]

أ – 1- التسمية والموقع :

تعد إمبراطورية غانا من أقدم الإمبراطوريات الإفريقية التي قامت في السودان الغربي، ويرى بعض الباحثين بأن كلمة غانا كانت في الأصل لقباً يلقب به ملوك هذه الإمبراطورية، ثم اتسع مدلول هذا اللفظ وأصبح علماً على العاصمة وعلى الإمبراطورية.[4]

---

(1) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963، ص97.

(2) عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998، ص233.

(3) محمود كعت التنبكتي: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، هوداس، باريس، 1964، ص42.

(4) مجهول: محاضرات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ص22.

ومعنى كلمة غانا بلغة السوننك تعني القيادة العسكرية، ومن هنا أطلقت هذه الكلمة على المدينة التي كانت بها القيادة.[1]

ولقـد شملت إمبراطورية غانا كلاً من موريتانيا، والجزء الشرقي من السـنغال، وبعـض المـناطق من دولة مالي، حيث تكونت في تلك الأقاليم الواقعـة بيـن نهـر السنغال ونهر النيجر حضارات راقية تمثلت في ظهور مملكة غانا.[2]

وفـي عام 380 هـ/ 990م وصل نفوذها إلى أودغست، وشملت عدة ولايـات وإمـارات[3]، فقـد ذكر المسعودي : "وتحت يد ملك غانا عدة ملوك وممالك".[4]

كمـا أشـار الـبكري فـي كـتابه المغـرب فـي ذكر بلاد أفريقيا والمغـرب : "أن حـدود مملكة غانا الشمالية الغربية كانت تمتد حتى حدود مدينة سلى على نهر السنغال وبينها وبين مدينة غانا مسيرة عشرين يوماً في عمارة السودان القبلية".[5]

---

(1) عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص234.
(2) عطية مخزوم: دراسات، ص233.
(3) الهـادي الدالـي: مملكة مالي وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن 13 إلى القرن 15، ط2، 1999، ص16.
(4) أبـو الحسـن علي بن الحسن المسعودي: أخبار الزمان ومن أبادة الحدثان وعجائب البلدان، مخطوط في مجلد 879، بدار الكتب المصرية، القاهرة، ورقة 39.
(5) البكري: المغرب، ص175.
- Basil Davidson; Old Africa Rediscovered, Longman Group Limited. London 1970, P. 84.

أمـــا حدودهـــا من ناحية الغرب فيبدو أنها كانت تمتد على مسافة خمس عشـــرة مـــرحلة[1] حيث توجد مدينة كوغة، وتوجد أيضاً مدينة تارم بين مدينة غانا وكوغة.[2]

وعن المنطقة الشرقية من المملكة لم تتوفر للبكري معلومات وافية، إذ لـــم يـــأت وصـــفه لهـــا وافـــياً وبنفس درجة وصف المناطق الأخرى، فقد ذكـــر : "وإذا ســـرت من غانا تريد طلوع الشمس تسير في طريق معمورة بالســـودان إلـــى موضـــع يقال لـــه أوغام ثم تسير من هناك أربعة أيام إلى موضع يقال لـــه رأس الماء".[3]

ونخلص من هذه النصوص إلى أن حدود مملكة غانا لم تكن تمتد على مســـاحات واسعة في المنطقة الشرقية، حيث تنتشر القبائل البربرية أكثر من العناصـــر السوننكية وغيرها من القبائل الإفريقية، وربما كانت حدود غانا لم تصـــل إلـــى نهـــر النيجر، ووصلت فقط إلى مدينة أوغام شرقاً، وسنفقو في الشمال الشرقي.

أما الحدود الجنوبية فقد كانت تمتد حتى مناطق الذهب فقد ذكر البكري أثـــناء حديـــثه عن ملك غانا فقال : "وأفضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غـــياروا وبيـــنها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوماً في بلاد معمورة بقبائل السودان".

---

(1) مســـافة المـــرحلة تساوي من 35 إلى 40 كم^2، وللمزيد من التوضيح انظر الملحق رقم (4) ص190، عبد القادر أحمد طليمات، سكان ليبيا عن اليعقوبي، مؤتمر ليبيا في التاريخ من 15 إلـــى 23 مارس، 1968، ص230، إحسان عباس: ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968، ص ص305، 306.

(2) البكري: المغرب، ص179.

- Kwamina B. Dickson; Ahistorical Geography of Ghana, Cambridge. Press 1969, P. 3.

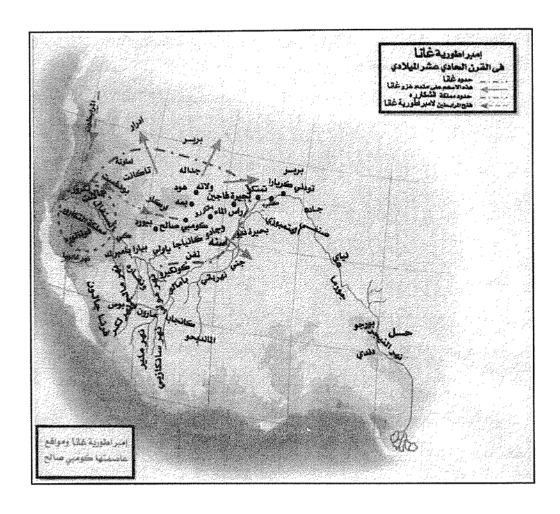
(3) البكري: المغرب، ص. ص180، 181.

ولما كانت المناطق في الجنوب أغنى من المناطق الشمالية؛ لقربها من مــناطق الذهب والمراعي، وأودية الأنهار. فإن التحرك لابد وأن يكون لــه سـبب قــوي، وأكبر الاحتمالات أن يكون من أجل التجارة، والإشراف على طرقها من مركز متوسط في الصحراء.

والإشــراف علــى التجارة يعني : السيطرة على المناطق الشمالية من أودوغست حيث نهايات تلك الطرق، ولذلك فمن الممكن أن تكون حدود غانا قــد امــتدت حــتى الحــدود الجنوبــية للســوس الأقصى كما اقترح بعض المؤرخين.(1)

---

(1) أحمــد إلــياس حسين: الإسلام في مملكة غانا من خلال كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغــرب لأبــي عبــيد الله البكري، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد 13، 1967، المركز الإسلامي الأفريقي، ص ص65، 66.



شكل رقم (3)

مملكة غانا في أقصى اتساعها في القرن الخامس هـ/ ، الحادي عشر الميلادي

المصدر : إبراهيم طرخان ، إمبراطورية غانا ، ص33

أ - 2- التضاريس :

قبل الحديث عن تضاريس مملكة غانا، يجب إعطاء صورة ولو مختصرة عن جغرافية بلاد السودان الغربي؛ وذلك لأن مملكة غانا تعتبر جزءاً لا يتجزأ من هذه المنطقة حيث أن منطقة السودان الغربي من الناحية الجغرافية كانت تتخللها هضاب وجبال منها : سلسلة الجبال الممتدة عبر سيقوجاو، وحجار، وأهير، وجبال أورار الشرقية والغربية، وتختلف هذه المناطق في مستوياتها عن سطح البحر حيث ترتفع بعض الأماكن إلى ستة آلاف قدم فوق سطح البحر، بينما تنخفض في أماكن أو مناطق أخرى إلى مائة قدم وذلك بانتشار كثبان الرمال، والواحات الكبيرة، والهضاب الصخرية، وكذلك الوديان.(1)

وقد نتج عن هذه الطبيعة الجغرافية أن أثرت في شعوب المنطقة تأثيراً إيجابياً، حيث إن الصحراء لم تكن في يوم من الأيام عامل طرد يحول دون إقامة العلاقات بين أبناء الصحراء الواحدة إضافة إلى ذلك كثرة المعادن على رأسها الذهب في أعالي نهري النيجر، والسنغال، وفولتا العليا، وأشانتي، وكذلك خصوبة التربة، ووفرة المياه الصالحة للزراعة، والملاحة التي ساعدت على دفع عجلة هذه العلاقات خطوات كبيرة إلى الأمام، وقد أدى ذلك إلى انتشار واستقرار مجموعات كبيرة من القبائل الإفريقية الزنجية، والتي كانت ذات فصائل عرقية مختلفة في تلك المنطقة، فمثلاً نجد أن السوننك قد انتشر في أرجاء واسعة من بلاد السودان الغربي أي امتد من

---

(1) الهادي الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18، الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص19.

تمبكتو شرقاً إلى بلاد التكرور غرباً.[1]

يمكـــن أن نقســـم غانا من الناحية الطبيعية إلى ستة أقسام متميزة في خصائصها التضاريسية، وتشتمل هذه الأقسام على ما يلي :

1 – السهول الساحلية المنخفضة على طول الساحل.

2 – هضبة أشانتي المنخفضة.

3 – حوض الفولتا.[2]

4 – سلاسل أكوبيم– توجو.

5 – السهول العليا.

6 – التصريف النهري.

1 – السهول الساحلية المنخفضة على طول الساحل :

يمكن تمييز ثلاثة أجزاء من هذه السهول لكل منها خصائصه الواضحة وتشتمل تلك الأجزاء على : –

أ – الشريط الساحلي الممتد فيما بين تاركوا وحدود توجو :

يـــتكون هـــذا الشريط من الأراضي الضيقة، والتي تمتد محاذية لخط الساحل ذو السطح المتموج تغطيها الحشائش والأحراش، ويصل هذا الشريط فـــي اتســـاعه بقسمه الغربي إلى 8 كيلومترات، بينما يزيد عرضه في قسمه

---

(1) جميلة امحمد التكيتك: مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير 1493–1528، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية، 1998، ص ص28 – 29.

(2) جـــودة حســـنين جودة: قارة أفريقيا (دراسات في الجغرافيا الإقليمية) دار المعرفة الجامعية، 1999، ص197.

الغربـــي إلى نحو 80 كيلومتراً في سهول أكرا[1]، وفي هذا الشريط الساحلي تمـــتد ســـهول أكرا فيما بين سلاسل تلال أكوبيم- توجو والتي تمارس فيها الزراعة؛ نظراً لوفرة المياه، وخصوبة التربة وفقاً لدورة زراعية منظمة كما تـــربى الماشية في الأماكن الغربية من هذا الساحل نظراً لعدم وجود ذبابة (تســـي تسي)، كما لا تربى الماشية في المنطقة الواقعة إلى الغرب من أكرا، لوجود هذه الذبابة.[2]

ب – دلتا الفولتا :

تقـــع هذه الدلتا في الطرف الجنوبي الشرقي، والتي تعرف باسم سهول أكرا وسهول فولتا الأدنى، وتتصف هذه الدلتا بالأمطار القليلة والتي تبلغ نحو 75 مـــم وفـــي دلتا الفولتا يقوم السكان بأعمال مختلفة أهمها : صيد السمك، وإنـــتاج جـــوز الهـــند، كما تصلح الملاحة في هذه الدلتا للسفن التي لا يزيد غطســـها عـــن تسعة أقدام، كما يمكن للقوارب التجارية الوصول إلى مدينة كيتي كراشي من هذه الدلتا.[3]

جـــ- أراضي الأكان المنخفضة :

تحتل سهول الأكان الجزء الأكبر من السهول المنخفضة، فهي تبلغ في ارتفاعهـــا 150 مـــتر فوق سطح البحر، كما يوجد في هذه السهول عدد من

---

(1) ماهـــر صـــبحي رزق: غانـــا أرضـــاً وشـــعباً ودولة، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الجماهيرية، ص ص21، 22.

- W. E. F. Ward; Ahistory of Ghana ,Ruskin House, George Allen and Unwin LTD. London. pp. 21- 22.

(2) ماهر صبحي: نفس المرجع، ص22.

(3) جـــودة حســـنين جـــودة: جغرافية أفريقية الإقليمية، دار النهضة المصرية، بيروت، 1996، ص ص338، 340.

- Clyde Chantler; The Ghana Story. pp. 16- 86.

الأنهار والتي لعبت دوراً مهماً في اقتصاد البلاد : مثل نهر دنسو في الشرق، وحــوض نهــر بــرا، فقد كان سكان غانا يقومون بزراعة الكاكاو، وإنتاج المحاصيل الغذائية على ضفاف هذه الأنهار، وفي غرب البلاد توجد أحواض أنهار كل من تانو والأنكوبر والتي تعتبر من أغنى المناطق بمعادنها.[1]

2 – هضبة الأشانتي :

تعــرف بالهضبة الشمالية،[2] وتبلغ مساحتها حوالي ثلث مساحة البلاد تصــل فــي ارتفاعها إلى حوالي 300م فوق سطح البحر،[3] وتعتبر من أهم المــناطق في تربية الماشية؛ لخلوها من ذباب (تسي تسي) إضافة إلى ذلك خصــوبة تربتها، فهي ملائمة لنمو المحاصيل الزراعية مثل : الذرة، والفول السوداني، والقطن. [4]

3 – حوض نهر فولتا :

ينــبع حــوض نهــر الفولتا من هضبة سيكاسو، والتي تعتبر الامتداد الداخلي لمرتفعات فوتاجالون، ويتجه صوب الشمال الشرقي ليتقوس في ثنية كبــيرة نحــو الجــنوب باسم فولتا الأسود، ويسير بعد ذلك في مجراه نحو الجنوب ليصل إلى ميناء ادا ويصب في المحيط الأطلسي في الغرب، وتتصل

---

(1) ماهر صبحي رزق: نفس المرجع، ص ص22، 23.

(2) فيليــب رفلة: الجغرافيا السياسية لأفريقيا، ت. عز الدين فريد، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966، ص489؛ جمال الدين الدناصوري: جغرافية العالم (أفريقية واستراليا)، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص380.

(3) فتحــي محمــد أبوعيانة: جغرافية أفريقية. دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار المعرفة الجامعية، 1995، ص271.

(4) فتحــي أبوعــيانة: نفس المرجع، ص ص271، 273، فيليب رفلة: نفس المرجع، ص489، جمال الدناصوري: نفس المرجع، ج2، ص380.

بـــه روافد نهر فلتا الأبيض في قسمه الأوسط قرب تمالي، وهي مركز مهم لتجمع الطرق التي تقطع كل غانا في قسمها الشمالي، وتقابلها مدينة كوماسي التـــي تشـــكل المركز الثاني لتجمع الطرق الرئيسية في جنوب ووسط غانا، بهضبة أشانتي وهي أيضاً مركز للسكك الحديدية.[1]

4 - سلاسل جبال أكوبيم- توجو :

تـــنحدر سلاسل جبال أكوبيم- توجو من سهل أكرا في سلسلتين جبليتين صـــوب الشمال الشرقي، وتقطعان داهومي وتوجو باسم جبال أتاكور، وتعود سلاســـل جـــبال أكوبـــيم- توجو في تاريخها الجيولوجي إلى صخور ما قبل الكمـــبري، وتعتبر من أكثر المناطق تعرضاً للأمطار، حيث تقوم فيها زراعة البن والكاكاو.[2]

5 - السهول العليا في أقصى شمال غانا وشمالها الغربي :

تقـــع فـــي الطرف الشمالي الغربي من البلاد، وهي عبارة عن هضبة يـــتراوح ارتفاعهـــا من 150 إلى 300 متر، وقد امتازت بخصوبة تربتها، وكثافة سكانها، ولهذا كانت تحتل الجزء الأكبر من البلاد في إقامة المشاريع الزراعية، وتربية الماشية؛ لخلوها من ذبابة (تسي تسي).

---

(1) محمـــد إبراهيم حسن: دراسات في جغرافية أفريقيا وحوض النيل، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997، ص536، فيليـــب رفلة، نفس المرجع، ص488، زاهر رياض: تاريخ غانا الحديث، دار المعـــرفة، القاهـــرة، ص8، محمد عبد الغني سعودي: أفريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص241، جمال الدين الدناصوري، نفس المرجع، ج2، ص279.

(2) جمال الدين الدناصوري: نفس المرجع، ج2، ص382.

6 – التصريف النهري :

يشتمل التصريف النهري لغانا على مجموعة من الأنهار ذات الشهرة الكبيـــرة والتي من أهمها : نهر فولتا، والذي ينبع من أراضي بوركينافاسو، ولنهر فولتا مصدران للمياه : – المصدر الأول يتمثل في : نهر فولتا الأسود والـــذي ينبع إلى الغرب من أراضي بوبوديو وهو يمثل الحدود السياسية بين غانا الشمالية وجمهورية ساحل العاج.[1]

أمـــا المصـــدر الثاني لنهر فولتا فهو يتمثل في : فولتا الأبيض، مع نهر فولـــتا الأحمر، حيث يعبران البلاد من الطرف الشمالي الشرقي، ويصب نهر فولـــتا الأحمر في نهر فولتا الأبيض بعد عبورهما الحدود بمسافة 40 كيلومتراً تقريـــباً، ويواصل نهر فولتا الأبيض سيره داخل الأراضي الغانية حتى يتصل بنهر فولتا الأسود ليكونان معاً نهر فولتا، والذي يتجه نحو الجنوب حيث يصب في خليج غينيا.[2]

ومـــن الأنهار الغانية الأخرى : نهر برا، ويقع في شرق البلاد، وينبع مـــن جـــنوب هضبة كواهو، ويصب نهر برا في خليج غينيا عند بلدة شاما، وإلـــى جانـــب نهر برا يوجد نهر الأنكوبرا، وينبع من منطقة تلالية جنوبي بيباني، ويصب في خليج غينيا إلى الغرب من مدينة أكسيم.

كما يوجد بغانا نهر رابع وهو نهر تانو، حيث ينبع من منطقة بالقرب مـــن تتشـــيمان في إقليم برونج –أهافو، ويصب في لاجون أيي في الطرف الجنوبي الشرقي من ساحل العاج، وتشتمل الأراضي الغانية أيضاً على عدد

---

(1) ماهر صبحي: نفس المرجع، ص25.

(2) ماهـــر صبحي: نفس المرجع، ص26، محمد إبراهيم حسن: الجغرافيا الإقليمية والاقتصادية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998، ص115.

مــن البحــيرات أهمها : بحيرة بوسومتوي والتي تقع في جنوب شرق مدينة كوماسي.[1]

3-4 المناخ :

يتأثر مناخ غانا بتفاعل كتلتين هوائيتين : الأولى القارية المدارية المتربة، والتي تصحبها هبوب الرياح الشمالية الشرقية، والثانية البحرية المدارية الرطبة، والتي تقترن بهبوب الرياح الموسمية الغربية القادمة من المحيط الأطلسي وهي الرياح التي تسبب في معظم أمطار البلاد. ويمكن تقسيم غانا من الناحية المناخية إلى ثلاثة أقسام جغرافية كبرى وهذا واضح من الناحية النباتية وهي على النحو الآتي[2] : -

1 – الإقليم الاستوائي الجنوبي الغربي : –

يتصــف هذا النمط من المناخ بتوزيع أمطاره طوال العام، ويشمل كلاً من وسط وجنوب غرب أفريقيا.

2 – نمط المناخ الاستوائي شبه الموسمي : –

ويشــمل إقلــيم الأشانتي، وفي الوقت الذي كانت فيه أمطاره أكثر من الإقلــيم السابق إلا أنها غير موزعة بانتظام، حيث تسقط الأمطار قليلة خلال شهري ديسمبر ويناير، لدرجة أنها تعوق نمو النباتات أو يقلل من نشاطها.

---

(1) ماهر صبحي: نفس المرجع، ص28.
(2) أحمد نجم الدين فليجة: أفريقية دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، ص390.

3 – النمط الاستوائي الموسمي : –

يوجــد إلى الشمال من تتشيمان وبيجي حيث الحرارة العالية والأمطار القليلة والنباتات النادرة.

4 – السفانا الجنوبية : –

وتضم المناطق الواقعة جنوب تاكورادي ماراً بنساوام إلى جبال توجو، وتتصف بندرة الأمطار، والرطوبة المنخفضة، والحرارة المرتفعة.(1)

الأمطار : –

تبلغ كمية الأمطار السنوية في الأقسام الجنوبية من غانا ما بين 125 و 200 مــم وتسقط في فترتين : الأولى بين إبريل ويوليو، والثانية بين فبراير ونوفمبر، أما في شمال البلاد فلا تزيد كمية المطر على 125 مم، وتسقط في فترة واحدة بين فبراير ونوفمبر ويأتي بعدها فصل جاف طويل تسوده رياح الهرمــتان الشــمالية الشــرقية الجافة التي تثير الغبار مما يؤدي إلى ضعف الرؤية.(2)

درجات الحرارة : –

من الطبيعي أن يميل مناخ غانا إلى الحرارة المرتفعة؛ بسبب قربها من خــط الاستواء ولكن الحرارة تزداد كلما توغلنا نحو الداخل؛ بسبب البعد عن الــبحر فمعــدل الحرارة عند الساحل حوالي25ْ مئوية، وهي في الداخل 27ْ

---

(1) ماهر صبحي: نفس المرجع، ص ص37، 40.

(2) محمــد إبراهيم حسن: الجغرافيا الإقليمية والاقتصادية، ص116، فيليب رفلة، نفس المرجع، ص ص489، 490، زاهر رياض: تاريخ غانا، ص9.

مـــئوية وتصـــل فـــي بعض الجهات إلى 30ْ مئوية، وتنتقل منطقة الحرارة المـــرتفعة شمالاً، وجنوباً مع حركة الشمس الظاهرة، ويقل الفرق الحراري ســـواء بيـــن الصيف والشتاء، أو بين النهار والليل، عند الساحل ويزداد في الداخل، ونظراً لارتفاع درجة الحرارة، ووفرة الرطوبة فإن البلاد كانت غير ملائمـــة لمعايشـــة الأوروبييـــن في أول مراحل الاستعمار حتى أطلق علي المنخفضات الساحلية (مقبرة الرجل الأبيض).[1]

ب – المجموعات والقبائل السكانية : –

1 – الماندنيجو : –

كـــان يعـــيش شـــعب الماندنـــيجو بيـــن ثلاثـــة أنهـــار رئيسية بغرب أفريقيا : وهي نهر السنغال، والنيجر، وجامبيا. وقد انقسم هذا الشعب إلى عدة فـــروع أهمهـــا : البامـــبار، والمالنكـــي، والديـــولا، وغالونكي، والسامانكي، والســـوننك،[2] ويلاحـــظ علـــى هـــذه الفروع أو العشائر أن البامبار والديولا والمالنكـــي كانـــت تتفق في اللهجة والعادات الاجتماعية، غير أنها تختلف عن بعضـــها البعض في مدى انتشارها بغرب أفريقيا؛ لعدم وجود الإسلام فيها في فـــترة زمنية واحدة. أما السوننك فكانت تغلب عليها الدماء البربرية والفولانية؛ لاخـــتلاطها بهـــا لدرجـــة أنهم كانوا يلقبون باسم الناس الحمر أي البيض،[3]

---

(1) زاهر رياض: تاريخ غانا، ص10، فيليب رفلة، نفس المرجع، ص490.

(2) عطية مخزوم: دراسات، ص24.

- Bovill, E.V. The Golden Trade of The Moors, London 1958, P. 154.

(3) إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص30.

وتزعم جميع فروع الماندنيجو أنها قد جاءت أصلاً من الشرق.[1]

والصفات الجسمانية لهذا الشعب : أنهم شعب طويل، نحيل القامة، تقاطيعه قريبة من السحنة القوقازية، والبشرة خفيفة السمرة، وهم زراع مهرة، ولهم نشاط في بعض الصناعات ويسود النظام القبلي في جهات الريف، وفي بعض البلدان يسود نظام النقابات المهنية للمشتغلين بحرفة بعينها مثل : الحدادة أو صيد السمك.[2]

وتعود بدايات الماندنيجو على مسرح الأحداث إلى زمن بعيد، أي قبل البعثة النبوية بزمن طويل غير أن المعلومات التي لدينا عن هذا الشعب قليلة؛ وذلك بسبب قلة الوثائق وندرة المصادر الخاصة به والتي لم تدون إلا بعد ثمانية أو تسعة قرون من ظهوره، كما أن هناك روايات تقول بأن هذا الشعب قد ظهر خلال الفترة التي تكونت فيها دولة غانا الوثنية، وأخذ ينمو ويتسع حتى بلغ من القوة والمجد خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.[3]

2- السوننك : -

تعتبر قبائل السوننك من أهم الشعوب الزنجية والتي عاشت على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى فيما يعرف بالساحل،[4] فقد أثبتت الحفريات الأثرية

---

(1) مجهول: محاضرات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ص34.
- J. Spencer Trimingham, Islam in West Africa. Oxford, Clarendon Press 1964. P. 14.

(2) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ص222، محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص55.

(3) مجهول: محاضرات في تاريخ أفريقيا، ص ص34، 35.

(4) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص23، إبراهيم طرخان: غانا في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مجلد 13، 1967، القاهرة، ص37، أمطير سعد غيث: التأثير العربي =

أن هـــذه المـــنطقة شهدت استقراراً سكانياً قديماً، وظهر عليها الكثير من أماكن تجمعات السكان.[1]

وقد أطلق على هذه الشعوب أسماء عديدة منها : التورود أو التوروت، كمـــا عرفوا باسم أسوانك، وكانت هذه التسمية تطلق على فريق من السوننك والذي يقيم جنوبي نهر النيجر، كما اشتهروا باسم نونو في مدينة جني، وذلك نســبة إلـــى أول عشيرة سوننكية انتقلت إلى جني، وأطلق عليهم كذلك اسم الأزيــر، وهي المجموعة التي عاشت في الصحراء هذا كما عرف السوننك بعدة تسميات عند الفولانين، والهوساء، والسنغاي منها : أنجر، أو نقارة، أو عكرى.[2]

وقد انقسموا إلى عدة أقسام من أهمها : السيون، وآل بكر، والسليون، والديالـــي، والســـاخو، والكابـــا، والدوكوري، كما كانت هناك أقسام أخرى فرعية، وهي الجاساما، والتالوري والدياخايا، والفسورو، والفاديحا، والدافي، والبيربتـــي، والنيجانـــي، والديـــاورا، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين : – هما الساجو، والدايو[3]. وقد حدث تزاوج بينهم وبين الفولانين والبربر.[4]

وشـــكلت تلك الشعوب الغالبية العظمى لمملكة غانا، والتي بلغت أوج عظمـــتها فـــي الفترة من القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس الهجري

=

الإســـلامي فـــي السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد، 1996، ص28.

(1) Marphy, J.: History of African Civilization , New York, 1972. P. 104.

(2) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص19، 20، مجهول: محاضرات في تاريخ أفريقيا، ص23.

- J. Spencer Trimingham, Islam in West Africa, pp. 13- 14.

(3) طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص20، 21.

(4) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص23، أمطير سعد: نفس المرجع، ص28، جون جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، ت مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص48.

التاسع الحادي عشر الميلادي.[1]

والصـــفات الجســـمانية لهـــذه الشعوب : أنهم يمتازون بقوة جسمانية، وتقالـــيد وأعـــراف اجتماعية [2]، وهم زراع مرتبطون بالأرض، فقد اثبتت الحفـــريات الأثرية أن المنطقة والتي عاشت فيها قبائل السوننك من أخصب المـــناطق، ممـــا أتاح الفرصة أمام السوننك للاستقرار على مساحته الشاسعة حيث مارست هذه الشعوب في هذه المنطقة أنشطة متعددة لإنتاج الغذاء، فقد اشتغل سكان المناطق الجنوبية بالزراعة حيث يسقط المطر بشكل أكبر، كما مارســـوا مهـــنة صـــيد الســـمك على ضفاف الأنهار، واشتغل سكان الجزء الشمالي من الإقليم برعي الماشية، والصيد، كما قاموا بتعدين الملح الحجري في الصحراء، وعرف السوننك الحديد، ووجدت الأدلة على أن تعدين الحديد كانت تقوم به أكثر من منطقة ما بين نيما جنوباً وتشيت شمالاً.[3]

كمـــا كانـــت هـــذه الشعوب تعيش في قرى متقاربة، وتتركز بصورة رئيسية في المناطق الأكثر خصوبة، وأماكن تجمع المياه بعد سقوط الأمطار. واكتســـب الســـوننك المهـــارة لاســـتغلال تلك المياه في الزراعة، ولا توجد معلومـــات عـــن بداية التنظيمات السياسية بين السوننك قبل قيام مملكة غانا، ولكـــن يـــبدو أن تجمعات السوننك تطورت إلى قرى قليلة العدد وظلت بينها صـــلة القرابة، وكان الرئيس في هذه المرحلة هو أكبر الذكور سناً، وبتطور معـــدن الحديـــد إلـــى جانب الثراء الذي بدأ يظهر على تلك التجمعات نتيجة للنشـــاط التجاري ارتفع عدد سكان القرى، وانتظمت تحت أسرة تمكنت من فـــرض نفوذهـــا، وأصبحت تعيش تحت نظام يشرف عليه الحكام، والكهنة،

---

(1) جميلة التكيتك: نفس المرجع، ص29.
(2) جميلة التكيتك: نفس المرجع، ص30، طرخان: إمبراطورية غانا، ص18.
(3) طرخان: إمبراطورية غانا، ص18، مجهول: محاضرات في تاريخ أفريقيا، ص ص25، 26.

والضباط المدنيون، والعسكريون.[1]

وقـــد ازداد عدد تلك القرى، وارتفعت الكثافة السكانية فيها، خاصة في إقلـــيم الحـــوض،[2] وأوكـــار،[3] عندما تعرض الجزء الشمالي من المنطقة للجفـــاف مما أدى إلى هجرة مجموعات كبيرة من السوننك نحو الجنوب كما زاد مـــن تحـــرك الســـوننك جنوباً عامل آخر، ألا وهو بداية الضغط الذي تعرضوا لـــه من العناصر المهاجرة من الشمال.[4]

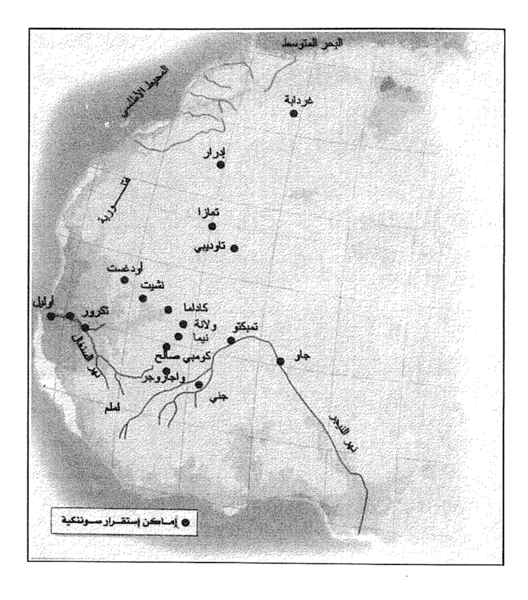
---

(1) عـــثمان بـــرايما بـــاري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، ص33، عطية مخزوم: دراسات، ص239.

(2) يمـــثل إقلـــيم الحوض الولاية الأولى في الجمهورية الموريتانية الإسلامية الحالية وعاصمتها مدينة ولاتة، محمد أبو العلاء: الملامح العرقية والتكوين الاجتماعي - بحث منشور في كتاب الجمهورية الإسلامية الموريتانية، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 1978، ص431.

(3) أوكار: اسم فرع إسرائيلي: طرخان: إمبراطورية غانا، ص22.

(4) مجهول محاضرات في تاريخ أفريقيا، ص25.



شكل رقم (4)

أماكن استقرار قبائل السونتك

المصدر : محمود طه أبو العلاء، المسلمون في إفريقيا المدارية، ص54

3 – **الفولاني : –**

تعـــددت آراء الباحثين في تحديد هوية هذا الشعب، فمنهم من يرى أن أصـــوله تعود إلى قبائل البربر، ومنهم من قال أنهم من قبائل النوبة، وفريق ثالث يرى أنهم خليط من عدة أجناس حدث بينها امتزاج ومصاهرة أدت إلى تمـيز هـــذا الشـــعب كجنس لـــه خصائص مجتمعة من كل جنس داخل في تكوينه.(1)

ومهمـــا يكن من أمر فإن الفولانيين من أهم الشعوب التي تسربت إلى أقالـــيم الســـودان الغربي، وأصبحوا تابعين لإمبراطورية غانا والتي زحف عليها المرابطون فيما بعد.(2)

ويتميز هذا الشعب عن غيره من الشعوب بطول القامة، ونحافة القوام، أو توسط الجسم، والوجه المستطيل، والأنف المستدق، واللون الفاتح أو اللون الأســـود، مـــع لمعان البشرة، واتساع مقلتي العينين، ويغلب على أبناء هذه القبـــيلة هـــدوء الطبع، ونقاء الروح، وعفة النفس، وشدة الغيرة، وقد وصفوا بأنهم قوم يعتمدون على أنفسهم يعملون غالباً بالرعي وعلى الخصوص رعي الأبقار.(3) كما أن الزراعة تمثل عندهم الحرفة الرئيسية، والمصدر الأساسي

---

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، مصر، ص239، حســـن عيسى عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1981، ص52.

(2) عطية مخزوم: دراسات، ص28.

(3) حســـن عيســـى عـــبد الظاهر: نفس المرجع، ص52، بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ت الهادي أبولقمة ومحمد عزيز، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988، ص369، عـــبد الرحمـــن زكـــي: تاريخ الدول السودانية بأفريقية الغربية، المؤسسة العربية الحديـــثة، القاهرة، 1964، ص56، إبراهيم موسى جوب: انتشار الإسلام وتأثيره على تطور العلاقـــات الفولانـــية العربية حتى القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة =

لإعاشـــتهم، فقد كانت أرضهم تتمتع بخصوبة التربة ووفرة المياه فكثرت بها المحاصـــيل الزراعـــية، وعـــادت علـــيها بفوائد اقتصادية كبيرة مكنتها من التطور.[1]

كمـــا كـــان الجهاد عندهم تراث يعتزون به، وأنهم كثيرو الميل بعضهم لبعض عند المحن والشدائد والحروب، ولا يرتبطون بأرض، لا تعرف الإسلام بـــل يعملون لإدخال الإسلام فيها أو الهجرة منها في حالة عجزهم ويعيشون في بـــلاد السودان الغربي منذ آلاف السنين وأنهم سريعو الانصهار في المجتمعات التي يعيشون فيها.[2]

4- عناصر مهاجرة من اليهود والبربر : -

فـــي القـــرن الثانـــي الميلادي تعرض اليهود في شمال أفريقيا لضغط الإدارة الرومانية بعد الثورة التي قاموا بها في برقة،[3] وأدى ذلك إلى هجرة أعـــداد كبـــيرة منهم جنوباً إلى الصحراء الكبرى فاتجهت مجموعة منهم إلى مـــنطقة أدرار فـــي الجزء الجنوبي الغربي لجمهورية الجزائر الحالية حيث أسســـوا عاصمة لهم في تامننت، وبدأوا من هناك اتصالاتهم جنوباً، وعبرت مجموعة أخرى من اليهود الصحراء الكبرى حتى وصلت إلى انحناءات نهر النـــيجر الكبرى، واستقرت بعض الوقت بين المزارعين الزنوج، ثم تحركت بعـــد ذلـــك غرباً نحو إقليم الحوض وأوكار، بينما اتجهت مجموعة ثالثة من بـــرقة غرباً إلى موريتانيا الطنجية، ومن هناك دخلوا صحراء غرب أفريقيا

=

الفـــاتح، الجماهيرية، 1999 – 2000، ص1، فيج. جي. دي: تاريخ غرب أفريقيا، ت السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، 1982، ص ص79، 80.

(1) عطية مخزوم: دراسات، ص28.
(2) مادهويا نيكار: الوثنية والإسلام، ت أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1995، ص56.
(3) عطية مخزوم: دراسات، ص235.

حيث التقوا بإخوانهم في منطقة أوكار،[1] ولم يقتصر تحرك اليهود جنوباً نحو الصحراء الكبرى على تلك الفترة فقط، بل تعرض اليهود أيضاً إلى ضغط الكنيسة الكاثوليكية في شمال أفريقيا خاصة في القرن السادس الميلادي مما أدى إلى تحرك مجموعات أخرى نحو الصحراء.[2]

وقد تخطى اليهود الأطراف الجنوبية لصحراء غرب أفريقيا وتوغلوا إلى الداخل، فذكر ابن سعيد 685 هـ/ 1286م وجودهم على الحدود الجنوبية لمملكة غانا في مدينة لامي : "أهلها يهود يعرف جنسهم في الرقيق ببلاد المغرب"[3] وأهل منطقة ملل[4] فيما يذكره أهل تلك الناحية يهود، ولا تزال الروايات الشعبية المعاصرة في غرب أفريقيا تردد آثار ذلك الوجود اليهودي، فقد أرجعت تلك الروايات أصول بعض السكان إلى العناصر اليهودية.[5]

والعامل الثاني الذي زاد من أعداد المهاجرين جنوباً عبر الصحراء هو ظهور الجمل[6] في الصحراء الكبرى، فقد عرف البربر الجمل عن طريق

---

(1) محمود طه أبو العلاء: المسلمون في أفريقية المدارية، ج 2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1999، ص ص29، 31.

(2) شارل أندرية جوليان: تاريخ أفريقية الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب) من البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969، ص372.

(3) أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص ص91، 92.

(4) ملل: تقع مدينة ملل على أعالي نهر النيجر وهي مدينة صغيرة كالقرية الجامعة لا سور لها، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، ص22.

(5) محمود أبو العلاء: نفس المرجع، ص32.

(6) لقد أحدث دخول الجمل إلى شمال أفريقيا واستخدامه للتنقل عبر الصحراء الكبرى ثورة في وسائل النقل وفي الاتصال بين شمال أفريقيا وسكان المناطق الداخلية بها ولا نستطيع تحديد متى حدث هذا التغيير ولكن من المرجح أن هذا التغير يرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد حيث أن الجمل وصل إلى مصر عن طريق الفرس ومنها بدأ انتشاره في مختلف أرجاء القارة الأفريقية والجدير بالذكر أن الإسكندر الأكبر المقدوني استخدم الجمال في نقل أفراد حاميته إلى =

الـــرومان الذيـــن أخذوا يستخدمونه منذ أول القرن الثالث الميلادي في حراسة حدودهـــم الجنوبية في شمال أفريقيا، ويبدو أنهم عرفوا سريعاً مقدرة الجمل في الســـير علـــى الرمال، فقد اتضح من رسومات الصحراء أن لـــه أهمية كبيرة كوســـيلة للمواصلات داخل الصحراء الكبرى في القرن الرابع الميلادي[1]، وقد عاصر ظهور الجمل في الصحراء الأحداث التي تعرض لها البربر المستعمرين علـــى أطـــراف الحدود الرومانية في شمالي أفريقيا، فقد بدأت تلك الإدارة في مصـــادرة مســـاحات واســـعة مـــن أراضي البربر الأمر الذي أدى إلى نزوح مجموعات كبيرة منهم جنوباً نحو الصحراء.[2]

وبدأت منذ ذلك الوقت التحركات الكبرى لقبائل البربر نحو الصحراء، وقد كان للجمل دور كبير في تلك التحركات.

والقـــبائل الـــبربرية الكـــبرى التـــي صاحبت تحركاتها في الصحراء هي : لواتة وهوارة ومزاتة، وانتشرت على طول النطاق الصحراوي الواقع بين جنوب وشمال أفريقيا.[3]

ولعـــل تلـــك الـــتحركات الكـــبرى هـــي التي أشار إليها ابن خلدون 808هـــ/ 1405م في أكثر من موضع أثناء كلامه عن القبائل الصحراوية

= معـــبد أمـــون فـــي ســـيوه فقد اتجه الاسكندر في عام 332 ق.م غرباً في محاذاة شاطئ البحر المتوسط حتى وصل إلى بارثيونون (مرسى مطروح) ثم ضرب في بطن الصحراء حتى وصل إلـــى واحـــة سيوة، إبراهيم نصحي: مصر في عصر البطالمة، ج1، القاهرة، 1980، ص22، محمد عبد الغني سعودي، نفس المرجع، ص225.

(1) ريمـــون فـــيرون: الصـــحراء الكبرى، ت جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص ص59، 61.

(2) شارل أندرية جوليان: نفس المرجع، ص220.

(3) عـــبد اللطـــيف محمد البرغوتي: التاريخ الليبي القديم، دار صادر، بيروت، 1971، ص ص 378، 497.

فقال عن الملثمين : [1]

"أبعدوا عن المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها فأصحروا عن الأرياف"[2]

وقال عن هوارة : "ومنهم من قطع الرمال إلى بلاد القفر وجاوز لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان".[3]

تسبب إذاً دخول الجمل في الصحراء والضغط الذي تعرض له يهود برقة في وصول أعداد من البربر واليهود على فترات متلاحقة منذ القرن الثاني الميلادي إلى منطقة الحوض وأوكار وتمكنوا من الاستقرار سلمياً بين السوننك.[4]

ولما كان المهاجرون يتمتعون بثقافة أقوى من ثقافة السوننك بحكم وصولهم من منطقة تأثرت بحضارة البحر المتوسط فقد تمكنوا من فرض نفوذهم على السوننك، وكان المهاجرون من القوة بحيث تمكنوا من الإشراف على كل جماعات السوننك في إقليم أوكار مما أدى إلى ظهور مملكة غانا.[5]

---

(1) الملثميـن: هـم الطوارق وأطلق عليهم العرب فيما بعد اسم الملثمين وذلك لأنهم يغطون وجوههـم بلـثام أو حجـاب ولعل ذلك ليقيهم رمال الصحراء أثناء تجوالهم فيها، إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى، ص40.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971، ص181.

(3) ابن خلدون: نفس المصدر، ج 6، ص141.

(4) محمود طه: نفس المرجع، ص35.

(5) محمود طه: نفس المرجع، ص ص35، 36.

2 – الخلفية التاريخية لملكة غانا قبل انتشار الإسلام.

أ – الأوضاع السياسية : –

تتضح الأوضاع السياسية بإمبراطورية غانا قبل انتشار الإسلام من خلال نظام الحكم، فقد كان النظام مركزياً إلا في بعض المقاطعات التي كان نظام الحكم فيها وراثياً مقتصراً على أسرة واحدة تتوارث حكم المنطقة، وكانت بعض هذه المقاطعات في بعض الأحيان إن سنحت لها الفرصة تعلن استقلالها عن السلطة المركزية في العاصمة كومبي صالح.(1)

وأول حكومة قامت في غانا من البيض يقال أنها ترجع إلى حوالي القرن الأول الميلادي ثم صارت ذات بأس وقوة خلال القرن الرابع الميلادي.

والمتواتر في بعض المصادر أن جماعة من المهاجرين من البيض الساميين جاءت من منطقة الشرق أو من شمال أفريقيا ومن برقة بصفة خاصة واستقرت في منطقة أوكار وسط مجموعة من الزنوج تتكلم لغة الماندي، وأغلب هذه المجموعة من السوننك، وكان نزوح هذه المجموعة أقرب إلى الهجرة السلمية، واختلطت بالوطنيين من السوننك حتى تغير لونها بطول الزمن.(2)

---

(1) الهادي الدالي: الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب أفريقيا، دار صنين للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص28.

(2) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص97، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص23، أحمد شلبي: نفس المرجع، ج 6، ص ص104، 105.

ويقـــول الســـعدي 1068 هـــــ/ 1655م عن حكام غانا الأوائل : "وهم بيضـــــان فــــي الأصل غير أن الشك يدور حول أصولهم الغامضة هل هم من اليهود، أم من البربر؟

كمـــا ذكـــر الســـعدي في موضع آخر عن حكام غانا الأوائل : "وأول ســـلطان في تلك الجهات هو قيمغ، ودار إمارته غانا، وهي مدينة عظيمة في أرض باغن وقيل أن سلطتهم كانت قبل البعثة النبوية الشريفة." [1]

ورغم اختلاف الآراء فالمرجح أنهم من البربر الذين اختلطوا بالزنوج، وصلة البربر بقبائل السودان قديمة، ثم إن أهل غانا أنفسهم يقولون أن أسرة بربرية كانت تحكم بلادهم منذ زمن بعيد.

وفي نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي استطاعت أسرة من السوننك وهي أسرة سيسي، طرد أسرة البيض الحاكمة أو دولة كيمغ، وكانت هذه الأسرة الجديدة تتحكم في منطقة وجادوا.[2]

وقد ذكر صاحب الفتاش عن نهاية حكم الأسرة الأولى : " ثم أفنى الله ملكهم وسلط أراذلهم على كبرائهم من قومهم واستئصالهم، وقتلوا جميع أولاد ملوكهم حتى بقروا بطون نسائهم ويخرجون الأجنة ويقتلونهم ".[3]

والخلاصـــــة أن لقب كيمغ أو ملك الذهب أطلق على جميع حكام غانا أرض الذهـــب مـــنذ عهد الحكومة الأولى حتى اختفاء غانا من على مسرح الأحداث.

---

(1) عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، نشر هوداس، باريس، 1964، ص9.
- Nehmia Leutzion, Ancient Ghana and Mali, Nethuen & Co. LTD. London, 1975. p. 19.

(2) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص26.

(3) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص42.

وكـــان الحكـــام الجدد أقوى من أسلافهم البيض، فضموا أدوغست [1] (وهـــي عاصـــمة إمبرطورية إسلامية سادتها من البربر من قبيلة لمتونة) واتخذوها عاصمة وفرضوا الجزية على المغلوبين.[2]

ومـــن الأماكـــن الهامـــة التي خضعت لإمبراطورية غانا مدينة ولاتة وانبارة وكوغة، والوكن.

وبالتالـــي فقد كان نفوذها واسعاً بحيث شملت جميع المساحات الواقعة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، وصارت أعظم قوة في السودان الغربي، وامتدت إلى الشمال وخضعت لها أغلب قبائل الصحراء الجنوبية، من الغرب إلى أعالي السنغال وحدود مملكة التكاررة، ومن الشرق إلى قرب تمبكتو.[3]

وقـــد استمرت أسرة السوننك في حكمها لإمبراطورية غانا حتى القرن الســـابع الهجـــري/ الثالث عشر الميلادي، باستثناء الفترة التي سيطر عليها المرابطون على غانا (469 – 480 هـ/ 1076 – 1087 م).

وفـــي الوقت الذي سيطر فيه السوننك على مقاليد الأمور لجأت أسرة البـــيض إلـــى تكـــرور، وظلوا أصحاب سيادة في هذه المنطقة إلى أن هب التكارره وطردوهم من المنطقة.

---

(1) أودغســـت: مديـــنة فـــي الصحراء كانت سوقاً كبير تتحكم في الطرق التجارية بين الشمال والجنوب وهي لا وجود لها اليوم ولكنها كانت تقع وبحسب رواية ابن حوقل على بعد مسيرة شـــهرين من سجلماسة وخمسة عشر يوماً من غانا ومكانها الآن مدينة تجداست وتقع ضمن جمهوريـــة موريتانـــيا، أبي القاسم النصبي بن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص91.

(2) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص199.

(3) الهـــادي الدالـــي: الـــتاريخ السياسي، ص26، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص ص97، 98، أحمد شلبي: نفس المرجع، ج 6، ص105.

ولا نعــرف من ملوك الحكومة السوننكية سوى خمسة ملوك هم على النحو التالي : -

1 - بنتجوي دوكوري : وكان يحكم حوالي عام 147 هـ/ 790م.

2 - تكلان : وحكم في مطلع القرن الثالث هـ - التاسع الميلادي.

3 - تلوتان : وهو ابن تكلان وكان يحكم حوال 223 هـ/ 837م.

4 - بسي : توفي حوالي 456 هـ/ 1063م.

5 - تنكامنيــن : وهــو ابــن أخــت بسي وحكم الإمبراطورية حوالي 456هـ/ 1063م.[1]

ب - الأحوال الاقتصادية : -

وإذا انتقلــنا إلــى الحديــث عــن الأحــوال الاقتصادية في غانا فإننا نقــول : أن عظمـــة غانا التاريخية وشهرتها وثراءها إنما يرجع أساساً إلى أرباحهـــا التجارية الطائلة فقد كان لموقعها وعاصمتها كومبي صالح (على حـــدود الصحراء الجنوبية وفي أقصى شمال منطقة الزنوج) أكبر الأثر في جعلها حلقة وصل بين الشمال والجنوب، بالإضافة إلى أن تحكمها في طرق القوافـــل المؤديـــة إلـــى مـــناجم الذهب الكبرى في جنوبها قد أفادها وجعلها غنية.[2]

---

(1) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص26، 27، 28.
- Peter Kup, Ahistory of Sierraleone 1400- 1787, Cambridge Un. Press 1962. p. 124.

(2) عطية مخزوم: دراسات، ص236.

وكانـــت إمـــبراطورية غانا تصدر الذهب والرقيق، والجلود، والعاج، والكولا، والصمغ، والعسل بالإضافة إلى القطن والقمح، وكانت تستورد الملح والنحاس الأحمر والفواكه المجففة والودع والمسابح وأدوات الزينة.(1)

وكانـــت تجـــارة الذهـــب مصدر ربح كبير لإمبراطورية غانا، حيث تحكمت في طرق المناجم، بالإضافة إلى أن البلاد كانت تضم بعضاً من هذه المناجم.

ولقـــد قـــام ملـــوك غانا وتجارها بدور الوسيط بين منتجي الذهب في الجـــنوب وبين العرب في الشمال، وهؤلاء بدورهم باعوه إلى أوربا، (2) كما أن غانـــا وتجارهـــا بالإضافة إلى التجار المغاربة يحصلون على الذهب من منتجـــيه فـــي أعالـــي السنغال عن طريق ما اصطلح على تسميته بالتجارة الصـــامتة، فكـــان التجار المغاربة يأتون بسلعهم من المسابح والودع والملح ويذهبون إلى كومبي صالح عاصمة غانا، وفيها يجدون زملاءهم وعملاءهم الغانيين في انتظارهم، فيخرج الجميع نحو أعالي السنغال في أماكن معلومة، حيـــث يضـــرب التجار بطبولهم إعلاناً على وصولهم بالبضائع، ثم يضعون ســـلعهم في أكوام على شاطئ النهر ويختفون، وحينئذ يخرج الزنوج العراء ويضـــعون بجـــوار كـــل كومة ما يرونه مساوياً لها من الذهب، ثم يختفون فـــيظهر الـــتجار، فـــإذا اقتنعوا بقيمة الذهب حملوه وانصرفوا بعد أن يدقوا طـــبولهم إيذانـــاً بانـــتهاء التبادل، وإذا لم يقتنعوا بالذهب الموجود لم يقربوه وتركوه واختفوا مرة أخرى، فيخرج الزنوج ويزيدون كميات الذهب، وتتكرر هذه العملية بين الاختفاء والظهور حتى يتم الاقتناع بين الجانبين. (3)

---

(1) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص65.

(2) طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص67، 68، 69، 70.

(3) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص98.

وقـد حـاول التجار مرة أن يعرفوا أشياء عن مناجم الذهب، فقبضوا علـى أحد الزنوج وعذبوه حتى الموت، إلا أنه لم يعترف، وتوقفت التجارة علـى أثر هذا الحادث ثلاث سنوات، ثم عادت مرة أخرى نظراً لشدة حاجة الزنوج إلى الملح.[1]

وأمـا تجـارة الرقيق فقد راجت كذلك، وحصلت فيها غانا على أرباح وفـيرة، فقد كانت العاصمة كومبي صالح إحدى الأسواق الرابحة لها، تمون هذه الأسواق بالعبيد عن طريق الاقتناص من الحدود الجنوبية. [2]

كمـا حصلت غانا على ثروة طائلة من الضرائب والتي كانت تجمعها الحكومـة مـن أقالـيمها المختلفة، وكانت كل هذه الأموال تصب في خزانة الدولة مما أكسبها شهرتها التجارية وازدهارها الاقتصادي.

بالإضافة إلى هذه الضرائب قرر ملك غانا فرض ضريبة قدرها دينار مـن الذهـب على كل حمولة حمار من الملح تدخل بلاده، وديناران عن كل حمولة تخرج من بلاده وفي ذلك يقول البكري : " ولملكهم على حمار الملح ديـنار ذهـب في إدخاله البلد، وديناران في إخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل. [3]

كما مارس الغانيون الزراعة والرعي، فقد تحدث البكري (487هـ/ 1094م) عـن اقتصـاد غانـا الزراعي فقال : "إن البساتين كانت تحيط بعاصمة غانا وتنتشر في كل البلاد زراعة القطن".[4]

واهتمت مملكة غانا أيضاً بالثروة الحيوانية والمتمثلة في البقر، والإبل،

---

(1) بوفيل: تجارة الذهب، ص151.
(2) طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص72، 74، بوفيل: تجارة الذهب، ص152.
(3) البكري: المغرب، ص176.
(4) البكري: المغرب، ص179.

والغـــنم والماعـــز، كمـــا اهتموا أيضاً بالزرافات والغزلان والضباع والفيلة والأرانــــب والقـــنافد، ونظراً لقرب مملكة غانا من نهر النيجر فإنها اهتمت أيضــــاً بالـــثروة الحيوانية البحرية والمتمثلة في الأسماك وفرس النهر والذي يصطاد من النهر، كما توجد لدى الغانيين الحيتان الكبيرة والصغيرة. [1]

وفـــي الوقت الذي تذكر فيه بعض المراجع أن مملكة غانا تكونت في بداية أمرها من عشيرة من الحدادين فإن الغانيين اهتموا بالصناعة، وخاصة صــــناعة الحديـــد الذي صنعوا منه الحراب والرماح والخناجر، كما اهتموا أيضــــاً بمعـــادن الذهب، وبالإضافة إلى ذلك كان لهم دار لصناعة المراكب الحربية على جوانب بحيرة كوري. [2]

ج – الحياة الاجتماعية :

أمـــا عـــن الحياة الاجتماعية في إمبراطورية غانا فقد كان النظام فيها قبلـــياً، تقـــوم أركانه الأساسية على القبيلة، وكانت هذه القبيلة تتفرع إلى عدة عشائر.

وفي هذا النظام كان الملك الغاني يمثل رئيس القبيلة، ويساعده في ذلك مجلـــس يتكون من الوزراء وحكام المقاطعات، حيث إنه كان يمثل القمة في الهـــرم الاجتماعـــي. [3] وأن عامة الشعب الغاني كانوا يستقبلون ذلك الملك بالانحـــناء ووضع التراب على الرؤوس، وفي ذلك يقول البكري : " فإذا أدنا أهـــل دينة منه جثوا على ركبهم، ونثروا التراب على رؤوسهم، فتلك تحيتهم لـــه "[4] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الخضوع التام لذلك الملك.

---

(1) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص ص38، 39.
(2) عطية مخزوم: دراسات، ص ص239، 240.
(3) نعيم قداح: أفريقية الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1960، ص36.
(4) البكري: المغرب، ص175.

كمـــا كان من عاداتهم الاجتماعية ايقاد النار للملك الوثني والذي يخرج بعـــد عشاء كل ليلة؛ ليسامر مع قومه ولا يخرج حتى تجتمع عليه ألف حزمة مـــن الحطب، ويتم إشعالها مرة واحدة؛ حتى تشرق البلاد كلها، ثم يجلس على منصـــة مـــن الذهب الأحمر، وتقدم في هذه الأثناء الآلاف من الولائم، فيأكل الجميع إلا هو، ومتى تم الأكل يقوم ويدخل، وهم لا يقومون حتى تصبح الحزم رماداً [1]، وكثيراً ما كان الملك الغاني يتدحرج على الأرض المحروثة ليجلب لها النماء والخصب.[2]

كمـــا كـــان الملـــك الغانـــي يتحلى بالأقراط والقلائد، ويلبس القبعات المطرزة، ويمشي في موكب من أبناء الأمراء، حتى يضمن ولاء المقاطعات لـــه، [3] وإذا مات ذلك الملك قام الشعب الغاني الوثني بدفنه ومعه رجال من الّذيـــن كانوا يقومون على خدمته فضلاً عن طعامه، وشرابه، وهذا يدل على أنهـــم كـــانوا يعـــتقدون أن الحياة الآخرة تقوم على الإيمان بالبعث لذا تدفن حاجات الميت معه، لأنه يحتاج إليها في حياته الثانية. [4]

ومـــن عـــاداتهم الاجتماعية أيضاً أنه إذا سرق أحدهم أو قتل جاء إليه أميـــنهم وصب عليه من الماء قدر ما سقاه المتهم، فإن أخرجه من جوفه علم أنـــه برئ وهنئ بذلك، وإن لم يرمه صحت عليه الدعوة، [5] كما أنهم كانوا يقومون بتقديس الحية والتي يقدمون لها في كل عام إحدى الفتيات قرباناً لها، [6] كمـــا كانـــت المرأة في المجتمع الغاني الوثني سلعة تباع لزوجها، ولهذا كانـــت تشكل لأبيها وأسرتها قيمة تجارية، كما عرف في غانا تعدد الزوجات

---

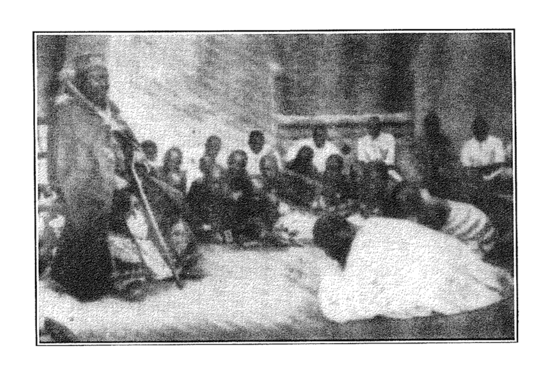
(1) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص33.
(2) عطية مخزوم: دراسات، ص241.
(3) نعيم قداح: أفريقية الغربية، ص37.
(4) عطية مخزوم: دراسات، ص241، إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص80.
(5) حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا، ص95.
(6) عطية مخزوم: دراسات، ص241.

والنســـاء الجميلات كنَّ من نصيب الطبقة الغنية، وعرف في غانا أيضاً قبل انتشار الإسلام الطلاق والزنا، والمضاجعة لأهل الدعارة من الأمور السائدة والمألوفة في المجتمع الغاني. [1]

وكـــان ملوك غانا يدينون بالوثنية والتي تمثلت في المجوسية، وعبادة الأصنام والمتمثلة في تقديس الأشجار الضخمة، والحيات، والحيوانات، وكان أهل ديانتهم يقيمون حول القصر الملكي حيث القباب والقبور، والتي يحرسها حــرس خاص لا يستطيع أحد دخولها من الغرباء، كما كانت معابدهم عبارة عن أبنية بسيطة مربعة ذات أبراج اسطوانية مزينة بالصور.[2]

وهكـــذا تكونـــت فـــي هـــذه المنطقة الهامة –ما بين نهر السنغال ونهر النـــيجر– مـــن غرب أفريقيا أول مملكة في السودان الغربي، فلم يحن القرن الثالـــث الهجـــري/ التاســـع الميلادي حتى اكتملت معالمها، وأخذ الإسلام في الانتشـــار فـــيها عن طريق التجار والدعاة والمرابطين، وهذا ما سوف يكون موضوع دراستنا في الفصل الثاني.

(1) عطية مخزوم: دراسات، ص243.
(2) عطية مخزوم: دراسات، ص ص240، 241، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص41.



شكل رقم (5)

الحياة الاجتماعية بمملكة غانة قبل انتشار الإسلام

المصدر : نعيم قداح، إفريقية الغربية في ظل الإسلام، ص37

الفصل الثاني

انتشار الإسلام والحياة الثقافية والاجتماعية بمملكة غانا الإسلامية

1 – الوسائل التي ساعدت على انتشار الإسلام

أ – التجار.

ب – الدعاة.

جـ – دور المرابطين.

1 – الوسائل التي ساعدت على انتشار الإسلام :

يمـــثل الإسلام حضارة من أرقى الحضارات العالمية، وقد زعم بعض المؤرخين الغربيين أن الإسلام انتشر في أفريقيا؛ لأنه وجد مجتمعات منحطة لا حضــــارة لها، وهذا قول يجانب الحقيقة، فالإسلام انتشر في أعرق البلدان حضارة كالبلدان العربية وفارس والهند، ولأن أفريقيا كانت مهداً لحضارات راقـــية، [1] ودليلـــنا على ذلك ما قاله أعداء الإسلام أنفسهم، إذ يقول الرحالة جوزيف توسون عند حديثه عن انتشار الإسلام في أفريقيا : " إذا بلغنا غربي أفريقيا والسودان الأوسط نجد الإسلام كجسم قوي، فيه روح الحياة والنشاط، وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام، كما كان في أيامه الأولى، فنرى الناس تدخل فيه أفواجاً، وتقبل عليه إقبالاً عجيباً شبيهاً بأيامه السالفة، نرى فيه أشعة نـــوره منبعثه من شوارع سيراليون، وآخذة في إنارة بصائر القبائل المنحطة في دهاء الجهل، آكلة لحم البشر عند منبع النيجر "[2].

فســـكان السودان الغربي لم يدخلوا الإسلام بالإكراه، وإنما عن اقتناع وإيمان تام؛ لكونه دين الفطرة "فطرة الله التي فطر الناس عليها ".[3]

وعلـــى ذلـــك فإن الإسلام قد هيأ للقارة السمراء لأن تتصل بحضارات جديـــدة فـــي وقت مبكر، وجعل المجتمع الأفريقي متمشياً مع المجتمع العالمي الإنســـاني الذي يؤمن بالقيم الإنسانية وبالمساواة، ويحث على التعاون والعمل والعلـــم[4] والدلـــيل علـــى ذلك أنه كانت هناك على الدوام علاقات اقتصادية وسياســـية وثقافـــية بين إمبراطورية غانا والشمال الأفريقي، الأمر الذي جعل

---

(1) بازل دافدسن: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ت جمال أحمد، دار الثقافة، بيروت، ص192.
(2) عطية مخزوم: دراسات، ص109.
(3) سورة الروم، الآية 30.
(4) نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارةأوربا في أفريقية الغربية، الجزائر، 1974، ص8.

وصـــول الدعـــوة الإسلامية إلى تلك المنطقة أمراً سهلاً، وفي وقت مبكر، فقد أثبتت الوقائع والروايات التاريخية وجود مسلمين بإمبراطورية غانا في الوقت الـــذي تؤكد فيه الروايات أن العروبة أسبق من الإسلام في تلك المناطق، بدليل أن عاصـــمة غانا كومبي صالح كانت مركبة من كلمتين : فكومبي تعني مدينة فـــي لغة الزنج وصالح اسم عربي، وبالتالي فإنه من المؤكد أن هذا الاسم جاء من الشمال الأفريقي منذ وقت مبكر على ظهور الإسلام.(1)

إضـــافة إلـــى ذلك الاتصال الكبير الذي تم عبر الصحراء الكبرى بين المغرب العربي وجنوبي الصحراء، فقد ترتب على هذا الاتصال نتائج كبيرة أحدثت تغيراً واضحاً في تاريخ المنطقة كلها بما في ذلك مملكة غانا، وكانت أبرز تلك العلاقات انتشار الإسلام والثقافة العربية في مملكة غانا.

لقـــد تضـــافرت جهـــود مختلفة ومتشعبة ساهمت في وصول وانتشار الإســـلام في مملكة غانا، وكانت الصحراء الكبرى هي المعبر الذي وصلت عن طريقه تلك المؤثرات، إلا أن دور الصحراء لم ينحصر في كونها معبراً فقط، بل ساهمت أيضاً بنصيب كبير لا يقل أهمية عن أي عامل من العوامل الأخـــرى إن لم يتصدرها، وذلك لأنه بإسلام الصحراء تمت المرحلة الأولى من مراحل انتقال الإسلام جنوباً.

وقـــد بدأ دخول الإسلام في الصحراء منذ بداية الربع الثاني من القرن الأول الهجري حين أسلم أمير قبيلة زناتة في عهد خليفة المسلمين عثمان بن عفـــان (23 – 35 هـــ/ 643 – 655 م)(2) ومنذ ذلك الوقت بدأ الإسلام

---

(1) الهادي الدالي: الإسلام واللغة العربية، ص14.

(2) لـــم تـــتفق المصادر حول اسم هذا الزعيم، فهو عند ابن عذارى خزر بن صولات وعند ابن الخطيـــب، حـــرب بن حفص بن صولات وعند ابن خلدون وزمار بن صقلاب وذكر بعض المؤرخيـــن أنـــه أســـر وحمل إلى الخليفة عثمان، بينما يرى البعض الآخر أنه وقد وفد إليه بنفسه، أبو عبد الله بن محمد بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق =

ينتشـــر بين قبائل زناتة التي احتلت مساحات واسعة في المغرب، واستقرت مجموعات منها على أطراف الصحراء لا سيما في واحات الجزائر. (1)

وفـــي منتصف القرن الأول الهجري وصل الإسلام إلى قلب الصحراء الشـــرقية حين دخل عقبة بن نافع زويلة وكوار، وبدأ استقرار المسلمين في تلـــك المناطق منذ ذلك الوقت، فقد كانت زويلة مقراً لقيادة المسلمين قبل قيام مديـــنة القـــيروان، (2) وقـــد لاحـــظ اليعقوبي الأعداد الكبيرة من المسلمين المســـتقرين فـــي المـــنطقة. (3) ووصل عقبة بن نافع أيضاً في نفس الوقت بالإسلام إلى الصحراء الغربية، فدخل منطقة السوس الأقصى، وتخطى وادي السوس فبذر بذلك بذور الإسلام الأولى على أطراف الصحراء الغربية، وقد كـــان للمســـاجد التـــي أسسها عقبة بن نافع في أيجلي ودرعة دور فعال في تركيز الإسلام.

وفـــي نهايـــة القـــرن الأول الهجـــري أثمرت جهود الولاة في استقرار المغـــرب، وبـــدأ الإسلام يسود المغربين الأدنى والأوسط في عهد حسان بن الـــنعمان،(4) وأدى استقرار سبعة وعشرين ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من

=

إحســـان عـــباس، ج1، ط3، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1983 م، ص252، أبو عبد الله محمـــد بن عبد الله لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإســـلام ومـــا يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ج3، جالرمو، 1910، ص153، ابن خلدون: العبر، ج 6، ص108.

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص108، 109.

(2) عماد الدين إسماعيل بن علي بن جمال الدين أبو الفداء: تقويم البلدان، ج 1، باريس، 1840، ص187.

(3) أحمـــد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي: كتاب البلدان، ملحق بكتاب الأعلاق النفسية لابن رستة، لندن، 1891، ص345.

(4) الحســـن بن علي بن محمد بن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص ص31، 32.

البربر المسلمين في المغرب في عصر موسى بن نصير إلى انتشار الإسلام في تلك المناطق، وركز المسلمون جهودهم على تعليم البربر القرآن والفقه.[1]

وفي مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي أسلم بقية البربر على يد إسماعيل بن أبي المهاجر. وفي نفس الوقت دخلت الحملة التي أرسلها والي أفريقية عبيدالله بن الحبحاب الصحراء الغربية، ففتحت الطريق أمام المسلمين خاصة قبائل صنهاجة التي كانت قد دانت بالإسلام، وتمكنت تلك القبائل من فرض نفوذها على كل الصحراء الغربية شمالي مملكة غانا وأصبحت هذه المنطقة - بعد تأسيس الصنهاجيين لدولتهم - امتداداً للمغرب العربي المسلم وصار عبء الجهاد جنوباً نحو مملكة غانا منوطاً بهم.

ولا تمدنا المصادر إلا بمعلومات قليلة ومختصرة عن دولة أنبية الصنهاجية، ولذلك فإنه ليس من السهل تتبع مراحل جهاد زعمائها من خلال تلك الإشارات.

فقد وردت بعض النصوص التي أشارت إلى جهاد زعماء الصنهاجيين "أنهم كانوا يجاهدون السودان"[2]، حيث أن الملك الصنهاجي يرلونان المتوفي عام 222 هـ/ 836م كان له من ملوك السودان عشرون ملكاً اتقوه بأداء الجزية،[3] وأن الزعيم تيتروا الذي حكم أودغست أول القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي " له عشرون ملكاً من ملوك السودان".[4]

وذكر البكري أن الزعيم اللمتوني محمد تارشيني في أول القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي استشهد بموضع يقال له قنقارة

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص110.
(2) ابن الخطيب: نفس المصدر، ص222، البكري: المغرب، ص164.
(3) ابن الخطيب: نفس المصدر، ج3، ص226.
(4) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص ص181 - 182.

ببلاد السودان، وتقع قنقارة غربي مدينة بانكلاين التي يسكنها بنووارت' وكان أفراد هذه القبيلة يعيشون شمالي أودغست عن طريق تامدلت. [1]

وعلى الرغم من وجود إشارة مباشرة في النصوص عن جهاد زعماء صنهاجة داخل أراضي مملكة غانا، إلا أن الأعداد الكبيرة من ملوك السودان الذين ورد ذكر خضوعهم للصنهاجيين يدل على أن الجهاد تعدى حدود دولة أنبية.

ومثال ذلك جهاد الزعيم الصنهاجي تين بروتان، الذي ذكر البكري أنه حكم أودغست في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فقد استنجد ملك ماسين بحاكم أودغست على ملك أوغام شرقي مدينة غانا وهُزم ملك أوغام، وقُتل في المعركة، فلما رأت نساء أوغام الهزيمة قتلن أنفسهن خوفاً من أن يملكهن البيضان،[2] ويؤكد هذا أن ملك أوغام كان من الشعوب الزنجية، ويرجح أن أوغام كانت داخل حدود مملكة غانة، ولم تكن كل جهود دولة أنبية في الجهاد عسكرياً، فهنالك جانب آخر، وهو الجانب الأكثر أهمية والذي يتمثل في الاتصال الثقافي والتجاري المباشر بين مسلمي دولة أنبية ومواطني دولة غانا عبر الحدود بينهما.

فدولة أنبية التي اشتهر حكامها بالصلاح والحج، وبعاصمتها التي حملت لواء العلم في قلب الصحراء، واستقبلت الفقهاء من جميع مراكز العالم، من الطبيعي أن تؤثر في جارتها مملكة غانا، [3] التي كانت ميداناً واسعاً للفقهاء والدعاة الذين يسعون إلى إعلاء كلمة الله وبث تعاليم دينه الحنيف.

---

(1) البكري: المغرب، ص ص157 – 164.
(2) البكري: المغرب، ص159.
(3) ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج 1، ص400.

أ- التجار : -

لقد كان للعرب قبل الإسلام علاقات تجارية مع أفريقيا جنوب الصحراء، فمنذ زمن قديم جداً أخذت بعض قبائل الشمال الأفريقي في الهجرة والتجارة إلى داخل الصحراء وجنوبها، واتصلوا مباشرة بالزنوج، وقد اقتصر هذا الاتصال قبل بداية العصر المسيحي على الغارات، للاستيلاء على الرقيق. [1]

وقد ألفت أفريقيا جنوب الصحراء هؤلاء التجار في مرحلة ما قبل انتشار الإسلام بها، كما ألفتهم في صور ثانية إبان حركة انتشاره، حيث إن هؤلاء التجار كانوا في المرحلة الأولى يجسدون حياة الجاهلية من كبرياء وغطرسة، وبانتشار الإسلام فيهم والذي غير من عاداتهم وتقاليدهم وقواعد حياتهم فقد أصبحوا يقومون بأداء الصلاة في أوقات معينة، بالإضافة إلى إخراج الصدقات والزكاة، وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين. [2]

فقد كان التاجر المسلم داعية لدينه، يجمع بين نشر الدعوة الإسلامية وبيع سلعته، فالتجارة من طبيعتها أن تصل التاجر بصلة وثيقة بمن يتعامل معهم، خاصة وإن كان يتحلى بالصدق والأمانة والخلق الحسن، وهذه المثل الأخلاقية السامية كثيراً ما تتوفر لدى التاجر المسلم الذي سرعان ما يلفت الأنظار إليه عند دخوله لقرية وثنية وذلك لكثرة وضوئه ونظافته، وانتظام أوقات صلاته وعبادته. [3]

---

(1) عبد الرحمن زكي: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقية الغربية، ص20.
(2) عطية مخزوم: دراسات، ص101، أحمد شلبي: نفس المرجع، ج 6، ص ص202، 203.
(3) سير توماس أرلوند: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وآخرين، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1970،ص391

ولبـــيان أثر التجار في خدمة الإسلام ونشره في أفريقيا أود أن أعطي مـــثالاً عـــن قافلـــة تجاريـــة للمسلمين تجتاز الحدود إلى بلاد الزنوج خلف الصحراء، فالقافلة تتكون من عشرات الرجال ومعهم البضائع المتنوعة التي تحملهـــا الجمال، وبعض الرجال لهم خبرة بالتجارة وبعضهم يقومون بحماية القافلة، وتحط القافلة أحمالها في مركز من المراكز التجارية، ويزاول التجار الـــتجارة مع الأهالي والتي أخذت في ظل الإسلام من الشرف والثقة دعامة لهـــا[1] ولا غـــرو، فالتاجر المسلم لا يستطيع أن ينسى وهو يعامل الآخرين قوله تعالى " ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم"،[2] وهذا وثق العلاقـــة بين التاجر المسلم وبين المشتري، وخلق لوناً من الجاذبية والتفاهم، وفي هذا الجو يتم تبادل السلع وتبادل الأفكار.

والحقيقة أن الإسلام بسماحته وملاءمته للفطرة الإنسانية قد وجد قبولاً بين الوثنيين في السودان الغربي بصفة عامة ومملكة غانا باعتبارها من أولى الممـــالك التي اعتنقت الدين الإسلامي بصفة خاصة، فبمجرد وصول التجار المســـلمين إلـــى تلـــك المـــناطق وتعاملهم مع أبنائها بما تمليه عليهم التعاليم الإســـلامية، ونتيجة لما تمتع به هؤلاء التجار من أخلاق إسلامية سامية نجد أن الإسلام قد انتشر، واعتنقته أعداد كبيرة من السوننك وهم الطبقة الحاكمة فيها.[3]

---

(1) أحمد شلبي: نفس المرجع، ج6، ص204، إبراهيم موسى جوب، نفس المرجع، ص176.
(2) سورة المطففين: الآيات من 1- 5.
(3) عـــبد العزيز العبيدي: مراكز الحضارة في السودان الغربي، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الرابع، مارس 1988 م، المركز الإســـلامي الإفريقي، ص69، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ص215، أحمـــد شلبي: نفس المرجـــع، ج 6، ص192.

وعلـــى ضوء ذلك فقد أخذت أفواج كبيرة من التجار المسلمين الدخول إلـــى غرب أفريقيا وارتبط أولئك التجار بصورة رئيسية مع غانا عبر طرق المنطقتيـــن الغربـــية والوسطى من الصحراء الغربية، وكانت طبيعة العمل التجاري تقتضي من التاجر التجول في مناطق متعددة داخل السودان الغربي من أجل الحصول على مختلف السلع التي يرغب في الحصول، عليها كما أن مواطـــن الذهب نفسها كانت في حدودها الجنوبية، فكان التجار يعبرونها من الشـــمال إلـــى الجـــنوب من أجل الوصول إلى مصادر الذهب كما استقرت مجموعـــة كبـــيرة من التجار في المراكز التجارية في مختلف أنحاء المملكة خاصة في المناطق الجنوبية، وكان معظم هذا الاستقرار في المدن والمراكز الكبرى حيث يتركز وكلاء التجار، وتنشط حركة التجارة كما كان يحدث في مدينة التجار في عاصمة المملكة. (1)

وعـــن المزيد من هذه الصلات التجارية التي كانت قائمة بين الشمال الإفريقـــي والســـودان الغربي بصفة عامة ومملكة غانا بصفة خاصة نود أن نـــورد بعـــض الأمـــثلة لـــنؤكد صحة تلك الاتصالات فقد ذكر أبو العباس الدرجيني (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) في مخطوطته – طـــبقات الإباضـــية – أن جد الشيخ علي بن يخلف النافوسي وهو من تجار الشـــمال الإفريقـــي قد سافر إلى مملكة غانا؛ لغرض التجارة وقد تمكن هذا التاجر من أن يقنع ملكها بالدخول في الإسلام. وعلى الرغم من أن الدرجيني لم يذكر لنا في مؤلفه اسم الملك الغاني الذي اعتنق الإسلام إلا أن ذلك يعطينا مؤشـــراً واضحاً على عمق الصلات التجارية بين شمال الصحراء وجنوبها، وعلـــى ما كان يتحلى به التاجر من أخلاق رفيعة وورع ديني عميق يحرك وجدانه من أجل نشر الإسلام في المناطق التي لم يصلها.(2)

---

(1) فيج. جي. دي: تاريخ غرب أفريقيا، ص42.

(2) أبـــو العباس أحمد الدرجيني: طبقات الإباضية، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة، رقم 1261، ورقة 214.

ويضـــيف الجغرافي العربي ابن حوقل 380 هـ/ 990م عن التجارة فـــي مملكة غانا فيقول : " وحاجتهم إلى ملوك أُودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام، فإنه لا قوام لهم إلا به".[1]

ويحدثنا السلاوي أيضاً عن العلاقة التجارية بين تجار المغرب وأهلها فـــيقول : " إن تجـــار المغـــرب كـــانوا يجتمعون في سجلماسة حاضرة بني مـــدرار، ثم يسيرون في قوافلهم إلى غانا، وكانوا يقطعون المسافة في ثلاثة أشـــهر ذهابـــاً وفـــي شهر ونصف إياباً، وكانوا يبيعون ما معهم من الأمتعة بالتبر".

وهـــذا يـــدل علـــى المكانـــة المرموقة التي يحظى بها تجار المغرب الأقصـــى، لما عرفوا به من الخلق الرفيع، والمعاملة الحسنة، والعلم الغزير، والإسلام الصادق.[2]

وإلـــى جانـــب ذلـــك كانت هناك مجموعة من الفقهاء قد انخرطت في العمل التجاري، فبعضهم اشتغل بالتجارة في نطاق ضيق يكفي لسد متطلباته البســيطة، وبالتالـــي فقـــد أصبح التاجر هو الوسيلة الرئيسية لدخول الإسلام بـــنطاق واســـع في كل أنحاء مملكة غانا، حتى ارتبطت التجارة مع انتشار الإسلام في السودان الغربي، لدرجة أصبح من العسير معها وضع حد فاصل بيـــن الـــدور الـــذي قام به التجار من جهة وبين الفقهاء الذين كانوا يدعون للإسلام من جهة أخرى، وغالباً ما يجتمع الدوران في نفس الرجل. [3]

---

(1) ابن حوقل: نفس المصدر، ص98.

(2) أحمـــد أبـــو العباس السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج5، الدار البضاء، 1954، ص99.

(3) عنايات الطحاوي: أفريقية الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1970، ص168.

وقـد أدى هذا الارتباط إلى ترادفات معاني كلمات رجل الدين والتاجر المسلم في كثير من اللغات واللهجات جندي الصحراء. [1]

وهكذا أتيحت للتجار فرصة العمل للدين والدنيا، فقاموا بدور كبير في نشر الإسلام، وبث تعاليمه عن طريق الاتصال المباشر بالسكان، فكان التاجر عند وصوله إلى المراكز الداخلية النائية يزوره السكان الوطنيون، كما يزوره كهنـتهم، ويلمسون في المسلم النظافة والأمانة والسلوك الحميد، [2] ومع كثرة تردد التجار ونشاط الحركة التجارية يزداد استيعاب المواطنين سكان المملكة للإسلام. [3]

ولـم يـتوقف انتشار الإسلام داخل مملكة غانا على التجار المسلمين العـرب والـبربر فقط، بل قام بذلك أيضاً التجار الوطنيون، فقد كان هؤلاء أكـثر تجـولاً في المناطق السواحلية بحثاً عن السلع، ليجمعوها في المراكز الكـبرى، وكانـت وسـيلة اتصالاتهم بالسكان أكبر من التجار الوافدين من الشمال، لمعرفتهم باللغات المحلية فقاموا بذلك بدور هام في نشر الإسلام في مختلف أنحاء المملكة. [4]

ب – الدعاة : –

واكبـت الفـتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب موجة من الدعاة الذين كان لهم دور كبير في تعليم الناس، ودعوتهم بما حملوه من علم وفقه.

---

(1) عنايات الطحاوي: نفس المرجع، ص54.

(2) شوقي الجمل: الحضارة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها، مجلة المـناهل المغربية، نوفمبر، 1976، ص140، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ص73.

(3) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ص55.

(4) عنايات الطحاوي: نفس المرجع، ص174.

والحقـيقة أن المصـادر التاريخية، تبخل علينا بالمعلومات عن حركة الدعـوة والدعاة في تلك الفترة، وربما يعود هذا الأمر إلى كون الدعوة جزء مـن حـياة المسلم، فكل المسلمين دعاة لهذا الدين، فهو تكليف عام، وواجب ديني لا يمكن إفراده بخبر أو حادثة معينة، ومن ناحية أخرى فإن الدعوة في الغالب تكون بقناعة شخصية، واندفاع من الإنسان نفسه. [1]

وكان الدعاة المسلمون في غرب أفريقيا يتطوعون للدعوة، ينفقون في سبيل نشرها من مالهم الخاص، وكانوا يعدون عملهم جهاداً في سبيل الله عن طـريق الحجة والموعظة الحسنة [2]، عملاً بقولـه تعالى : " ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " [3].

وقد قام هؤلاء الدعاة بنشاط كبير بعد أن توقفت الجيوش الفاتحة، فكان الداعـي المسـلم يتعقـب الجيش الفاتح ليكمل النقص في تحويل الناس إلى الإسـلام، وقد سهل نجاح هؤلاء الدعاة انتشار الإسلام في جهات كثيرة من القارة الأفريقية.

ويقـول سير توماس أرنولد : أن نجاح الرواد المسلمين سهل تأسيس دول إسـلامية علـى أنقاض دول وثنية، وحينما شق الإسلام طريقه نجد أن هناك الداعي المسلم حاملاً الدليل لعقائد هذا الدين [4]

---

(1) عـبد العزيـز بن راشد: وسائل انتشار الإسلام في أفريقية، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد السادس، فبراير 1990، المركز الإسلامي الإفريقي، ص41.
(2) محمد عبد القادر أحمد: المسلمون في غينيا، القاهرة، 1986، ص32.
(3) سورة النحل: الآية 125.
(4) نقلاً عن محمد عبد القادر أحمد: نفس المرجع، ص ص33، 34.

وقد زاد من تيسير جهود الدعاة في نشر الدعوة الإسلامية أن الاعتقاد بوجـود الله هو أساس الشعور الديني عند كثير من عبدة الأوثان، ويمكن أن يتحول في سهولة ويسر إلى الدين الإسلامي. [1]

وبالإضـافة إلـى ذلـك فإن هؤلاء الدعاة يستطيعون أن يمدوا القبائل الزنجية غير المسلمة بكثير من الحقائق المتعلقة بالله، والإنسان وكيفية خلقه، والجنة والنار، والبعث والخلود، والحياة والنشور، وذلك لأن الإسلام هو دين الفطرة البشرية، ودين سهل الممارسة.[2]

فالدعاة سواء كانوا من العرب أم من الوطنيين الأفارقة يعتبرون وسيلة من الوسائل التي ساعدت على ازدهار الحضارة العربية الإسلامية فقد كانوا يدعون الناس إلى الإسلام، ويفقهونهم في أمور دينهم، [3] وذلك بإمامة الناس فـي الصـلاة وخطـبة الجمعة، ويكلفون بجمع الزكاة، ويقبلون الصدقات، ويوزعونهـا علـى الفقـراء والمسـاكين، وينفقون منها على الصالح العام، ويعقـدون القـران، ويقـيمون حفلات الزواج، ويسمون المولود، وينحرون الأضـحية في الأعياد والمناسبات الدينية، ويغسلون الميت، ويتولون الإمامة في صلاة الجنازة، ويُحَفِّظُون الصغار القرآن، ويعلمونهم مبادئ الإسلام. [4]

كمـا أن هؤلاء الدعاة إذا استطاعوا إقناع شيخ القبيلة في الدخول إلى الديـن الإسلامي فإن القبيلة كلها تتبع شيخها في دخول الإسلام، وإقناع هذا

---

(1)
P. 28.

(2) عطـية مخـزوم: دراسـات، ص106، حسـن إبراهـيم حسـن: انتشار الإسلام، ص62، عبد الرحمن زكي: تاريخ الدول السودانية، ص53.

(3) جميلة التكيتك: نفس المرجع، ص158.

(4) أمطير سعد غيث: نفس المرجع، ص175.

الشـــيخ لـــم يكـــن عسيراً، وذلك لأن الإسلام يحافظ لـــه على مكانته مقابل التزامات يقوم بها ذلك الشيخ بدخوله الإسلام. [1]

ومـــن أمثلة ذلك : ما ذكره المؤرخون من أن الملك السوننكي تنكامين (455 هـــ/ 1063 م) والذي كان يحكم غانا عند فتح المرابطين لها قبل الدخـــول فـــي الإســـلام والخضـــوع لسلطان المرابطين، وأنه بإسلامه دخل الكثـــيرون مـــن ســـكان العاصـــمة وغـــيرها من المدن الغانية في الإسلام، واشـــتهرت بعض هذه المدن بكثرة عدد المسلمين فيها، ومنها غيارو القريبة من نهر النيجر، وكذلك يرسني الواقعة إلى الغرب من غيارو. [2]

وبالإضـــافة إلـــى ذلـــك فقـــد زودنا البكري بحقيقة أخرى وهي أن ملك الـــتكرور ورجابي بن دابيس (432 هـ/ 1040 م) قد اعتنق الإسلام، ومن الواضـــح أن إســـلام هـــذا الملك قد حدث في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حيث نعلم أنه توفى عام 432 هـ/ 1040 م، وطلب هذا الملك من الرعية الدخول في الإسلام، وبالتالي فقد تبعه الكثير من أتباعه.[3]

كما ذكرت الروايات التاريخية من أن ملك أودغست تيبوتان كان شديد الحماس لنشر الإسلام واللغة العربية بين قومه وبين الزنوج المجاورين لـــه من ناحية الجنوب. [4]

هـــذا بالإضـــافة إلى ما ذكرته كتب الطبقات من اتصال بعض أولئك الفقهاء بالملوك، وكيف أنهم تمكنوا من إقناع بعض الملوك بالإسلام فأسلموا، وقد وردت روايتان عن مثل هذه الاتصالات في المصادر الإباضية.

---

(1) عطية مخزوم: دراسات، ص106، أحمد شلبي: نفس المرجع، ج 6، ص164.
(2) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص47، 48.
(3) البكري: المغرب، ص172.
(4) السير سيد أحمد العراقي: انتشار اللغة العربية في غربي أفريقيا عبر التاريخ، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد الأول، يوليو 1985، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، ص104.

فالـــرواية الأولى ذكرها الشماخي (928 هــ/ 1522 م) عن الشيخ يحيى بن أبي القاسم الفرسطائي، [1] وهو من الأعلام الليبيين الذين أدوا دوراً علمـــياً بـــارزاً في المنطقة، فقد ذكر أن أبا يحيى قد سافر إلى بلاد السودان، واجـــتمع بملـــك الســـودان الذي كان ضعيفاً نحيل الجسم بسبب التفكير في المـــوت، ويورد النص كيف أن أبا يحيى تمكن من إقناع الملك بالإسلام بعد أن عرفه بالله وشرح لـــه الثواب والعقاب. [2]

والـــرواية الثانية ذكرها الشماخي كذلك ويتحدث عن سفر الشيخ على بن يخلف النفوسي، وهو كذلك من الأعلام الليبيين الذين أدوا دوراً بارزاً في نشـــر الإسلام وبالتحديد في عام 575 هــ/ 1179 م، فقد ذكر الشماخي أنه سافر إلى داخل غانا، وكانت لـــه مكانة عند ملكها، وكان عظيماً، وتحته اثنا عشـــر معدنـــاً يستخرج منها التبر، وتذكر الرواية أن أرض الملك أجدبت، فاشـــتكى الرعـــية والســـلطان، واستغاث المواطنون بأصنامهم لكن لم يهطل المطـــر، وكـــان الشيخ علي ضيفاً على الملك فأخبره الملك بما ألم بهم، فقال لـــه الشـــيخ علـــي : لو آمنت بالله لرجوت لك الفرج، وشرح لـــه الإسلام وتعالـــيمه، فآمـــن الملك وقام يصلي مع الشيخ يدعوا الله، فانفرجت أزمتهم وهطلت الأمطار. [3]

وتتفق أحداث الرواية عند البكري والشماخي، غير أن البكري أوردها مختصرة، ولم يذكر اسم الفقيه، وذكر أن الملك أصبح يعرف بالمسلماني. [4]

---

(1) ذكر علي يحيى معمر أن أبايحيى من علماء فزان وتوفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، 1964، ص81.

(2) أبو العباس أحمد بن سعد الشماخي: السير الإباضية، طبعة قسنطينة، ص312.

(3) الشماخي: كتاب السير، مخطوط، دار الكتب، القاهرة، تاريخ 769، ورقة 170.

(4) الـــبكري: المســـالك والممالك، تحقيق إدريان فان ليوفن، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ص875.

ووردت نفس الرواية بتفاصيل أحداثها عند الدرجيني القرن 7 هـ/ 13 م، غير أن الدرجيني جعل اسم الفقيه أبا الربيع سليمان بن عبد السلام بن يخلف، وذكر أن أحداث القصة وقعت عام 575 هـ/ 1179م.(1)

وما دامت رواية الدرجيني المتوفي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي اتفقت مع رواية البكري، فإن ذلك يوضح أن القصة كانت معروفة في عصر البكري في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وقد كانت أسرة بن يخلف مشهورة بالعلم، وظهر بين أفرادها الكثير من الفقهاء المشهورين منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.(2)

وذكر الشماخي أن الشيخ أبا الربيع سليمان بن يخلف توفي عام 471 هـ/ 1094م (3)، فقد يكون هذا هو الشيخ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن يخلف الذي جاء عند الدرجيني.

وعن جهود الدعاة ودورهم في نشر الإسلام بمملكة غانا تذكر لنا الروايات التاريخية فقيهين كبيرين كان لهما دوراً بارزاً في تعليم وتفقيه أهالي مملكة غانا بالتعاليم الإسلامية، ومن هؤلاء العلماء الشيخ موسى هارون بن أبي عمران، والشيخ فلحون بن اسحاق اللذين سافرا إلى مملكة غانا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث أخذ هذان الفقيهان على عاتقهما نشر مبادئ الدين الإسلامي الحنيف إلى أن توفيا هناك.(4)

---

(1) أبي العباس الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، حققه إبراهيم صلابي، ج 2، طبعة البعث، ص517.
(2) الشماخي: السير الأباضية، ص ص375، 412، 413.
(3) الشماخي: السير الأباضية، ص414.
(4) الشماخي: السير الأباضية، ص ص472، 473.

وخلاصة القول فإنه نظراً للتشجيع الكبير الذي حظى به هؤلاء الدعاة من قبل الملوك المسلمين السودانيين تفاوت هؤلاء الدعاة المحسنون في تأسيس المدارس والخلاوي، والتي صارت قبلة لأبناء المسلمين دون تمييز، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية على نطاق واسع، وأصبحت هذه المدارس والخلاوي تتكاثر وتزدهر، حتى أن بعضها أضحى مركز إشعاع حضاري يستقطب أبناء غانا وأبناء السودان الغربي بصفة عامة.[1]

جـ- دور المرابطين : -

لقد كان لجهاد المرابطين في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بحوض السنغال دور بارز في نشر دعائم الدين الإسلامي الحنيف.

فقد استطاعت هذه القبائل التوغل نحو الجنوب؛ وذلك لاستكمال الدور الذي قام به التجار والدعاة معاً، ودفع عجلة انتشار الإسلام دفعات قوية إلى الأمام، حتى أصبحت منطقة جنوب الصحراء بلاداً إسلامية.[2]

وبالتالي فقد ارتبطت حركة انتشار الإسلام في جنوب الصحراء بصفة عامة ومملكة غانا بصفة خاصة بانتشاره بين سكان شمال أفريقيا، حيث كانت العلاقات الثقافية والتجارية وثيقة بين الطرفين.[3]

والمرابطون هم صنهاجة الجنوب، اتخذوا اللثام على وجوههم وصار شعاراً لهم، عاشوا في صحراء المغرب الأقصى بين جنوبي المغرب الأقصى والمناطق المدارية حتى السنغال إلى بلاد السودان، يعيشون على الأنعام، يركبوها في تنقلاتهم، ويتغذون من ألبانها ولحومها.[4]

(1) أمطير سعد: نفس المرجع، ص174.
(2) عبد الفتاح الغنيمي: نفس المرجع، ص184.
(3) عطية مخزوم: دراسات، ص244.
(4) محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، 1999، ص23.

ومـــن أهم قبائل صنهاجة اللثام : جدالة، ولمثونة، ومسوفة، وقد دخلوا الإســـلام فـــي القرنيـــن الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين، وحملـــوا رايـــته، ونشـــروا دعوة التوحيد بين القبائل في الجنوب حتى بلاد السودان. [1]

وعـــن سبب تسمية هؤلاء المجاهدين بالمرابطين تذكر المراجع : أنه عندما لقي عبد الله بن ياسين في دعوته إلى الإسلام صعوبة بالغة وشاقة من قـــبائله فإنه قرر الرحيل هو وتلاميذه (وكانوا مجموعة قليلة العدد من وجوه صنهاجة المخلصين لـــه) إلى جزيرة النيجر للعبادة حتى تمكن الإسلام من قلوبهـــم، فلـــم تمـــر عليه أيام حتى اجتمع لـــه من تلاميذه نحو ألف رجل، فسماهم بالمرابطين للزومهم رباطه، حيث إن المكان الذي اعتزل فيه هؤلاء كـــان يســـمى بالرباط، وهو مصطلح يعني الاستعداد لإعلاء كلمة الله وبث تعاليمه، وهو يعني أيضاً جهاد النفس. [2]

ومـــن ذلـــك جـــاء قول الله تعالى في كتابه العزيز : " واعدوا لهم ما اســـتطعتم مـــن قـــوة ومـــن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " [3]، وقولـــه : " يأيهـــا الذيـــن آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ". [4]

وقـــد ظهـــر مـــن بين صفوفهم في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي عرف بالتقوى، والصلاح، وبعد النظر، ورجاحة العقل، مما يؤهله لأن يحمل رسالة إصلاح بين القبائل. [5]

---

(1) محمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة، دار الكتاب اللبناني، 1960، ص62.

(2) عطية مخزوم: دراسات، ص113، حسن أحمد محمود: قيام دولـــة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1975، ص ص140، 141.

(3) سورة الأنفال: الآية 60.

(4) سورة آل عمران: الآية 200.

(5) عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، القاهرة، 1956، ص82.

بـــدأ يحـــيى بن إبراهيم رحلته بالبحث عن أصول الدين، وفي عودته اتجـــه إلى القيروان عام 427 هـــ/ 1035 م، وتقابل مع آل عمران الفاسي، وتلقـــى مـــنه العلـــم ثـــم طلب منه أن يرشح من تلاميذه فقيهاً يصحبه إلى بـــلاده : ليعمل على نشر علوم الدين بين صنهاجة اللثام، ويهديهم إلى طريق الصلاح.[1]

أرســـل أبـــو عمران [2] إلى الأمير يحيى أحد تلاميذه وهو وجاج بن زولـــو مـــن فقهاء المغرب الأقصى، ليختار أحد تلاميذه ليرافق الأمير يحيى إلى بلاده ليعلم الناس الدين الصحيح. [3]

تقـــابل الأمير يحيى مع الفقيه المالكي وجاج في سجلماسة واختار وجاج الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي الصنهاجي؛ ليرافق الأمير يحيى الجدالي في رحلة العودة.[4]

إن الحديـــث عن جهاد المرابطين في نشر الإسلام بمملكة غانا يحتاج إلـــى جهـــد كبـــير، وعمـــل جيد، وذلك لأن هذه السطور لن تعطي هؤلاء المجاهديـــن في سبيل الله حقهم، ولكن مع هذا سوف نحاول إعطاء نبذة ولو مختصرة عن دورهم في نشر الإسلام بغانا.

---

(1) عـــبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، القاهرة، 1967، ص165، أمطير سعد غيث: نفس المرجع، ص53.

(2) هو الفقيه أبوعمران بن الحاج الفاسي رحل من فاس إلى القيروان فأقام وأخذ بها العلم ورحل إلـــى قرطـــبة وبغـــداد ثـــم عـــاد إلى القيروان حيث توفي هناك عام 430 هـــ/ 1038 م، عـــبد القـــادر زمـــامة: أبوعمـــران الفاسي، مجلة البينة، العدد الثـــالث، 1962، الرباط، ص85.

(3) عـــبده بـــدوي: مـــع حـــركة الإســـلام في أفريقية (دراسة من خلال الدول التي قامت قبل الاســـتعمار)، الهيـــئة المصـــرية العامة، القاهرة، 1970، ص152، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص43.

(4) عـــبد الحمـــيد يونس، نفس المرجع، ص87، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ص107، مادهو بانيكار: نفس المرجع، ص74، أمطير سعد: نفس المرجع، ص53.

فقد كان إسلام قبائل الملثمين في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ذا أثــر في تاريخ المغرب والسودان الغربي، إذ أدى ذلك إلى قيام تعاون قوي ووحــدة متماســكة تجمــع الملثمين جميعهم بزعامة قبيلة لمتونة، وكانت هذه الوحــدة في ظل الإسلام بداية موجة من التوسع صوب غانا لنشر الإسلام بين القــبائل الزنجــية، وكان لابد أن تواجه إمبراطورية غانا التي وصلت في ذلك الوقــت إلى أوج قوتها وتوسعها وفرض نفوذها بالقوة على القوة الإسلامية في أودغست، هذا المد الإسلامي القادم من الشمال الإفريقي.[1]

وقــد ســلك المرابطون طريقهم إلى غانا لنشر الإسلام من خلال عدة طــرق أهمها : الطريق الساحلي والذي اخترق نهر السنغال وسار بعد ذلك علــى طــول الســاحل وهو الطريق الذي اتخذوه في حركتهم نحو الجنوب والغرب.

أمــا الطــريق الثاني : فكان عبر الطرق التجارية الممتدة في الصحراء الكــبرى بيــن شــمال القارة وغربها، وكان لهذا الطريق دور بارز في انتقال الــتجارة ورجال الدين الذين أخذوا على عاتقهم نشر دعائم الدين الإسلامي في الجزء الغربي من القارة.[2]

وعلــى ضــوء ذلك فقد سجل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر المــيلادي أكبر حركة لانتشار الإسلام في غرب أفريقيا بصفة عامة ومملكة غانــا بضــفة خاصة، إذ قام المرابطون عن طريق الدعوة والفتح برفع لواء الديــن الإســلامي فــي حــوض السنغال بقيادة الفقيه والعلامة عبد الله بن ياسين.[3]

---

(1) الغنيمي: نفس المرجع، ص88.

(2) عبد الله عبد الرازق إبراهيم، وآخرون: دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1998، ص ص5، 6.

(3) أبــو الحســن علــي بن عبد الله ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، الرباط، 1973، ص81.

عبد الله بن ياسين : -

هــو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير علي الصنهاجي اللثامي، [1] ولد في قرية تيمامانوت في طرف صحراء مدينة غانا، أي في أحواز مدينة أودغست، [2] وسافر إلى الأندلس في عام 400 هـ/ 1069م في عهد ملوك الطوائف، وتعلم من أئمة العصر وأعلام الفكر الكثير من العلوم، ثم عاد إلى المغرب الأقصى، وقابل فقيه السوس وجاج اللمطي العالم الزاهد. [3]

وقــد كان شيخنا من الفقهاء النابهين، المتأثرين بمبادئ فقهاء المالكية مــثل الــبعد عــن السلطان والزهد والتقشف، والإيواء إلى الرباط تقرباً إلى الله.[4]

لم يشارك عبد الله بن ياسين قومه في حياتهم المعيشية، فقد كان يتورع عن أكل لحومهم وشرب ألبانهم؛ لإحساسه بأنها غير حلال وكانت عيشته من صيد البرية، والتقرب إلى الله بترويض النفس على الصبر، وقد تركت سيرته في نفوس الناس أثراً بعيداً، حتى أنهم نسجوا حوله الكثير من القصص والتي رفعت من مكانته، وجعلته في مرتبة الأولياء.[5]

وقــد رحــل عبد الله بن ياسين إلى قبائل لمتونة، فأعجبوا به، والتفوا حــوله، ولما رأوا انه يحرض عبيدهم عليهم بدعوته إلى المساواة بين البشر وجــدوا أن وجوده خطر عليهم، فانفضوا من حوله، بل أنهم فعلوا أكثر من هذا اعتزلوه، وأبعدوه عن ديارهم. [6]

---

(1) محمد يوسف مقلد: نفس المرجع، ص63.

(2) عصــمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص62.

(3) عــبد الله خورشيد: نفس المرجع، ص ص161، 162، أمطير سعد غيث: نفس المرجع، ص 54، فيج. جي. دي: نفس المرجع، ص48.

(4) دندش: نفس المرجع، ص64.

(5) دندش: نفس المرجع، ص66.

(6) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ص117، 120.

ولمـــا لـــم يجـــد استجابة من سامعيه وانصرافهم عنه قرر بناء رباط، واختلف المؤرخون في تحديد مكانه، فمنهم من يرى أن هذا الرباط كان على ربوة يحيط بها النيل من جميع الجهات : " ضحضاحاً في الصيف وغمراً في الشـــتاء فتعود جزراً متقطعة "[1] وفريق ثاني يرى أن الرباط الذي أقامه عبد الله بـــن ياسين للعبادة كان في جزيرة بمنحنى نهر النيجر على مسافة قريبة من تمبكت. [2]

ومـــن خلال الدراسة والتمحيص والنقد لهذه الآراء أرى أن الآراء التي رجحـــت أن المقصود بالنيل ربما يكون نهر السنغال أو نهر النيجر بعيدة عما قصـــده بن خلدون، إذ أنه ذكر أن هذا النيل : " ضحضاحاً في الصيف وغمراً فـــي الشتاء " وهذا لا يتفق مع مائية نهري السنغال والنيجر إذ أن هذه الأنهار تفيض في الصيف.

ولـــذا فإنـــي أرجـــح أن هـــذا الرباط أقيم في أحد الأودية على حافة الصحراء الجنوبية، إذ المعروف أن هذه الأودية تغمرها المياه شتاءاً، وينتشر بهـــا الجفاف صيفاً، وهذا ما يتفق مع ابن خلدون : " ضحضاحاً في الصيف وغمراً في الشتاء".

وقـــد بدأ عبد الله بن ياسين في هذه الجزيرة العمل على خلق جيل جديد يُعِدُّهـــم لحـــياة شـــاقة في الجهاد، ويعدهم للحرب، ويبقى في نفوسهم الإسلام الصـــحيح، ويخلـــق منهم جماعة فدائية تعمل على إحياء السنة، والقضاء على المفاســـد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيق الوحدة بين الملثمين، ولمـــا زاد عـــدد أنصـــاره من المرابطين خرج من رباطه لتنفيذ هذه السياسة بالجهاد؛ لإعلاء كلمة الله بغرب أفريقيا. [3]

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص183.

(2) محمـــد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، 1964، ص38.

(3) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ص214.

فقـــد قال لأنصاره أخرجوا على بركة الله، وانذروا قومكم، وأنذروهم عقاب الله، وأبلغوهم حجته، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم، وإن أبوا ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. (1)

فســار إلـــى الشرق حتى منحنى نهر النيجر، ودخل مدينة أودغست، وانـــتزعها من ملوك غانا، ونجح نظامه الجديد في هذه المعارك نجاحاً بعيد الأثـــر، واستبســلوا استبسالاً لم يعرفه الملثمون من قبل، وكان ذلك في عام 441 هـــ/ 1045م.

ثـــم جـــاوز أودغست جنوباً، بدليل ما يذكره المؤرخون من أن رئيس التكرور حالف المرابطين، وحارب إلى جوارهم، وقد استطاع ابن ياسين بعد جهـــاد دام أكثر من خمس عشرة سنة أن يستولي على القسم الأكبر من غانا، وأن يضمه إلى دولة المرابطين النامية.(2)

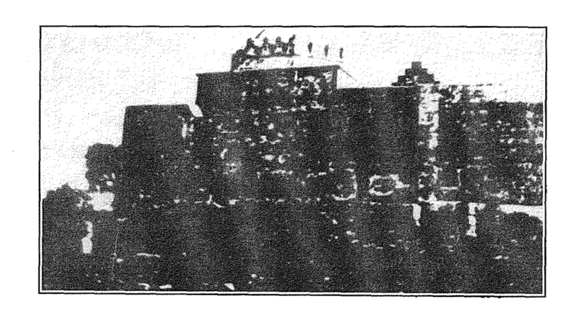
ولقـــد كـــان إسلام ملوك غانا دافعاً قوياً لنشر الدعوة الإسلامية؛ لأنهم أخلصوا لدعوتهم، وصدقوا في اعتناقهم الإسلام، وقاموا بدورهم في الجهاد، ونشـــر رايات التوحيد بوسائلهم الخاصة، فكانت دعوة المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين بداية قوية تركت بصماتها، وظهرت آثارها، وامتد نفوذها على الـــرغم مـــن انتشار الدين الإسلامي في مناطق كثيرة من غرب أفريقيا، وقد نتج عن تلك الحركة الجهادية أن تأسست المدن الجديدة التي صارت منارات العلـــم والإيمان، فظهرت مدينة تمبكت التي أصبحت حاضرة للثقافة العربية فـــي غرب أفريقيا في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

---

(1) ابن أبي زرع: نفس المصدر، ص125.

(2) حســـن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ص ص214، 215، دندش: دور المرابطين، ص81.

كمـــا ظهـــرت مدينة جنى التي أسلم أهلها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. [1]



شكل رقم (6)

قبر عبد الله بن ياسين بمنطقة كريفلة بالمغرب

المصدر : عصمت عبد اللطيف دندش. دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا ، ص89

---

(1) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر ، 1999، ص15.

وتخـــبرنا المصـــادر التاريخية أن الإمام عبد الله بن ياسين قد استشهد وهو يقاتل قبائل برغواطة بالمغرب الأقصى، وتولى من بعده القيادة الروحية والسياســية للمرابطيــن الأمير أبو بكر بن عمر الذي لعب دوراً أساسياً في تاريخ الحركة المرابطية، وبعد أن حقق ابن عمر انتصارات في الشمال قرر العودة إلى الجنوب، ليلعب دوراً هاماً في مسار الأحداث وكان ذلك عام 451 هـ/ 1059م. (1)

أبو بكر بن عمر : -

هو الأمير أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن ورتناطق، (2) كان من أوائل المرابطيــن الذيــن صاحبوا عبد الله بن ياسين إلى رباطه فعاش في رباط ابن ياسين منفذاً لتعاليمه، ومطيعاً لأوامره، يسري عليه ما يسري على الآخرين من أفراد الرباط.(3)

لقــد تابع الأمير أبو بكر الخطة الجهادية والتي كان عبد الله بن ياسين قــد رســمها لــه، حيث كان يجمع بين الزعامتين الدينية والسياسية، ولكن الصــفة السياســية للأمير أخذت تغلب على صفته الدينية، وذلك لأن الدولة كانــت تمــر بــدور الجهاد والكفاح والذي يتطلب حزماً واسع الأفق وحسن التوجــيه، فلمــا تشعبت مهام أبي بكر بن عمر ببلاد المغرب، وثقل العبء علــيه، اعــتمد علــى ابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين، فجعله على مقدمة الجيش الغازي لإقليم السوس.(4)

---

(1) أمطــير ســعد غيــث: نفــس المــرجع، ص55، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص44، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي،ج 6، ص108، عبده بدوي: نفس المرجع، ص52.
(2) لسان الدين ابن الخطيب: نفس المصدر، ج3، ص231.
(3) البكري: المغرب، ص169، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص122.
(4) ابــن عــذارى المراكشي: نفس المصدر، ج4، ص ص15، 20، 21، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص75، أحمد شلبي: نفس المرجع، ص109.

ثـم اتجه بعد ذلك جنوباً نحو الصحراء، فكان الهدف الذي كرس لـه الأمير أبو بكر جهوده هو الاستيلاء على غانا، وإخضاعها للمرابطين؛ لتكون لهم السيطرة على الطرق المؤدية إلى منابع الذهب في الجنوب.

وبالتالـي فقد خرج على رأس جيش من المرابطين، وكان ابنه الأمير يحيى على رأس جيش آخر.[1]

وقد كانت وجهة الجيشين هذه المرة نحو مملكة غانا نفسها، وقد تقدمت الجـيوش المرابطـية في أراضي مملكة غانا تستولى على مدنها الواحدة تلو الأخرى، وكان الأمير أبو بكر بن عمر يخير أهل البلاد المفتوحة بين اعتناق الإسـلام والحرب، وأخيراً ضاق الحصار على العاصمة الغانية فسقطت في أيدي المرابطين عام 469 هـ/ 1076م. [2]

وقـد قـتل عـدد كبـير مـن شعب السوننكي، واعتنق بقية السكان الإسلام.[3] وقد سمح الأمير أبو بكر بن عمر لملك غانا أن يستمر في حكمه تابعاً للمرابطين، ومن المحتمل أن يكون هذا الملك قد اعتنق الإسلام وإلا لما وافق الأمير أبو بكر على تركه يحكم غانا باسم المرابطين.

وكعـادة المرابطين في حرصهم على نشر الإسلام قام الأمير أبو بكر بن عمر ببناء الرباطات، وبناء المساجد، فكثر عدد الداخلين في الإسلام.

وقـد تـرك الأمير أبو بكر أمر إمبراطورية غانا لابنه يحيى يتابع نشر الإسلام بها، وفي ذلك يقول صاحب الحلل الموشية 658 هـ/ 1259م : "وأسلم

---

(1) مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تونس، ص7.

(2) الحلل الموشية، ص7، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص45.

- J. D. Fage. Ghana a historical interpretation, Un. Wisconsin Press 1966, p 335.

AWE, Bolanle, Empires of Western Sudan, A Thousand Years of West African History, Ibadan Univ. - 3 Press Ibadan, 1967, P. 69.

أهـــل غانا وحسن إسلامهم عند خروج الأمير أبي يحيى ابن الأمير أبي بكر بن عمر اللمثوني إليهم."[1]

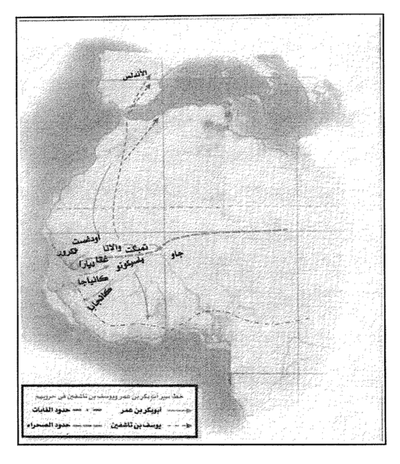
وقـــد تابع الأمير أبو بكر بن عمر سيره إلى بلاد وانقارة حيث مناجم الذهب، وأقنع الكثير من أهل هذه البلاد بالدخول في الإسلام.[2]

وبيـــنما كـــان الأمير أبو بكر يصلي سدد إليه أحد الجنود السود سهماً مســـموماً فقـــتله عـــام 480 هـــ/ 1087م. [3] فقد أرسل أحد زعماء قبائل الموســـى بداهومي الجنوبية بعض أتباعه إلى منطقة التكانت ومعه السحرة، ووصل الشخص الموكل إليه اغتيال الزعيم حيث كان الأمير أبو بكر يصلي في مكان ويدعى المقاسم،[4] سدد إلى ظهره سهماً مسموماً فمات شهيداً.[5]

وفـــي خضـــم هـــذه الأوضاع السيئة التي حلت بالمرابطين في غانا اســـتطاعت قبائل السوننكي القاطنة في إقليم الصوصو التابع لها أن تعلن اســـتقلالها بعـــد أن فرغ لها الجو أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشـــر الميلادي، بعدما تلقت الضربات المؤلمة على أيدي المرابطين عام 469 هـــ/ 1076م.[6]

(1) الحلـــل المؤشية، ص7، أمين الطيبي: دور المرابطين في نشر الإسلام، مجلة الثقافة العربية، العدد 2، السنة الرابعة عشر، 1987، ص25.
(2) أحمد أبوالعباس السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 5، ص100.
(3) ابـــن خلدون: العبر، ج6، ص184، الناصري، ج6، ص22، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص225
مجهـــول: محاضـــرات في تاريخ أفريقيا، ص28، الهادي الدالي: مملكة مالي، ص20، أمين الطيبي: دور المرابطين، ص24.
(4) المقاســـم: تقـــع علـــى بعد 55 كم من مدينة تنجكجة عاصمة التكانت، محمد أحمد المغربي: موريتانيا ومشاعل المغرب الأفريقية، الرباط، 1964، ص92.
(5) محمد أحمد المغربي: نفس المرجع، ص92، فيج. جي. دي: نفس المرجع، ص50.
(6) الهادي الدالي: مملكة مالي، ص20، أمطير: نفس المرجع، ص59.

وبالرغم من أن حركة المرابطين قد أدت إلى إضعاف غانا سياسياً وأن سـيادة المرابطيـن فيها لم تستمر طويلاً فسرعان ما تخلصت من هذه السيادة على أثر وفاة أبي بكر بن عمر عام 480 هـ/ 1087م. إلا أن هذه الحركة قد كانت بعيدة الأثر في ازدهار الإسلام وزيادة انتشاره وتقوية البنية الإسلامية.(1)



شكل رقم (7)

خط سير أبو بكر بن عمرو ويوسف بن تاشفين في حروبهم ضد مملكة غانا

المصدر : عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين، ص113

---

(1) مجهـول: محاضـرات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ص28، الهادي الدالي: التاريخ السياسـي، ص45، إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص47، محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص26، أحمد شلبي: نفس المرجع، ج 6، ص109.

وقد وصف الغرناطي 566 هـ/ 1170م إسلام أهلها ومدى محافظتهم على أداء فروض الدين بقولـــه : " وأهل غانا أحسن السودان سيرة وأجملهم صوراً، سبط الشعور، لهم عقول فهم يحجون إلى مكة ".[1]

يوسف بن تاشفين : -

هـــو يوســـف بن تاشفين بن إبراهيم بن تارقان الصنهاجي الحميري، ويتضح من اسمه أنه ينتسب إلى قبيلة صنهاجة الغربية،[2] ولد في عام 400 هـــــ/ 1009 م، وترعـــرع بين بدو صنهاجة،[3] وكان متوسط الحجم، يميل جلده إلى البني الفاتح، أسود العينين، وكان موضع حسد معاصريه لما يتمتع بـــه مـــن خلق رصين وعقل راجح، كما عرف ببصيرته الثاقبة وقدرته على البت في الأمور وبشيماته، وكان يميل إلى الاعتدال، ويكره الترف والبذخ في مسكنه وملبسه، وكان غذاؤه اليومي من خبز الشعير وحليب الإبل.[4]

وقـــد تولـــى زعامة المرابطين بعد استشهاد الأمير أبو بكر بن عمر، واســـتطاع ضم بلاد المغرب إلى دولة المرابطين، وتحرير بلاد الأندلس من ســـيطرة المســـيحيين بقـــيادة ألفونســـو السادس بعد أن أحدثوا بها الخراب والدمار.[5]

---

(1) أبـــو حـــامد محمـــد بـــن عبد الرحيم الأندلسي الغرناطي: كتاب تحفة الألباب، نشره فرارد، باريس، 1925، ص42.

(2) محمد صالح منصور: العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1995، ص ص45، 46.

(3) محمد صالح: نفس المرجع، ص ص46، 47.

(4) محمد صالح: نفس المرجع، ص46.

(5) عـــبد الواحـــد المراكشـــي: المعجـــب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1949، ص ص162، 163، ابن الخطيب، نفس المصدر، ج2، ص ص157، 170.

كانـــت أول المشـــاكل التي واجهت الأمير يوسف بن تاشفين بعد وفاة الأمـــير أبـــي بكر بن عمر هو الصراع على السلطة، حيث إنه بعد وفاة أبي بكـــر بـــن عمر خرج ابنه الأمير إبراهيم بن أبي بكر من الصحراء قاصداً الشمال يطالب بملك أبيه. وعندما سمع أمير المسلمين بمطالب الأمير إبراهيم أرســـل لـــــه أحد أتباعه فهادنه، ونصحه بعدم الدخول في خلاف مع الأمير يوســـف بن تاشفين، وقد اقتنع الأمير إبراهيم بهذه النصيحة وعدل عن رأيه. حيث إن الأمير يوسف بن تاشفين كان يعلم عدم خطورة الأمير إبراهيم، فلم يحرص على لقائه، وفضل استمالته بالمال والاعتماد عليه في الصحراء.[1]

وفي هذه الظروف تمكنت بعض الولايات التي كانت تابعة لمملكة غانا من الاستقلال بحكمها مثل : انبارة، وولايات ديارا، وكانياجا.

لقد كانت لتلك الحوادث والوقائع في جنوب الصحراء آثارها السيئة في الشـــمال، فتخلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عن أمور الأندلس لبعض الوقـــت؛ لكـــي يســـتطيع القضـــاء على هذه الثورات، وقد نجحت الجيوش المرابطية في إخماد نار هذه الحركات والقضاء على زعمائها.

وعلـــى ضوء ذلك فقد عاد الهدوء مرة أخرى إلى الصحراء، ورجعت غانا لتبعية المرابطين.[2]

إن هـــذه الثورات والحركات التي قامت بها مملكة غانا لم تكن في حد ذاتها ثورة على الإسلام، وإنما كان مضمونها هو الاستقلال بحكمها، والدليل علـــى ذلك أنه عندما تم إضعاف مملكة غانا ازداد عدد الداخلين في الإسلام، وقـــام شـــعب هـــذه المملكـــة بدورهم في نشر مبادئ الدين الإسلامي، حتى اشتهروا بحماسهم في نشر العقيدة الإسلامية في السودان الغربي.

---

(1) ابن عذارى: نفس المصدر، ج4، ص ص29، 30.

(2) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ص224، 225.

وهـــذا مـــا يؤكـــده مؤرخـــنا ابن سعيد 685 هــ/ 1286م في كتابه الجغرافـــيا حيـــث يقول : "وهو – أي ملك غانا – كثير الجهاد للكفار وبذلك عرف بيته".[1]

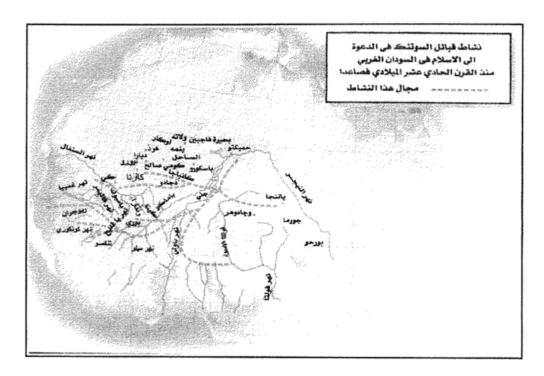
وعلـــى ضوء ذلك فقد أثمرت الجهود التي قامت بها الحركة المرابطية بقـــيادة الأمير يوسف بن تاشفين أن أصبح الإسلام يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى مملكة الكانم والبرنو شرقاً، وبذلك تحولت غالبية الشعب الغاني إلى الإســـلام، وشـــربوا حضارته وثقافته الراقية، وتأثروا بتقاليده وقيمه الرفيعة، واقتبســـوا مـــن نظمـــه، وأفادوا من خبرات العرب والبربر الذين خالطوهم واتصلوا بهم.[2]

إن الأمـــير يوســـف بن تاشفين لم يتمتع بالانتصارات التي حققها في عهـــده حيـــث إنـــه فـــي عـــام 498 هــ/ 1104م أصيب بمرض لم يشفَ منه،وتوفي على أثره عام 500 هــ/ 1106م. [3]

(1) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص92.

(2) عبد الفتاح الغنيمي: نفس المرجع، ص89.

(3) عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص170، ابن عذارى: نفس المصدر، ج4، ص ص44، 45، الحلـــل الموشـــية، ص60، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص156، ابن الخطيب: نفس المصـــدر، ج3، ص252، ابـــن خلدون: العبر، ج 6، ص188، أبو العباس شمس الدين أحمد: وفـــيات الأعـــيان وأنباء أنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج7، دار الثقافة، بيروت، 1967، ص125، ابـــن الأثـــير: الكـــامل في التاريخ، ج8، ص ص236، 237، محمد بن أبو القاسم القيروانـــي بن أبي دينار: المؤنس في تاريخ أفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونـــس، ص105، الناصري: الاستقصاء، ج2، ص60، محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص54.

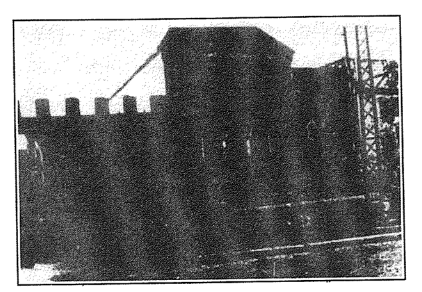


شكل رقم (8)

نشاط قبائل السوننك في الدعوة إلى الإسلام

في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر

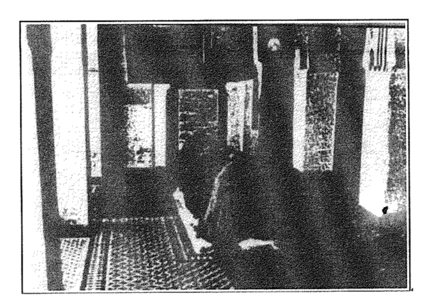
المصدر : إبراهيم طرخان ، إمبراطورية غانا ، ص50



شكل رقم (9)

واجهة قبر يوسف بن تاشفين من مراكش

المصدر : دندش، ص129



شكل رقم (10)

قبر يوسف بن تاشفين من الداخل

المصدر : دندش، دور المرابطين، ص129

2 – الحياة الثقافية والاجتماعية بمملكة غانا الإسلامية

أ – التعليم.

ب – المراكز الثقافية والثقافة الإسلامية في المنطقة.

جـ– الأنماط الاجتماعية.

أ – التعليم : –

بدأت حركة التعليم في مملكة غانا مع بداية انتشار الإسلام في المناطق التـــي استقر بها أعداد من المسلمين؛ وذلك لأن التعليم في ذلك الوقت ارتبط بقـــيام المســـاجد، فحيـــثما وجد المسجد تبدأ حركة التعليم، وتشير الروايات المحلـــية فـــي السودان الغربي إلى أنه كان بعاصمتها (في العقد السابع من القـــرن الأول الهجري) اثنا عشر مسجداً وهذا يعكس لنا جزءاً من الحقيقة، وهي قدم إنشاء المساجد بها وهو أمر طبيعي بوصول المسلمين، ويدل انتشار المســـاجد فـــي مملكة غانا على انتشار حلقات التدريس، وكانت تلك المساجد تقتصـــر فـــي طورها الأول على الضرورات التي يحتاج إلى تعلمها المسلم لإقامة شعائر الدين، وتطبيق الشرع في معاملاته وحياته.[1]

ومـــن هـــنا بدأت حركة انتشار الإسلام، وازداد عدد المسلمين، سواء الوافديـــن مـــن خارج غانا للتجارة، أو من مواطنيها أنفسهم، وبالتالي بدأت حـــركة التعلـــيم في المساجد تأخذ طابعاً جديداً، وبدأت المساجد تقوم بدورها كاملاً في التعليم.

فمســـاجد عاصمة غانا في عصر البكري (487 هـ/ 1094 م) كان لهـــا (الأئمـــة والمؤذنـــون وفيها فقهاء وحملة علم)[2]، وهذا النص يعطينا صـــورة عن الطور الذي بلغته المساجد في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وفي هذا الطور يقوم المسجد بالدراسات المتخصصة، وتتعدد حلقـــات التدريس لتشمل مختلف فروع المعرفة الدينية واللغوية وغيرها، بما يقوم به الفقهاء وحملة العلم الذين أشار إليهم البكري.

---

(1) أحمد إلياس حسنين: الإسلام في مملكة غانا، ص69.

(2) البكري: المغرب، ص175.

وهـناك اعتبار آخر بالنسبة للمعلمين حيث إن الكثير منهم كان يتردد علـى مملكـة غانا، سواء كان هذا التردد للتجارة، أو من أجل الدعوة، وقد ساهم أولئك الفقهاء في الحركة التعليمية مساهمة جادة.[1]

ولم تقتصر جهود أولئك الفقهاء على ما كانوا يقومون به من التدريس فـي المسـاجد الكبرى التي يتواجد بها أعداد كبيرة من المسلمين، بل قاموا أيضـاً بمهمـة التدريس في الأماكن النائية، فقد ورد في القصة التي ذكرها الـبكري عن إسلام ملك ملل أنه " كان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة ".[2]

وقـد وردت في كتب الإباضية إشارات كثيرة إلى مثل تلك الزيارات التـي يقـوم بها الفقهاء إلى غانا، كما أشارت المصادر الجغرافية أيضا إلى تجول الفقهاء الواسع جنوبي الصحراء.[3]

فالبكري مثلاً اعتمد في أخباره عن بعض مناطق غانا على (الفقيه عبد الملـك) وأشار إليه أحياناً بالفقيه (أبو محمد عبد الملك)،[4] وكذلك اعتمدت الأخبار التي أوردها القزويني 682 هـ/ 1283م على الفقهاء، مثل الفقيه على الجنحانـي، والفقـيه أبـو الربيع الملثاني، في أخباره عن تغازة والطريق إلى السودان وأحوال أهله.[5]

---

(1) الدرجيني: طبقات المشائخ، ج 2، ص257، الشماخي: السير الأباضية، ص ص312، 457، 458.

(2) البكري: المغرب، ص178.

(3) الشماخي: نفس المصدر، ص ص312، 457، 472، 473.

(4) البكري: المغرب، ص ص179، 181.

(5) زكـريا بـن محمـد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص ص24، 25.

ومثل هؤلاء الفقهاء كانوا بمثابة الأساتذة الزائرين، ينيرون بخبراتهم حلقات العلم في مساجد غانا، ويعكسون الحركات الفكرية الدائرة في الشمال الإفريقي.[1]

وإلى جانب ذلك فإن الأجيال من المسلمين الوطنيين الذين تطلعوا إلى المزيد من العلم والدراسة كان لابد لهم من الارتحال إلى مراكز التدريس في الشمال خارج غانا.[2]

فإلى جوارهم توجد مدارس أودغست، فقد وصفت حركة العلم في مساجدها بالنشاط في القرن الرابع والخامس الهجريين.[3]

وكذلك كانت مراكز السوس الأقصى دائمة الاتصال بمملكة غانا، وقد بدأت مساجدها في حركة العلم منذ عصر عقبة بن نافع، مثل مساجد درعة ونفيس وإيجلي.[4]

كما يمكن أن يكون طلبة غانا قد وصلوا في ذلك الوقت المبكر إلى عواصم المغرب الكبرى،[5] فقد ذكر حسن حسني عبد الوهاب أن مسجد القيروان في القرن الثالث الهجري كان به أعداد كبيرة من الطلبة، بعضهم من السودان الغربي.[6]

---

(1) جرت عادة الفقهاء في رحلاتهم أن يركزوا على حضور الدروس والوقوف على مستواها، كما كانوا يقومون بإلقاء الدروس سواء بالتطوع من جانبهم أو بناءً على طلب أهل المنطقة التي يحلون بها إذا كانوا من مشاهير الفقهاء ويلاحظ ذلك على الفقهاء الذين سجلوا رحلاتهم مثل رحلة التجاني، تونس، 1958.

(2) شوقي الجمل: الحضارة العربية الإسلامية، مجلة، ص148.

(3) البكري: المغرب، ص158.

(4) البكري: المغرب، ص160، ابن عذارى المراكشي: البيان، ج 1، ص27.

(5) الجمل: الحضارة العربية، ص148.

(6) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا التونسية، مكتبة المنارة، تونس، 1964، ص107.

كمـــا صـــاحب ازدهار التعليم في مملكة غانا دخول اللغة العربية، فقد زاد الإقبال على تعلمها باعتبارها لغة القرآن الكريم، وبها تؤدى الصلاة عماد الدين، فاستوجب ذلك ضرورة حفظ بعض آيات من القرآن الكريم.

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية كونها لغة التجارة، والذي يتعلمها يضيف إلى إمكانياته دعامة قوية تمكنه من التعامل مع التجار المسلمين.

كمـــا كانت اللغة العربية في ذلك الوقت لغة عالمية، يمكن لمن يتعلمها سهولة الاتصال على نطاق واسع في الشمال الأفريقي.[1]

ووجـــود الـــتجار المسلمين بأعداد كبيرة في مملكة غانا أتاح الفرصة للمواطنيـــن لتعلم اللغة العربية، ويمكن أن نتصور أن اللغة العربية كانت لغة الـــتفاهم فـــي العاصمة فالجزء الذي يسكنه المعلمون والأسواق والمعاملات الـــتجارية الدائمـــة أتاحـــت الفرصة لسكان العاصمة الوطنيين لمعايشة اللغة العربـــية، وتعلمها، وربما كانت اللغة العربية من المتطلبات الأولى لمن يريد الانخراط في مهنة التجارة في العاصمة، ويصدق ذلك على المدن، والمراكز التجارية الأخرى في المملكة التي يسكنها المسلمون والتي أسلم ملوكها، لأن إســـلام تلـــك المراكز تم بعد استقرار المسلمين فيها، أو بعد ترددهم المتصل عليها، وبذلك يكون التجار قد حملوا اللغة العربية أيضاً إلى المناطق الداخلية لمملكة غانا، وأصبحت لغة التعامل التجاري.

هـــذه الممـــيزات جعلت الإقبال على اللغة العربية كبيراً بل ضرورياً، غير أن اللغة العربية لم تحقق النجاح الذي حققه الإسلام في مملكة غانا، فلم يصل انتشار اللغة العربية إلى مستوى انتشار الإسلام العريض.[2]

---

(1) شوقي الجمل: نفس المرجع، ص ص133، 158، 162.

(2) حـــتى فـــي الصحراء الكبرى لم تواكب اللغة العربية انتشار الإسلام بنفس المستوى وظلت اللغات واللهجات المحلية حية فقد ذكر أنهم عندما نزلوا على سواحل المحيط المواجهة لقبيلة =

ب – المراكز الثقافية والثقافة الإسلامية : –

1 – أودغست :

تعتــبر مدينة أودغست والتي بلغت قوة مجدها وعظمتها خلال القرنين الثالــث والــرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلادي،[1] من أهم المراكز الثقافــية بمملكة غانا الإسلامية حيث تقع بين مدينة سلجماسة وبلاد الزنوج، أي على بعد حوالي مسيرة واحد وخمسين يوماً من غانا في اتجاه الشمال.[2]

وقــد وصــفها ابن حوقل 380 هـ/ 990م في كتابه صورة الأرض بقولـــه : "ومديــنة أودغســت مديــنة لطيفة أشبه بلاد الله بمكة، وبمدينة الجــرزوان فــي بلــد الجوزجــان من بلاد خراسان؛ لأنها بين جبلين ذات شعاب".[3]

كمــا ذكــرها البكري بقولــه : "وهي مدينة كبيرة بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها بمعلمي القرآن، وحولها بساتين النخل، ويزرعون فيها القمح بالفؤوس، ويسقى بالدلاء يأكله ملوكهم، وسائر أهلها يأكلون الذرة، وبها آبار عذبة والغنم والبقر أكثر شيء عندهم".[4]

وعــن التركيــبة الســكانية لهذه المدينة : فهي تجمع خليطاً من العرب المغاربــة والملثميــن ومن قبائل السوننكي، والسلطة فيها للمتونة إحدى قبائل

= جدالة لم يتمكنوا من التفاهم مع سكان المنطقة لعدم معرفتهم اللغة العربية، حتى أتى من يفهم اللغتيــن كما كانت لغة البربر في القسم الأوسط من الصحراء الوسطى حية وقوية لدرجة أنه كانــت تؤلف بها الكتب ويكتب بها الشعر. أنظر: مثلاً ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص122، الشماخي: السير الأباضية، ص ص519، 521.

(1) إبراهيم طرخان: مملكة غانا، ص42، حسن عيسى عبد الظاهر: نفس المرجع، ص78.
(2) الهادي الدالي: مملكة مالي، ص52.
(3) ابن حوقل: نفس المصدر، ص91.
(4) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص ص848، 849.

صنهاجة.[1]

وعـن جهـود هـذه المدينة في نشر الإسلام فيذكر أن ملكها وهو الملك تيبوتان كان شديد التحمس لنشر الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين لـه من ناحية الجنوب.[2]

إن جميع هذه الميزات والتي اجتمعت بمدينة أودغست قدر لها أن تقوم كمركـز ثقافـي بنشر الإسلام والثقافة العربية بمنطقة السودان الغربي، فقد كانـت مـن المراكز الثقافية الأولى والتي انبعث منها هذا الدين إلى رحاب السودان في ركاب المرابطين.[3]

فقـد احتضـنت هـذه المديـنة موجة ثقافية، ترجمتها كثرة المساجد والمدارس والتي كان يُدرس فيها القرآن الكريم وجميع أنواع العلوم الأخرى، وهـذا إن دل علـى شـيء فإنما يدل على أن الإسلام قد وصل إلى جنوب الصحراء منذ فترة طويلة. [4]

2– جني :

أما عن مدينة جني والتي نشأت في أواسط القرن الثاني الهجري 800م فـتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبكت، وهي على بعد مرحلة من الضفة اليسرى لنهر باني.[5] وكان موقع هذه المدينة أرضاً خصبة مكتظة بالأشجار، يقصـدها رعاة الماشية بحيواناتهم المختلفة، وكانت– كما يقول السعدي 1068 هـ/ 1655م : "مدينة عظيمة ميمونة مباركة، ذات سعة وبركة ورحمة، جعل

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص277.
(2) طرخان: إمبراطورية غانا، ص48، حسن عيسى: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا، ص78.
(3) دندش: نفس المرجع، ص157.
(4) الهادي الدالي: مملكة مالي، ص ص52، 53.
(5) الحسن بن محمد الوزان: وصف أفريقيا، تحقيق محمد صبحي، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي للتأليف والترجمة، بيروت، ص ص162، 163، دندش: نفس المرجع، ص160.

الله ذلك في أرضها خلقاً وجبلة، وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة".[1]

وكانت تتوسط هذه المدينة قرية صغيرة يقطنها أحد فروع قبيلة السوننكي مما قد يكون السبب في نسبة إنشاء هذه المدينة لأول مرة إلى هؤلاء السوننكي، على عكس ما يراه بعض الباحثين من أن الفضل في بنائها إنما يعود إلى طوارق صنهاجة الذين ذكر أنهم هم الذين اختطوها؛ لكي تكون ملتقى لتجار الملح والذهب، وأن الوانجار (الذين ما هم في حقيقة الأمر سوى السوننكي) إنما جاءوا من الجنوب الغربي للصحراء لكي يقيموا فيها مع تجار الملح من طوارق صنهاجة، ثم فاقوا الآخرين في العدد مع مرور السنين.[2]

وتختلف مدينة جني في ظروف نشأتها عن مدينة تمبكت، إذ أن تمبكت نشأت مدينة إسلامية منذ أول وهلة نجد السعدي يقرر في مكان آخر من كتابه أن مدينة جني ابتدأت في الكفر ثم أسلمت بإسلام سلطانها كنبر في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. [3]

وتقول المصادر : إن الفضل في إسلام هذا السلطان يرجع إلى التجار المسلمين الذين كانوا يترددون على سوق هذه المدينة التجارية، فهم الذين حملوا معهم الإسلام إلى كل مكان في هذه المنطقة على ما هو معلوم ومشهور عنهم، ويحكي لنا السعدي عن كيفية إسلام هذا السلطان فيقول : إنه عندما عزم على الدخول في الإسلام أمر بأن يجمع له من كان بهذه المدينة من علماء المسلمين، فأتاه من بلغ عددهم مائتين وأربعة آلاف عالم، فأسلم

---

(1) السعدي: نفس المصدر، ص11.

(2) محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ص580.

(3) السعدي: نفس المصدر، ص12، عبده بدوي: نفس المرجع، ص163، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفيريقية، ص ص217، 218.

علـــى أيديهـــم ثم قام بتحويل قصره إلى مسجد لله سبحانه وهو جامع مدينة جني، ثم أنشأ قصراً آخر لنفسه بجوار ذلك الجامع جهة الشرق منه.[1]

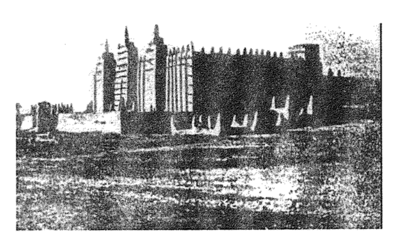
وإذا كانـــت هـــذه المديـــنة قـــد ارتبطت بمدينة تمبكت في ازدهارها الـــتجاري،[2] إلا أنها من الناحية الثقافية والعلمية استطاعت أن تحتل المركز الثانـــي بعد تمبكت من حيث الأهمية، إذا كان بها كثيرون من العلماء وطلبة العلـــم الذيـــن كـــانوا محاطيـــن بعناية سلطان البلاد الذي يتقرب إليهم ببناء المساجد، أو يساعدهم على إقامة المساكن؛ لطلاب العلم، ويقدم إليهم الهدايا.

والمتتـــبع لـــتطور الحركة العلمية والثقافية في هذه المدينة يلاحظ أنها شهدت نهضة ثقافية إسلامية لم تتوقف منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وهي نهضة قامت في أول أمرها على أكتاف الأجانب من التجار المسلمين، ويؤكد ذلـــك العـــدد الضخم من علماء المسلمين الذين كانوا يقيمون فيها والذين تم إســـلام حاكمها على أيديهم، وكما يقول السعدي : " وساق الله لها سكاناً من العلماء والصالحين من شتى القبائل والبلاد، فأخذوا ينشرون العلم في ربوعها فأسرع إليهم الطلاب للاستفادة منهم."[3]

وفـــي هـــذه الفـــترة شهدت المدينة تزايداً في عدد السكان، وفي كثرة المتردديـــن علـــيها مـــن التجار، حتى أنها صارت تنافس مدينة تمبكت في أهميـــتها مـــن هذه الناحية، حيث كان يقيم بها الكثير من مشاهير العلم أمثال الشيخ محمد ساخو الذي كان عالماً وفقيهاً عابداً.[4]

---

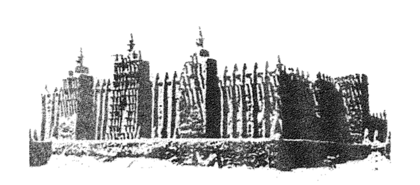
(1) السعدي: نفس المصدر، ص ص12، 13.
(2) عبد الرحمن زكي: نفس المرجع، ص225.
(3) السعدي: نفس المصدر، ص16.
(4) الســـعدي: نفـــس المصدر، ص16، عبد الرحمن زكي: نفس المرجع، ص224، عبد القادر زباديـــة: مملكة السنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 107، أحمد شلبي: نفس المرجع، ج 6، ص234.



شكل رقم (11)

المسجد الجامع من مدينة جني

المصدر : دندش : دور المرابطين، ص161



شكل رقم (12)

المسجد الجامع من مدينة جني

المصدر : دندش : دور المرابطين، ص161

3- تمبكت :

لقد تم تأسيس مدينة تمبكت في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشــر المــيلادي،[1] ويقــال أن طوارق مقشرن هم الذين اتخذوها في بداية أمرهم محطة لمواشيهم في فصل الشتاء عندما كانوا يأتون من منطقة أوران، وجعلوهــا كمخــزن للحــبوب وغيرها من أملاكهم الخاصة، وقد حفروا في مكانهــا بئراً أو مجموعة من الآبار، فجذب موقعها الفريد في المنطقة التجار الذين صاروا ينتقلون إلى مكانها،ويقيمون حوله للراحة أحياناً.[2]

وعــن اسم مدينة تمبكت فقد تذكر الروايات أن هذا الاسم قد جاء من أمة تدعى تمبكت، حيث كان لهذه الأمة مكانة عالية، ولهذا فقد أصبح اسمها علماً من أعلام المنطقة.[3]

أمــا عــن التركيبة السكانية لهذه المدينة فإنها كانت خليطاً من العرب الوافدين من غدامس وطرابلس والمغرب الأقصى والطوارق، فقد كان هؤلاء الوافــدون يــتخذون بيوتاً في بداية أمرها تبنى من عيدان الأشجار وحشائش النباتات، وقد تطورت هذه البيوت فيما بعد، وأصبحت تبنى من الصيان، [4] ومــع مــرور الزمن تطورت هذه البيوت وأصبحت تبنى من الطين، إلا أن أسوارها كانت قصيرة لا تستر ما بداخلها. [5]

---

(1) الســعدي: تــاريخ الســودان، ص20، حســن أحمــد محمود: المرحلة الأفريقية من تاريخ المرابطيــن، المجلــة التاريخية المصرية، مجلد 12، سنة 1964، ص116، الهادي الدالي: مملكة مالي، ص91، الغنيمي: حركة المد الإسلامي، ص138، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ص195، فيج. جي. دي: تاريخ غرب أفريقيا، ص55.

(2) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، ص100.

(3) الهادي الدالي: مملكة مالي، ص91، أحمد شلبي: نفس المرجع، ج6، ص195.

(4) نوع من الأشجار ذات الجذوع الغليظة تكثر بتلك المنطقة، الهادي الدالي: مملكة مالي، ص93.

(5) الهادي الدالي: مملكة مالي، ص93.

فقــد وصــف لــنا محمود كعت العاشر هـــ/ السادس عشرم تمبكت بأنهـــا : "لا نظــير لها في البلدان من بلاد السودان إلى أقصى بلاد المغرب وهي أكثر البلدان رحمة بالمساكين والغرباء وتلطفاً بطلبة العلم وإعانتهم".[1]

كمـــا وصــفها لنا السعدي بقولـــه : "هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخــرة والتـــي هي مسقط رأسي، ما دنستها عبادة الأوثان، ولا سُجِدَ على أديمهـــا قـــط لغــير الرحمـــن، مـــأوى العلمـــاء والعابدين، ومألف الأولياء والصالحين".[2]

ونتـــيجة لذلك فقد اتخذ منها رجال العلم والفكر الأوائل الأثرياء وطناً لهم بعد أن جاءوا من بلاد مختلفة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن مدينة تمبكت قد عرفت بتجارتها عبر العصور، وأن التجارة تمثل المصدر الرئيسي في حياة السكان، حيث كانت القوافل تتجه إليها من المشرق والمغرب خاصة من مصر وواحات أوجلة وغدامس وفزان وتوات، وبالتالي فقد كانت مركزاً تجارياً كبيراً يتم فيه مبادلة الملح والقمح وجوز الكولا وتبر الذهب من بلدان السودان وبلدان الشمال الصحراوي، وبالتالي فلم يكن غريباً أن تجلب التجارة وراءها الثروة الاقتصادية والثقافية والحضارية، وهيمنت مدينة تمبكت بذلك على تجارة ولاته بقدر ما نهلت من ينبوع ثقافتها وهما اللتان كانتا بين أيدي تجـــار قـــبائل جدالة ورجال علم الصحراء من الطوارق القادمين من منطقة أدرار، وهـــم الذين كانوا قد هاجروا إلى مدينة كومبي صالح عاصمة مملكة غانـــا الإسلامية، وقت أن كانت سوقاً رائجة، ثم لجأوا إلى مدينة ولاته عند احتلال قبائل الصوصو لكومبي صالح في القرن الثالث عشر الميلادي، حيث أنشأوا فيها مركزاً للعلوم.[3]

---

(1) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص179.

(2) السعدي: نفس المصدر، ص ص20، 21.

(3) بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء، ت زاهر ريـــاض، القاهـــرة، 1968، ص119، توماس هودكين: ممالك السودان الغربي – مقال من =

وعن الحياة العلمية بمدينة تمبكت فقد وصلت هذه المدينة إلى قمة مجدها في المجال الثقافي، ويرجع الفضل في تثبيت دعائم الحركة الثقافية فيها إلى حركة المرابطين في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

فقد ارتبطت المدارس بالرباط، حيث كان يقيم المرابطون للتعبد والتعليم، فكان الشيخ عبد الله بن ياسين معلمهم الأول يعلم الشريعة والسنة، حتى أصبح حوله الكثير من الفقهاء والذين كان يأمرهم بالذهاب إلى قبائلهم لنشر العلوم الإسلامية فيهم.[1]

كما اشتهرت مدينة تمبكت بجامعها الكبير سنكري، ويقال أن هذا الجامع قد أنشأته سيدة ثرية تعرف باسم سنكري، وكان الطلاب يشدون الرحال إلى هذا الجامع بعد أن يكونوا قد أتموا حفظ القرآن الكريم. ففي هذا الجامع يكون هؤلاء الطلاب قد استوعبوا عدداً معلوماً من كتب الفقه والنحو والمنطق وغيرها من العلوم الأخرى. وبانتهاء الطالب من دراسة هذه العلوم فإنه يحصل على شهادة تؤهله للقيام بتعليم القراءة أو الإمامة أو القضاء وغيرها من المناصب الرفيعة.

ونتيجة لذلك ازدهرت الحياة العلمية بمدينة تمبكت وأقبل الناس على اقتناء المكتبات الخاصة التي تعج بالكتب العربية،[2] ولهذا فقد لعبت هذه المدينة وغيرها من المدن الأخرى دوراً بارزاً في انتشر الإسلام بالتدريج نحو الداخل، ووجد الإسلام قبولاً في نفوس الغانيين لما يتمتع به من مزايا

=

كتاب: فجر التاريخ الأفريقي لطائفة من الأساتذة البريطانيين، ت عبد الواحد الإمبابي، القاهرة، ص26.

(1) دندش: نفس المرجع، ص167.

(2) دندش: نفس المرجع، ص166.

وقيم حية إلى نفوسهم. وكان الإسلام أوضح في أذهانهم من الألغاز والغيبيات التـــي كان يمارسها كهنتهم والتي لا يمكن للمواطن استيعابها، فوجد مواطنو المملكة في المسلم البساطة والتواضع والوضوح والشرح المقنع المبني على الحقائق مما قربهم إلى الإسلام.[1]

وكان المسلمون يتمتعون بوضع اجتماعي ممتاز داخل مملكة غانا، فهم مقـــربون للملـــك، واتخذ منهم كبار الموظفين في بلاطه، وكان مواطنو غانا يكنون لهم الاحترام.[2]

كمـــا ســـاعدت المصـــاهرات التي تمت بين المسلمين والسكان المحليين وخاصـــة بالحكام وزعماء القبائل إلى نشر الثقافة العربية الإسلامية، وأدى ذلك إلـــى ظهور جيل جديد متسلح بالإسلام واللهجات الوطنية مما أهله لحمل رسالة الإسلام بين مواطنيه.[3]

ويمكن ملاحظة ثمرة كل تلك الجهود في الصورة التي رسمها البكري للإسلام خلال ما ذكره عن مملكة غانا، فقد اتضحت المكانة البارزة للمسلمين في البلاط الملكي والمجتمع الغاني وكان للمسلمين اعتبار خاص في البلاط، بحيـــث لـــم يطالبوا بالركوع أمام الملك عند دخولهم عليه كما يفعل مواطنوه غـــير المســـلمين، بل كانوا يحيونه بالتصفيق، وكان المسلمون يمثلون نسبة كبيرة من سكان العاصمة.[4]

---

(1) شوقي الجمل: الحضارة العربية، مجلة، ص ص152، 153.
- J. Spencer trimingham, Islam in West Africa, pp 6- 7.
(2) البكري: المغرب، ص ص176، 177.
(3) إبراهيم طرخان: الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثاني،1969، ص24
(4) البكري: المغرب، ص ص175، 176.

أما خارج العاصمة الغانية فقد اتضح أن أغلب المدن الكبرى التي ذكرها البكري، والتي يقع أكثرها جنوب العاصمة بها أعداد كبيرة من المسلمين، [1] أو سكانها مسلمون أو من ملوكها مسلمين، أو أهلها مشركون لكنهم يخدمون المسلمين.[2]

وقد ذكر البكري أثنتى عشرة مدينة ومملكة أثناء كلامه عن مملكة غانا بينها تسع ممالك ومدن كبرى بما في ذلك العاصمة.[3]

وبالطبع ليس هنالك تأكيد أن كل الممالك والمراكز الكبرى التي ذكرها البكري كانت خاضعة لمملكة غانا، إلا أن ملك غانا كان يفرض نفوذه على الكثير من تلك الممالك، ويؤكد ذلك ما أشار إليه البكري أثناء تناوله بلاط الملك بأنه : " يجلس عن يمينه أولاد ملوك بلده".[4]

فوجود أبناء الملك في القصر يوضح التقليد الذي ساد في العصور الوسطى في احتفاظ الملوك والأباطرة بأبناء الحكام الخاضعين لهم لضمان ولاء آبائهم.

وهذه الصورة توضح الجهود التي بذلها المسلمون بمختلف فئاتهم منذ بداية اتصالهم بمملكة غانا وحتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وإذا نظرنا إلى المناطق المحيطة بمملكة غانة وجدنا أن الإسلام قد أرسى قواعده أيضاً فيها، فالشمال والشمال الشرقي من المملكة كانت عليه قبائل البربر المسلمة، وفي الغرب على حوض نهر السنغال يتضح أن الإسلام قد انتشر في مملكتين فقط هما تكرور وسلى من بين الممالك والمدن

---

(1) البكري: المغرب، ص ص177، 179.
(2) البكري: المغرب، ص177.
(3) البكري: المغرب، ص ص174، 180.
(4) البكري: المغرب: ص176.

التي ذكرها البكري،[1] وهذه النتيجة توضح أن الإسلام انتشر في مملكة غانا والمناطق الواقعة على الجنوب منها أكثر من انتشاره في حوض نهر السنغال.[2]

ولما قام المرابطون بحركة الجهاد في الصحراء الغربية، وصححوا مفاهيم الإسلام في المنطقة، اتجهوا نحو السودان. فقد كان فتح بلاد السودان وتحويل أهلها للإسلام من أهم أهداف زعيم المرابطين عبد الله بن ياسين،[3] وتمكن المرابطون من دخول مملكة غانا، وحملوا كثيراً منهم على الإسلام فدانوا به.[4]

أضف إلى هذا أن ضعف مملكة غانا بعد هزيمتها من المرابطين أدى إلى تدفق المسلمين عبر حدودها الشمالية بصورة كبيرة، فارتفعت نسبة المسلمين داخل مملكة غانا إلى درجة عالية،[5] وساد الدين الإسلامي منطقة نهر السنغال، والحوض الأعلى لنهر النيجر.

ولم ينحصر انتشار الإسلام بعد حركة المرابطين في مواطن غانا فقط، بل دخل الملوك أيضاً في الإسلام، فقد ذكر الإدريسي أن ملك غانا "فيما يوصف من ذرية صالح ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب".

---

(1) البكري: المغرب، ص ص172، 174.

(2) كان لإسلام ملك التكرور ومشاركته للمرابطين في حركتهم منذ بدايتها ثم لمساهمتهم مع المرابطين في حروب الأندلس كان لكل ذلك صدى واسع ركز عليه الكتاب وأدى اشتهار التكرور بالإسلام أكثر من مملكة غانا التي صار بها المرابطون فأصبح المفهوم العام أن الإسلام داخل منطقة السنغال وعم فيها قبل أن يدخل مملكة غانة لكن نسبة انتشار الإسلام على نهر السنغال من واقع ما ذكره البكري 34 % وهي نسبة لا تقارن مع ما ذكره البكري عن الإسلام في مملكة غانا.

(3) حسن إبراهيم: انتشار الإسلام، ص66.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص200.

(5) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ص215.

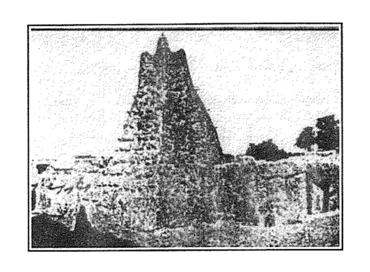
ويبدو أن إسلام ملوك غانا حدث بعد غزو المرابطين مباشرة؛ لأن الأسرة الحاكمة أصبحت في منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي - عندما ألف الإدريسي 649 هـ/ 1251م كتابه - عريقة في الإسلام لدرجة اتخذت منها النسب العلوي ثم ترددت أخبار إسلامهم في المصادر العربية بعد ذلك.[1]

وقد أعطى إسلام ملوك غانا دفعة قوية لانتشار الثقافة العربية الإسلامية، فأصبح الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للمملكة، وتبع ذلك اعتناق كثير من رعايا الدولة له، وبدأت مرحلة جديدة للجهاد في غرب أفريقيا قام بها ملوك غانا أنفسهم.[2]

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد الأول، ص23.

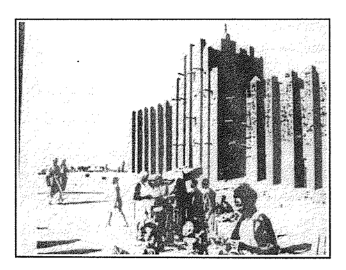
(2) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ص215.



شكل رقم (13)

جامع سنكري في تمبكت

المصدر : دندش : دور المرابطين ، ص164



شكل رقم (14)

الجامع الكبير في تمبكت

المصدر : دندش : دور المرابطين ، ص164

د- الأنماط الاجتماعية : -

بانتشـــار الإسلام واللغة العربية وازدهار حركة التعليم في مملكة غانا قوي ارتباطها بالشمال الإفريقي، وتم اللقاء بين الشعبين، فبدأت معالم التحول الاجتماعـــي فـــي الظهـــور نتـــيجة لـــتلك الصلات الدائمة، فقد تركت تلك الاتصالات بين الشعبين بعض الآثار في مملكة غانا.

وأدى ذلك إلى ظهور الكثير من التحولات في مختلف أوجه الحياة في المجـــتمع الغانـــي، ولعـــل من أهمها النتائج التي ترتبت على الهجرات التي دخلت مملكة غانا من الشمال الإفريقي والمغرب العربي.

فقـــد ارتفع عدد المهاجرين من الشمال نحو الجنوب، وكانت جل تلك الهجـــرات مـــن العناصـــر الـــبربرية التي اتجهت نحو الصحراء منذ الفتح الإســـلامي للشـــمال الإفريقـــي، وضغطت تلك الهجرات بدورها على سكان الواحات مما أدى إلى ارتفاع عدد المهاجرين جنوباً.(1)

كما أدت تلك التحركات إلى إحاطة القبائل البربرية بحدود مملكة غانا المطلـــة علـــى الصحراء الكبرى، ودخول بعض أفراد تلك القبائل إلى داخل مملكـــة غانا بغية الاستقرار، ويتضح مما أوردته المصادر العربية أن حدود مملكة غانا الشمالية، رغم كونها مطلة على مناطق صحراوية، إلا أن القبائل البربرية كانت تتجول بانتظام على أطرافها.(2)

فهنالك اثنان من أقوى قبائل صنهاجة جاورتا مملكة غانا، إحداهما قبيلة جدالة على حدودها الشمالية الغربية، والأخرى قبيلة لمتونة على طول حدودها

---

(1) عنايات الطحاوي: أفريقيا الإسلامية، ص67.

(2) ابـــن حوقـــل: صورة الأرض، ص ص96، 100، البكري: المغرب، ص ص156، 159، 163، 169، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد الأول، ص24.

الشـــمالية،[1] وكانـــت بعـــض مراكز استقرار الصنهاجيين لا تبعد كثيراً عن عاصـــمة مملكـــة غانـــا، فقرية تيماماناوت الواقعة على طرف صحراء مدينة غانـــا،[2] موطـــن الفقيه المشهور عبد الله بن ياسين، وقرية مدوكن الصنهاجية تبعد عن مدينة غانا أربعة أيام.[3]

وكانت قبيلة مداسة القوية -وهي فرع من صنهاجة- على حدود مملكة غانـــا الشمالية الشرقية،[4] وقد اكتسبت هذه القبيلة قوتها ونفوذها في المنطقة بسبب سيطرتها على الطريق التجاري الذي يربط غانا شرقاً بتادمكة، ولذلك استقر بعض أفرادها داخل الحدود الشرقية لمملكة غانا.[5]

وترتبـــت علـــى وجود تلك القبائل على طول حدود مملكة غانا عبور مجموعات منهم إلى الداخل خاصة وأن تجارة الذهب كانت حافزاً قوياً لذلك، كما أدت الحروب التي حدثت في بعض الأوقات بين مملكة غانا وتلك القبائل إلـــى استقرار بعض عناصر البربر في غانا في حالة انتصارهم، كما حدث فـــي الحرب التي نشبت بين ملك ماسين بمساعدة أودغست وبين ملك أوغام، فقـــد انتهـــت الحرب بانتصار ماسين وحلفائهم الصنهاجيين ودخولهم أرض أوغام على الحدود الشرقية لمملكة غانا.[6]

---

(1) البكري: المغرب، ص ص171، 172.
(2) البكري: المغرب، ص165.
(3) البكري: المغرب، ص164.
(4) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص ص880، 897.
(5) البكري: المغرب، ص181، الإدريسي: نفس المصدر، ص ص8، 9.
(6) البكري: المغرب، ص ص159، 179.

كما كانت قبيلة بغامة البربرية تحتل جزءاً من أراضي غانا في الحدود الشـــرقية، حيـــث كانوا يتجولون وراء إبلهم على المراعي الواقعة بين قبيلة سغمارة ومدينة مداسة التي ذكر الإدريسي أنها كانت تابعة لمملكة غانا.[1]

وإلـــى جانب ذلك فقد استقر في عاصمة غانا وغيرها من المدن الكثير مـــن المســـلمين مـــن البربر والعرب،[2] كما حدثت استقرارات مبكرة مثل المجموعـــة التي أشار إليها البكري تحت اسم الهنيهين، وذكر أنهم من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية قد أرسلوه إلى غانا في صدر الإسلام.[3]

وأدى ذلـــك كلـــه إلـــى اختلاط سكان مملكة غانا بالبربر وغيرهم من المهاجريـــن، وتمـــت المصاهرات بين الجانبين، ويبدو أن أعداد المهاجرين كانـــت كبيرة لأنهم تركوا أثارهم على سكان المنطقة، فأصبحوا متميزين عن باقـــي الـــزنوج في غرب أفريقيا، فقد ذكر الغرناطي 566 هـ/ 1170م أن أهـــل غانـــا "أجمل السودان صوراً سبط الشعور،"[4] وهذا إن دل على شيء فإنمـــا يدل على أن الوجود العربي الإسلامي قد وصل إلى تلك المناطق منذ أمـــد ليس بالقصير، وأن الاتصالات كانت على درجة كبيرة من العمق الأمر الذي مكنهم من التظاهر والامتزاج، والاختلاط بسكان تلك المناطق.[5]

وقـــد حملـــت أســـماء ملوك غانا آثار ذلك الاختلاط، فقد ذكر البكري ملكين من ملوك غانا هما تنكامنين الذي تولى الحكم عام 455 هـــ/ 1063م، وبســـي الملـــك الســـابق لتنكامنين 455 هـــ/ 1063 م، [6] فإذا قارنا هذين

---

(1) الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص25.
(2) البكري: المغرب، ص175.
(3) البكري: المغرب، ص179، مجهول: الاستبصار، ص222.
(4) أبو حامد محمد الغرناطي: كتاب تحفة الألباب، ص8.
(5) الهادي الدالي: مملكة مالي، ص18.
(6) البكري: المغرب، ص174.

الاســـمين بأســـماء ملوك صنهاجة نلاحظ شبهاً كبيراً لدرجة يعتقد معهما أن الاسمين اللذين ذكرهما البكري بربرية الأصل.

فاســـم جد الأمير أبو بكر بن عمر الصنهاجي هو تلاكاكين، واسم جد أحـــد زعمـــاء صنهاجة في أول القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي هو بيزا،[1] والمقارنة واضحة بين تنكامين وتلاكاكين وكذلك بين بسي وبيزا.

ولم تمدنا المصادر العربية بتفاصيل دقيقة عن مدى تأثر حياة الغانيين بتلك الهجرات فيما يتعلق بالعادات والتقاليد والاحتفالات في المناسبات الدينية والأفـــراح، ومدى التأثير في الأزياء والمأكولات وغيرها، ولكن يبدو أنه في تلـــك الفـــترة المـــبكرة التي لم يكن قد ساد فيها الإسلام كما حدث بعد القرن الخـــامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كان التأثير قليلاً في المناطق التي لـــم يكـــتمل إسلامها، أما في المناطق التي عم فيها الإسلام فقد تأثرت حياة السكان بالمبادئ الإسلامية. [2]

فقـــد خفـــت بوجودهـــا حدة التناحر والصراع بين القبائل والعشائر، وأصـــبحت العلاقـــات بيـــنهما متأثرة بحضارات الشمال ونظمه، كما أجبر الإســـلام رعاياه من الأفارقة على ستر عوراتهم واستكمال ملابسهم، فانتشر الزي الإسلامي الأبيض اللون كما انتشر لبس العمائم[3].

والدليل على ذلك ما ذكرته المصادر العربية والتي نقلت لنا أنماطاً حية مـــن مظاهـــر الحياة الاجتماعية، فقد أوضحت ذلك بقولها : " ولباسهم عمائم بحـــنك مـــثل العرب، وقماشهم بياض من ثياب قطن تنسج عندهم في نهاية

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص181.
(2) عنايات الطحاوي: أفريقيا، ص65.
- Edward W. Blyden, Christianity, Islam and the Negro Race, Edinburg at the Un. Press Great Britain 1967. pp. 174- 175.
(3) عطية مخزوم: دراسات، ص251.

الرقة واللطف تسمى الكميصا،[1] ولبسهم شبيه بلبس المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج".[2]

وعن زي أهل غانا فقد كان هناك نوعين من الزي زي خاص بالملوك والوزراء، وزي خاص بعامة الرعية.[3]

فبالنسبة لزي الملوك نرى أن الملك يضع على رأسه طرطوراً مذهباً، كما يضع عليه عمامة، كما كانوا يلبسون أزاراً تصنع من الحرير يتوشحون بـــه، أو بـــردة يلتفون بها، وسراويل في وسطهم، ونعل شركي في أرجلهم، وفي الأعياد والمناسبات كان لهم زي خاص بهم.

ومـــن هنا يتضح لنا أن للملك الغاني ملابس خاصة لا يجرؤ أحد من رعيـــته أن يلبس مثلها أو قريباً منها، ومن ثم يكون الملك مميزاً عن الرعية وعامة الناس.

وبعـــد مرتبة الملك تأتي طبقة الوزراء في المرتبة الثانية والذين كانوا يحرصون على أن يظهروا في لباس زاه فضفاض أمام الرعية.

أمـــا الرعـــية فقـــد كانت ألبستهم تختلف من منطقة إلى أخرى حيث يلبســـون حسب قدرتهم ومكانتهم في المجتمع، فهناك من كان يستخدم الجلود للاكتســـاء وخاصة في فصل الشتاء في مناطق الصحراء، ومنهم من يستخدم الجلود المدبوغة والقبعات المصنوعة من النسيج.

---

(1) الكميصـــا: يقصـــد بكلمـــة الكميصا والتي وردت في النص القميص العربي: الشيخ الأمين عـــوض الله: العلاقـــات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي: مالي وسنغاي، دار المجمع العلمي، جدة، 1979، ص62.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص299.

(3) Clyde Chantler, The Ghana Story, p. 51.

فمـــثلاً مـــنطقة الـــتكرور كان السكان الذين يخالطون البيض يرتدون الجلـــود المدبوغـــة، ويضـــعون على رؤوسهم قبعات مصنوعة من الصوف والقطـــن والحرير والديباج على قدر طاقتهم، أما عامة أهلها فيلبسون الجلود لســـتر عوراتهـــم، كما يرتدون القداوير والأكسية، ويضعون على رؤوسهم الكرازين ويتحلون بالذهب، وخواصهم يلبسون الأزر.

أمـــا زي أهـــل الزغاوة فإنهم يلبسون الجلود المدبوغة، ويتفننون في صناعتها.

وعـــن زي أهل ونقارة الأزر والأكسية والقداوير، وهم شديدوا السواد ولباس أهالي مدينة غربيل الصوف.[1]

وإلـــى جانب ذلك فقد اهتمت المرأة الغانية بزينتها، حيث تزينت بالحلي المصـــنوعة مـــن النحاس والخرز والنظم من الزجاج والتي تضعها في يديها وصـــدرها، كمـــا تتزيـــن بوضع الأقراط العريضة في أذنيها، والخلاخل في أرجلها، وتضع في العادة حلقة في طرف أنفها [2] وقد وصفهن صاحب كتاب الاستقصاء بقولـــه :

"والإماء فيها قد جعل الله فيهن الخصال الكريمة في خلقهن وخلقهن فوق المراد من ملاسة الأبدان وحسن العينين واعتدال الأنوف وبياض الأسنان وطيب الروائح".[3]

وبالإضـــافة إلـــى ذلك فقد استطاع الإسلام القضاء على ظاهرة تسمية الفـــرد باســـم أمـــه، حيث كانت القاعدة المتبعة لديهم هي الوراثة من ناحية

---

(1) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص40.

(2) الهادي الدالي: نفس المرجع، ص41.

- Clyde Chantler, The Ghana Story, pp. 49- 50.

(3) أبو العباس الناصري: الاستقصاء، ج5، ص100.

الأمومـــة، وقـــد أوضح لنا القلقشندي 821 هــ/ 1418م ذلك بقولـــه : "على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت".[1]

ولكـــن بانتشار الإسلام في مناطق السودان الغربي بدأت هذه العادات الوثنية تختفي شيئاً فشيئاً، وأصبح الفرد يسمى باسم أبيه، كما أصبحت المرأة لها مكانة مرموقة داخل المجتمع.[2]

كمـــا نـــتج عن اتصال الشمال الإفريقي والمغرب العربي بمملكة غانا تحـــول كبـــير فـــي تخطـــيط المدن وعمارتها فالحي الإسلامي التجاري في عاصـــمة غانـــا شبيه بالحي التجاري في بعض مراكز المغرب، مثل أغمات التـــي خصصـــت قســـماً من المدينة للتجار وقسماً آخر خاص بإدارة المدينة ومواطنيها.[3]

ونـــتائج الحفـــريات التي جرت في كومبي صالح أظهرت أن تخطيط عاصـــمة غانـــا شبيه بتخطيط المدن المغربية، حيث يتوسط المسجد المدينة، وتتفرع منه الشوارع، وعلى جانبيها تترك مساحات تستخدم كأسواق.[4]

ومثل هذا التخطيط لم يكن موجوداً في مملكة غانا قبل انتشار الإسلام بهـــا، فقد كانت القرى تبنى في بداية الأمر بالطين والقش، ويتوسطها منزل الزعـــيم، فدخـــل نظـــام البناء بالحجر،[5] وحل المسجد محل منزل الزعيم،

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص294.

(2) الهادي الدالي: مملكة مالي، ص79، جميلة التكيتك: مملكة السنغاي، ص197، أمطير غيث: التأثير العربي الإسلامي، ص214.

(3) البكري: المغرب، ص153.

(4) محمود طه: نفس المرجع، ص47.

(5) البكري: المغرب، ص175.

P. C. Ozanne (P. L. Shinnie ed) The African Iron Age, Clarendon Press, Oxford 1971, pp. 44- 45.

ويعتبر قصر ملك غانا الذي تم تشييده في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي صورة حية لتأثر العمارة في غانا بالشمال الإفريقي.[1]

وبالتالي فقد نمت المدينة الإسلامية بمظاهرها وطابعها المتمثل في وجود المساجد والمدارس وانتشر بها الفقهاء والدعاة، كما انتشرت بها عوامل الرقي والاستقرار واستتباب الأمن كما بنى المسلمون مباني خاصة لسكناهم، فكانت مدينتهم على نمط الطراز المعماري في المغرب، كما استخدم الملك والأشراف المهندسين المعماريين العرب من فاس ليقوموا ببناء القصور.[2]

وقد صاحب ازدهار الحياة في المدن ظهور طبقة التجار الغانيين، واتجهت مجموعات أخرى من المواطنين إلى الاشتغال بالحرف اليدوية البسيطة التي يتطلبها استقبال القوافل، وإيواء التجار وتوفير مطالبهم من المطاعم والحمامات كما كان عليه الحال في مراكز الشمال الإفريقي.[3]

وهكذا أخذت الثقافة العربية الإسلامية في الانتشار، ترسي قواعدها في هذه المنطقة من غرب أفريقيا والتي أخذت بدورها التأثير في جميع مجالات الحياة منها السياسية، وهذا ما سوف يكون موضوع دراستنا في الفصل القادم.

---

(1) الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص178.

(2) عطية مخزوم: دراسات، ص251.

(3) رسم ابن بطوطة صورة واضحة لذلك عندما تحدث عن ولاته والتي ذكرها في مصدره باسم (ايوالاتن) فذكر اهتمام سكان ذلك المركز بقوافل التجارة وخروجهم لاستقبال تلك القوافل بالماء مسافة 4 أيام عن المدينة ووضح كيف أنهم يتكفلون بحفظ بضائع التجار ويقومون بالحجز لهم في الفنادق ويوفرون لهم الدواب والمأكولات.، أبوعبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي بن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج 2، المكتبة التجارية الكبرى، 1964، ص ص192، 193.

الفصل الثالث

الحياة السياسية والإدارية

بمملكة غانا الإسلامية

1 – الإدارة ونظام الحكم.

2 – السياسة الداخلية.

3 – السياسة الخارجية.

أ – مع شمال أفريقيا.

ب – مع الدول المجاورة.

الحياة السياسية والإدارية

قام بغربي أفريقيا في العصور الوسطى عدد من الإمبراطوريات، وقد أقام هذه الإمبراطوريات الوطنيون الأفريقيون، وكان عمادها زمن ازدهارها وقوتها الدين الإسلامي عقيدة، واللغة العربية أداتها في الإدارة والثقافة والتجارة.

وقد قامت هذه الإمبراطوريات فيما عرفه الكتاب العرب ببلاد السودان، وهي المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى.

وغانا هي أول إمبراطورية قامت بالسودان الغربي، ولعلها أول تجربة أو أقدم ما عرف من تجارب الحكم الوطني الناجح بتلك البلاد، وقد دل ازدهارها على قدرة الإفريقيين على تدبير شئونهم بأنفسهم.

وفضلاً عن أهمية قيام إمبراطورية غانا في السودان الغربي بالنسبة للتاريخ الإفريقي، فإن سقوطها لم يضعف من ازدهار الإسلام والحضارة العربية وقيام نظام قوي وأعظم بتلك الأرجاء، وقد يبدو هذا غريباً ولكن زوالها على يد القبائل الوثنية، فتح صفحة جديدة لقيام إمبراطورية مالي التي كانت في واقعها التاريخي امتداد لها كما أن السوننك مؤسسي غانا الذين زال سلطانهم السياسي لم يكونوا سوى أحد فروع الماندنيجو مؤسسي إمبراطورية مالي.

وقبل الحديث عن الإدارة ونظام الحكم بمملكة غانا يحتم علينا إعطاء نبذة ولو مختصرة عن عاصمتها كومبي صالح باعتبارها تمثل العاصمة السياسية لهذه الإمبراطورية، وحتى تتضح لنا الصورة عن الجوانب السياسية بهذه المملكة.

كومبي صالح : عاصمة غانا : -

ازدهـــرت عاصمة هذه الإمبراطورية زمن حكومة السوننك الوطنية، ويـــرجع تأسيسها إلى عهد حكومة البيض الأولى، ويقال أنها بنيت عام 300 م، وظلـــت تنمو بالتدريج، وكانت هذه العاصمة عبارة عن مدينتين إحداهما يسكنها المسلمون والأخرى يسكنها الملك ويصفها البكري بقولـــه : " ومدينة غانـــا مدينـــتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبـــيرة فـــيها اثـــنا عشر مسجداً، أحدها يجِّمعون فيه أي يقيمون فيه صلاة الجمعة، وبها الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة العلم، وحواليها آبار عذبة منها يشربون وعليها يزرعون الخضروات.

ومديـــنة الملك على ستة أميال من الأولى، وتسمى بالغابة، والمساكن بيـــنها متصـــلة، ومبانيها بالحجارة وخشب السنط، وللملك قصر وقباب، وقد أحـــاط بذلـــك كله حائط كالسور، وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد علـــيه مـــن المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك، وحول مدينة الملك قـــباب وغابـــات يســـكن فيها سحرتهم، وفيها دكاكيرهم (أصنامهم) وقبور ملوكهم، ولها حرس خاص لا يتمكن أحد من دخولها "[1]

وقد أشار إليها الإدريسي (649 هـــ/ 1251 م) فقال : " إن حاضرة غانا وهي مدينتان على ضفتي النيل يقصدها التجار من سائر البلاد "[2]

---

(1) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص ص871، 872.

جون جوزيف: نفس المرجع، ص57،

الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص27.

(2) الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص23.

- Nehemia levtzion, Ancient Ghana and Mali, pp. 22- 23.

ويقــول القلقشــندي (821 هـــ/ 1418 م) عــن هــذه العاصمة السياســية : "أنها مدينتان على ضفتي نيلها إحداهما يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار"[1]

كما أشار المقريزي (845 هـ/ 1445 م) إلى ذلك بقولـــه : "وغانا مدينتان إحداهما يسكنها المسلمون والأخرى الكفار".[2]

وموقع العاصمة يبعد عن تمبكت بمسيرة بضعة أيام إلى الجنوب الغربي وعلى

بعد ألف ميل شمالي جمهورية غانا الإسلامية، وتدل نتائج التنقيب الذي جــرى فــي مكــان كومبــي صالح أن البلدة كانت شبيهه بالمدن الإسلامية الكــبرى، فقــد أقيمت على مساحة بلغت ميلاً مربعاً وكانت تسع ثلاثين ألف نســمة، وقــد وجــد لهذه المدينة أسلحة متخذة من الحديد ومسامير في غاية الدقــة، وموازيــن مختلفة الأحجام لوزن الذهب، وصفائح نحاسية وحديدية مزخــرفة بآيــات قرآنية، ومقص ومطارق حديدية وخشبية، وغير ذلك من الأدوات.[3]

وقــد عمرت هذه المدينة بعناصر مختلفة : زنجية، وبربرية، مع أقلية عربــية ولا شــك في أنه كانت لها منزلة هامة في الميدان السياسي والعلمي والــتجاري، حيث كانت تسكن بيوتاً ذات أفنية واسعة وغرف متقابلة فسيحة اشتملت حيطانها وأعمدتها على بعض النقوش والكتابات العربية.

ولــم تكن كومبي صالح هي العاصمة الوحيدة لإمبراطورية غانا التي حافظــت حتى ذلك الوقت على دورها السابق كمركز تجاري أول في غانا،

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص284.
(2) المقريزي: الإلمام باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مصر، 1895، ص23.
(3) محمود طه: نفس المرجع، ص45، محمد الغربي: نفس المرجع، ص34.
- Nehemia Levtzion, Ancient Ghana and Mali, p. 23.

بــل كانــت هــناك مدن أخرى دونها أهمية وخاصة على الطريق التجاري الغربي، أو بالقرب من منجمي الذهب ومن بينها مدينة هينيبشين التي ضمت جالية عربية أيضاً هم بقايا الجنود الذين سبق لخلفاء بني أمية في الأندلس أن وجهوهم للسودان، فاستقروا هناك، وتزوجوا سودانيات.(1)

وكانت إمبراطورية غانا لا تزال أثناء ذلك تحتفظ بقدر كبير من القوة الحربــية، ورغــم إســلام بعــض قــبائل التكرور في السنغال نتيجة دعوة المرابطين وثورتها ضد غانا

فــإن الأخــيرة جمعت قوتها واحتلت بحد السيف مدينة أودغست التي كانت عاصمة لصنهاجة حتى ذلك الوقت.(2)

وهنا ظهر التحول الكبير في خطط المرابطين وتطلعاتهم المستقبلية في الجهــاد والحكم والعظمة، فبدلاً من أن يتابعوا طريقهم نحو الجنوب والشرق جمعــوا القــبائل المناصرة لهم والمتحالفة معهم وساروا نحو الشمال، حيث أسســوا إمبراطوريــتهم الواسعة التي امتدت إلى حدود تونس شرقاً وحدود الفرنجة شمالاً.

وقــد بــدأت قــوة غانا تتلاشى أمام ضربات المرابطين خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وخضعت غانا للتحديات السياسية والعنصــرية، وانجرفــت أقالــيمها المتــباعدة الآهلة بالقبائل ذات التطلعات المتبايــنة الواحــد تلو الآخر في تيارات دينية مختلفة ولذلك لم تتح لها سوى فــرص قلــيلة لتــنعم بالاستقرار، ولم تتمكن طيلة وجودها من إقامة الحكم

---

(1) محمد الغربي: نفس المرجع، ص35.

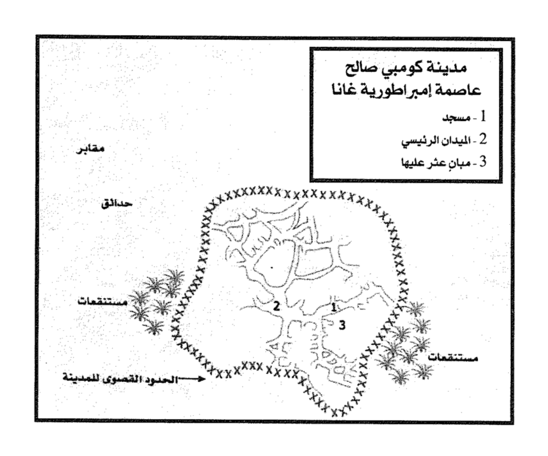
(2) عبد الله كنون: الينبوع المغربي في الأدب العربي، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1960، ص ص57، 59.

السياسي القائم على الوحدة. (1)

وبالتالـــي فقــد ســقطت كومبي صالح كعاصمة لأول إمبراطورية في الســـودان الغربي على يد المرابطين سنة 469 هـــ/ 1076م حيث اقتحموها وأقاموا عليها حاكماً مسلماً، وبذلك بدأت حضارة عظيمة لإمبراطورية رائدة فـــي التاريخ الإفريقي المبكر، وإن كانت هذه الإمبراطورية لم تأخذ الصورة النهائـــية للمديـــنة الإسلامية بالمفهوم السائد إلا أنها كانت البداية لسلسلة من الممـــالك والمـــدن المزدهرة في السودان الغربي، وهي إحدى الممالك التي لعبت دوراً مزدوجاً في الناحيتين السياسية والتجارية.

---

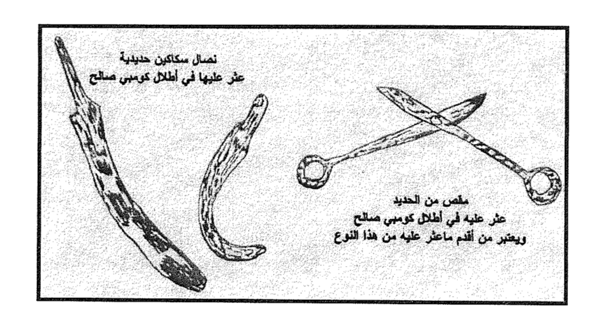
(1) إبراهـــيم حـــركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ط2، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1984، ص229.



شكل رقم (15)

مدينة كومبي صالح عاصمة مملكة غانا الإسلامية

المصدر : إبراهيم طرخان ، إمبراطورية غانا ، ص38

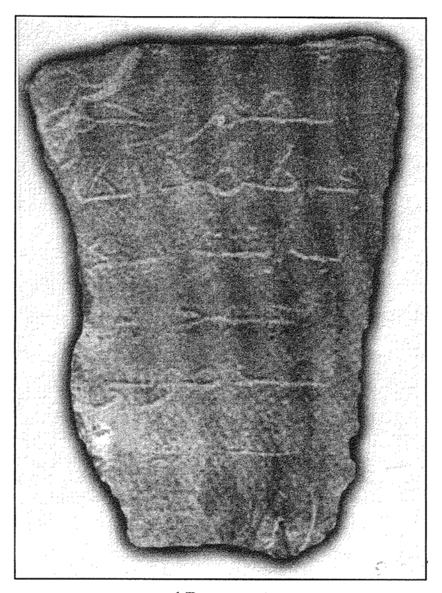


شكل رقم (16)

بعض آثار مدينة كومبي صالح عاصمة مملكة غانا

مقص من الحديد- نصال سكاكين

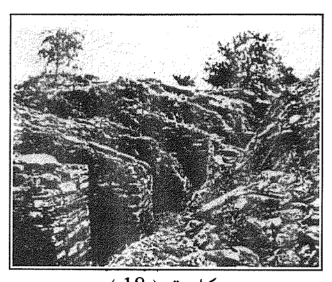
المصدر : إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانا، ص39



شكل رقم (17)

شاهد قبر لسيدة مكتوب باللغة العربية عثر عليه في إطلال مدينة كومبي صالح عاصمة مملكة غانا والعبارة المكتوبة : اللهم أرحم فاطمة الطا(هرة) .. بنت سيدنا محمد ابن سيدنا موسى

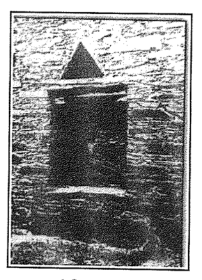
المصدر : إبراهيم طرخان ، إمبراطورية غانا ، ص40



شكل رقم (18)

أطلال مدينة غانة التي عثرت عليها بعثة المعهد الفرنسي لأفريقيا السوداء

المصدر : دندش : دور المرابطين، ص159



شكل رقم (19)

حائط منزل بين أطلال مدينة غانة

المصدر : دندش : دور المرابطين، ص159

1 - الإدارة ونظام الحكم :

كـــان نظـــام الحكم في هذه الإمبراطورية الأفريقية نظاماً ملكياً، شأن جمـــيع الـــنظم القائمة في الإمبراطوريات والممالك التي ظهرت في السودان الغربي والأوسط، سواء أكانت في عهدها الوثني أو في عهدها الإسلامي.

والـــنظام المتبع في وراثة عرش الإمبراطورية الغانية هو توريث ابن الأخـــت،[1] ويشـــير صـــاحب كتاب الاستبصار السادس هـــ/ الثاني عشر الميلادي إلى ذلك بقولـــه :

"وسنّتهم أن الملك لا يكون إلا في ابن الأخت لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به"[2]

وكما أوضح البكري ذلك بقولـــه :

"ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولي عهده وهو ابن أخته ومن سواهما يلبسون ملاحف الحرير والديباج، وسائر أهل بلده يلبسون ملاحف القطن"[3]

والمعـــروف أن الملك السوننكي تنكامنين الذي ولي عرش غانا حوالي عام 455 هـــ/ 1063م كان قد ورث الملك عن خاله بسي.

ويعلـــل الـــبكري هذه الظاهرة بأن المولود هو ابن أمه، وهذا صحيح، لكـــن من المعروف أيضاً أن لهذه الظاهرة أصولاً إلى التقاليد الوثنية القديمة،

---

(1) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص31، نعيم قداح: أفريقيا الغربية، ص104.
(2) مجهـــول: الاستبصـــار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص220.
(3) البكري: المسالك والممالك، ج 2، ص872، مجهول: الاستبصار، ص220.

وهـي التـي تعلي من شأن المرأة عند أغلب القبائل الإفريقية الوثنية، كذلك عرفت هذه الظاهرة عند قبائل البربر ولا سيما الطوارق، وصلة هؤلاء ببلاد السودان ترجع إلى أزمنة موغلة في القدم. (1)

وكـان الملـك الغاني ينظر في جميع شئون الإمبراطورية مهما كانت صـحته ومقدرته، وقد أورد البكري خبراً عن الملك بسي الذي أورث عرشه لابـن أخته مؤداه أنه ولي العرش وهو ابن 85 سنة، وأن بصره قد كف في أواخـر أيامه لكنه كان يتكتم ذلك عن أهل مملكته، ويريهم أنه يبصر فتوضع بين يديه أشياء فيقول :

"هذا حسن وهذا قبيح، وكان وزراؤه يكتمون ذلك على الناس"(2)

وعـندما دخـل الإسلام إلى مملكة غانا أضعف من هذه الظاهرة لابن الأخت، بل قضى عليها قضاءً تاماً، حيث اختفت ظاهرة توريث العرش لابن الأخت، وصار الملوك يورثون الحكم لأبنائهم الذكور. (3)

---

(1) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص31.

(2) البكري: المغرب، ص75.

(3) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص ص32، 35، نعيم قداح: أفريقيا الغربية، ص42.

2- السياسة الداخلية :

أقسام إمبراطورية غانا الإدارية :

أ- السلطة القضائية :

والحديث عن السلطة القضائية بمملكة غانا الإسلامية يحتم علينا أن نتتبع التقسيمات الإدارية في ولايات هذه الإمبراطورية، والتي تتبع الحكومة المركزية في كومبي صالح.

فقد قسمت الإمبراطورية إلى ولايات أو ممالك، ويشير ابن الوردي 749 هـ/ 1348م إلى ذلك بقوله : " كان لملك غانا ممالك عديدة، فيها ملوك تحت يده، كما كان لكومبي صالح وال أو حاكم. "[1]

وكان على رأس كل ولاية من الولايات أو الممالك التي خضعت للحكم المركزي في كومبي صالح حاكم أو ملك، ومن أشهر الولايات التابعة لها : أوكار، وهي نواة إمبراطورية غانا، وكذلك هوذ في الوسط، والممالك البربرية في الشمال، وديارا وتاكانت وباسيكورو في الشرق، وواجادو وكانياجا وبغن في الجنوب والجنوب الشرقي.[2]

ومع أن نظام الحكم يقوم على أساس المركزية إلا أنه كان في بعض المقاطعات أو الولايات وراثياً في أسر معينة، حتى إذا أحست هذه الولايات أو الممالك الوراثية الخاضعة للحكم المركزي في كومبي صالح بضعف

---

(1) زين الدين أبو حفص بن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1970م، ص160.

(2) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص32.

الحكومة المركزية قامت بحركة انفصالية؛ رغبة في الاستقلال كما حدث عند دخـــول المرابطين كومبي صالح عام 469 هـــ/ 1076 م، فانتهزت الفرصة كـــل مـــن ديارا، وكانياجا، وجالام، ولم يعد نفوذ السوننك ملوك غانا إلا في أوكار وباسيكورو. [1]

وفـــي كومبي صالح كان كبار موظفي الملك ومستشاروه من المسلمين حتى في عهدها الوثني، إذ كان المسلمون أكبر طبقة مثقفة، وينطبق هذا على المسلمين من الوطنيين السوننك، وعلى من هاجر من العرب والبربر واستقر في حاضرة غانا وولاياتها. [2]

وشـــجع على ذلك نشاط التجارة وازدهارها، وتوفر فرصة العمل في حكومـــة غانـــا، فضلاً عن استتباب الأمن لمدة كبيرة تقارب قرنين، فقد كان لإمبراطورية غانا فرق تجوب الصحراء، [3] مثل ما هو متبع الآن في الوقت الحاضـــر ويطلق عليها تعبير حرس الحدود وكان ذلك من الأسباب الرئيسية فـــي نمو الممالك الإسلامية وازدهارها بالصفوة من العلماء والمثقفين، وقيام المدارس العربية الإسلامية فيها، وقد أشار البكري إلى ذلك فذكر أن :

"تـــراجمة الملك في حاضرته من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكبر وزرائه"[4]

ومـــن تقالـــيد الحكم في كومبي صالح تلك المجالس التي يعقدها الملك للنظر بنفسه في المظالم.

ويصف البكري هيئة جلوس الملك للنظر في المظالم بقولـــه :

---

(1) نعيم قداح: أفريقية الغربية، ص ص29، 109.
(2) محمود طه أبو العلاء: المسلمون في أفريقيا المدارية، ص65.
(3) نعيم قداح: أفريقية الغربية، ص ص41، 111.
(4) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص872.

"وهــو –أي ملــك غانـــا– يجلس للناس والمظالم في قبة وحوله عشرة أفــراس بثياب مذهبة، ووراءه عشرة من العلماء يحملون الحجف،[1] والسيوف المحـــلاة بالذهـــب، وعن يمينه أولاد ملوك بلده – أي ملوك الأقاليم والولايات الخاضـــعة لـــــه – وقـــد ضفروا رؤوسهم بخيوط من الذهب، وعليهم الثياب الرفـــيعة، ووالي حاضرته – أي حاكم العاصمة – بين يدي الملك جالس على الأرض، وحوله الوزراء جلوساً على الأرض، وعلى باب القبة كلاب منسوبة – أي أصـــيلة – لا تكاد تفارق موضع الملك، تحرسه، وفي أعناقها سواجير[2] مـــن الذهب والفضة، ويكون بالساجور عدد رمانات ذهب وفضة وهم ينذرون بجلوسه بطبل يقال لها دبا[3] وهي خشبة طويلة منقورة فتجمع الناس".[4]

كمـــا يصف الإدريسي أيضاً هيئة ركوب الملك في كومبي صالح للنظر فـــي المظالم فيقول : "وهو –أي ملك غانا– أعدل الناس فيما يحكي عنه، ومن ســـيرته قـــربه من الناس، وعدله فيهم، لـــه جملة قواد يركبون إلى قصره كل يـــوم، ولكـــل قائد منهم طبل يضرب على رأسه، فإذا اجتمع إليه جميع قواده ركـــب وسار يتقدم الجميع، يمشي في أزقة المدينة، فمن كانت لديه مظلمة أو نابـــه أمر تصدى لـــه فلا يزال حاضراً بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره وينصرف قواده، فإذا كان بعد العصر وسكن حر الشمس ركب مرة ثانـــية، وخـــرج وحوله أجناده فلا يقدر أحد على قربه ولا على الوصول إليه، وركوبه في كل يوم مرتين سيرة معلومة ".[5]

---

(1) الحجـــف: بفـــتح الجـــيم والحأ اجمع حجفه وهو الترس المأخوذ من جلود وليس فيه خشب، الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، 1983، ص130.

(2) الســـاجور: تجعـــل فـــي عنق الكلب ويقال كلب سوجوي أي مربوط، الطاهر الزاوي: نفس المرجع، ص290.

(3) دبا: بلغة السوننك، طبول ولا زالت تعرف بهذا الاسم، الزاوي: نفس المرجع، ص202.

(4) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص873.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد الأول، ص ص23، 24.

ومن هنا نستنتج أن ملوك مملكة غانا قد تأثروا تأثيراً كبيراً بالإسلام، حيث نستخلص من المصادر التاريخية احترام ملوك هذه البلاد للمسلمين وعدلهم، ونزولهم إلى شوارع المدينة للفصل في المنازعات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تأثرهم بنظم الحكم الإسلامي.

ب – السلطة التنفيذية : –

أما السلطة التنفيذية في كومبي صالح العاصمة الزاهرة لإمبراطورية غانا قد تمثلت في جهاز الشرطة، والجيش المركزي المنوط به حماية الإمبراطورية، وفرق المسلمين.

فمن المعروف أن غانا اشتهرت بقوة جيشها وكثرة تعداده، إذ بلغ عدد المحاربين فيها مائتي ألف محارب يحمل أربعون ألف منهم الرماح، وكان معظم الجيش يتكون من القبيلة والعشيرة التي تنتمي إليها الأسرة المالكة. [1]

فقد وصف لنا البكري قوة جيشها بقوله :

"إن ملك غانا إذا احتفل ينتهي جيشه إلى مائتي ألف، منهم رماة أزيد من أربعين ألف، وخيل غانا قصار جداً "[2] ويتسلح هذا الجيش بالأسلحة الحديدية التي ساعدت على تحقيق انتصارات عظيمة على جيرانها الذين كانوا أدنى منها عدة وعتاداً مما ساعدها على التفوق عليهم؛ لاستخدامها الحديد بكفاءة عالية لتصنع منه الأسلحة الحديدية التي اشتهرت بها. وقد تنوعت هذه الأسلحة فمنها : السيوف، والحراب، وكذلك الرماح، والخناجر فضلاً عن الأقواس والنشاب، وذلك على حين كان أولئك الجيران يحاربون

(1) نعيم قداح: أفريقيا الغربية، ص ص36، 111، عطية مخزوم: دراسات، ص240.
(2) البكري: الممالك والمسالك، ج2، ص875.

بقضبان من الأبنوس.[1]

وبالإضـــافة إلـــى جيش كومبي صالح المركزي كانت هناك فرق من المســلحين تجوب الصحراء للمحافظة على استتباب الأمن، وهو ما ساد في إمـــبراطورية غانا وعاصمتها كومبي صالح، واتسمت به في عهديها الوثني والإســـلامي، واعتقد أن هذه الفرق المسلحة التي جابت الصحراء المترامية الأطـــراف كانت مسئولة عن حفظ الأمن والحفاظ على تدفق القوافل التجارية مـــن الشمال صوب الجنوب محملة ببضائع البحر المتوسط، وقوافل الجنوب صوب الشمال محملة ببضائع الجنوب.

وكان الملح والذهب عماد هاتين الرحلتين سواء الشمالية أو الجنوبية.

ولهـــذا ســـعت كومبـــي صالح العاصمة المركزية للإمبراطورية إلى المحافظـــة علـــى استقرار الأمن؛ تشجيعاً للتجار على الوفود إليها؛ لعرض تجـــارتهم والاســـتفادة بهـــذه الـــتجارة التـــي كانت سبباً في انتعاش الحياة الاقتصادية.[2]

3 – السياسة الخارجية :

منذ أن بسط العرب نفوذهم السياسي على شمال أفريقيا انعكست آثاره على العلاقات السياسية الخارجية في غرب أفريقيا، فقد مهدت الظروف التي ســـادت شـــمال أفريقيا – منذ القرن الرابع الميلاد وإلى القرن السابع منه – الطـــريق للتغـــير الجذري الذي شمل منطقة الشمال الإفريقي، ويمتد تأثيره صـــوب الجـــنوب إلى غرب القارة حيث اندفع التيار العربي الإسلامي من الشمال الإفريقي إلى غرب أفريقيا.

---

(1) عطية مخزوم: دراسات، ص240، جون جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا، ص51.

(2) مادهو بانيكار: نفس المرجع، ص67.

وللحديث عن السياسة الخارجية لمملكة غانا الإسلامية يحتم علينا الرجوع إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي لكي تتضح لنا صورة العلاقات المستقبلية مع دول المغرب العربي.

فقد كانت أول إشارة صريحة لعلاقات دول المغرب العربي مع غانا هي الحملة التي أرسلها عبيد الله بن الحبحاب إلى السودان عام 116 هـ/734م[1]، وترتبت على هذه الحملة نتائج هامة أدت إلى تحول كبير في تاريخ المنطقة الصحراوية الواقعة بين السوس الأقصى شمالاً والمنطقة الواقعة بين نهري السنغال والنيجر جنوباً.

فقد أدت الحملة إلى إضعاف قبضة مملكة غانا على المناطق الشمالية من أراضيها، وسيطرت القبائل الصنهاجية من أشراف مملكة غانا على نشاطها التجاري، لأن حدود مملكة غانا (وكما يرى البعض) امتدت شمالاً حتى المناطق القريبة من السوس الأقصى.[2]

ونتج عن ذلك سيطرة قبائل صنهاجة على نهايات الطريق في الشمال، وفي نفس الوقت تحرك بعض أفراد صنهاجة جنوباً، فقد ذُكر أن لمتونة وصلت أدرار الموريتانية وتخطتها جنوباً في النصف الأول من القرن الثاني الهجري.[3]

والإشراف على النهاية الشمالية لتلك الطرق يتطلب من هذه القبائل التعاون فيما بينها من ناحية، والتنسيق مع مملكة غانا التي تخرج منها

---

(1) أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، المكتبة التجارية، القاهرة، 1959، ص233، أبوعمر خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ص347.

(2) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1957، ص88، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص62.

(3) محمود طه أبو العلاء: المسلمون في أفريقيا، ص83.

الطرق من ناحية أخرى، ولما كانت مملكة غانا في مرحلة ضعف فقد أتيحت الفرصـــة أمام القبائل الصنهاجية للاتحاد، وظهر بذلك الحلف الصنهاجي أو دولـــة أنبـــية الصنهاجية قبل العقد السادس من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

كما نتج عن حملة ابن الحبحاب وظهور دولة أنبية الصنهاجية تغير آخر فـــي المنطقة، وذلك أن ضعف الأسرة البيضاء الحاكمة في مملكة غانا أدى إلى ظهور قوة السوننك، وتمكنت أسرة سوننكية من الاستيلاء على السلطة في غانا فـــي العقـــد السادس من القرن الثاني الهجري، واتجهت الأسرة الحاكمة القديمة نحو نهر السنغال[1].

وتوافُـــق قيام دولة أنبية الصنهاجية مع انهيار الأسرة الأولى في غانا دلالة واضحة على محاولات دولة أنبية للتوسع جنوباً من أجل الإشراف على طـــرق التجارة، ولذلك فإن ضعف الأسرة الأولى في غانا ارتبط إلى درجة كبيرة بقيام دولة صنهاجية، حتى أن الصنهاجيين أرغموا الأسرة الجديدة إلى الـــتقهقر جـــنوباً، واتخـــذت دولة أنبية من أودغست عاصمة لها، واستقرت الأســـرة السوننكية إلى الجنوب من أودغست في عاصمتها الجديدة المعروفة باسم كومبي صالح[2].

وقد يفسر هذا ما أورده كعت العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي عـــن الـــروايات المحلية في المنطقة والتي تذكر أن حكم الملوك الأوائل في غانـــا انـــتهى في القرن الأول للهجرة، فتلك الروايات حملت الصدى المبكر لانهيار الأسرة البيضاء، وربطته يالقرن الأول الهجري.[3]

---

(1) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ص97.

(2) عنايات الطحاوي: أفريقية الإسلامية، ص42.

(3) محمود كعت: نفس المصدر، ص41.

فالحملة التي أرسلها ابن الحبحاب إلى الصحراء أدت إلى تحول كبير في المنطقة بقيام دولة جديدة في أودغست، واعتلاء أسرة جديدة للعرش في غانا، وانتقال العاصمة جنوباً.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا ما هي العلاقات الخارجية التي كانت بين دولة أنبية الصنهاجية ومملكة غانا ؟ هل كانتا في صراع دائم؟ أم أنهما عاشتا فترات من الهدوء والسلم خاصة وأن التبادل التجاري من ناحية، وضمان سلامة وتأمين القوافل من ناحية ثانية، يتطلب قدراً من التفاهم والسلم.

لقد كانت المراكز ذات المواقع الهامة تجارياً والتي يمكن أن يكون عليها الصراع قد تحددت تبعيتها، فأوليل مركز الملح وميناء التوزيع عبر السنغال أصبحت تحت قبيلة جدالة الصنهاجية، [1] والمراكز والآبار على الطرق داخل الصحراء كانت بعيدة عن مملكة غانا داخلة في قلب أراضي صنهاجة.

والمراكز الغربية على نهر السنغال كانت قد استقرت عليها العناصر التي نزحت بعد سقوط أودغست وانتقال عاصمة غانا جنوباً، [2] وكانت هذه الفئة تمثل المنافس القوي لمملكة غانا، لأنها تطل على مناطق الذهب في الجنوب، وكان هذا سبباً في تقاربهم مع الصنهاجيين وتحالفهم معهم فيما بعد، مما يستبعد معه حدوث صدام بينهم وبين دولة صنهاجة.

---

(1) البكري: المغرب، ص172.

(2) كان المهاجرون البيض الذين أسسوا الأسرة الحاكمة في غانا قد اختلطوا بالسوننك وبعد تنحيتهم عن السلطة اتجهوا ناحية الجنوب إلى إقليم التكرور والولوف والبربر على نهر السنغال وتمكنوا بالتزاوج مع العناصر المحلية هناك من تحقيق سيطرة سياسية ظلت حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حيث أزيحوا بمنافسيهم التكرور، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص97.

أمـــا المـــنطقة الشرقية فهي التي يمكن أن تكون محلاً للصراع؛ لأن المنطقة الواقعة ما بين تادمكة وغانا لها أهميتها التجارية الكبرى لمرور كل تجـــارة الشـــمال الآتية من الصحراء الوسطى وغانا عبرها، ورغم سيطرة قـــبائل الملثمين على تادمكة إلا أنهم لم ينضموا للحلف الصنهاجي، وبذلك لم يدخلوا في دولة أنبية كما يفهم مما ذكره ابن حوقل[1].

وأهم محطة على طريق تادمكة غانا هي تيرقي التي يجتمع في سوقها أهـــل غانا وأهل تادمكة،[2] وتقع تيرقي إلى الشرق من غانا على بُعد مسيرة ســـتة أيـــام كما ذكر الإدريسي،[3] وتتضح المسافة أكثر من ذلك بقليل عند الـــبكري الذي لم يحدد هل هي داخلة في حدود مملكة غانا أو خارجة عنها ؟ غـــير أنـــه جعـــل كل المنطقة الواقعة بين تيرقي وغانا مأهولة بقبيلة مداسة الصنهاجية وتليها قبيلة سمغارة البربرية.[4]

وفـــي بدايـــة القـــرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ذكرت بعض المؤلفات العربية أن دولة أنبية أصابها الضعف، وافترقت قبائل صنهاجة عام 306 هـــ/ 918م ودام هذا الضعف لمدة مائة وعشرين سنة أي حتى أول القـــرن الخـــامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[5]. وقد يرجع السبب في ضـــعف دولـــة أنبية إلى فترة الاضطراب التي عاشها المغرب بعد قيام دولة بنـــي عبـــيد فـــي المغـــرب العربي على حساب الدول التي كانت قائمة في المنطقة، [6] لأن دولة بني عبيد دخلت في صراع طويل في المغرب الأقصى

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص101.
(2) البكري: المغرب، ص181.
(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد الأول، ص25.
(4) البكري: المغرب: ص180.
(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، ص225، ابن أبي دينار: نفس المصدر، ص104.
(6) قضت دولة العبيديين في نهاية القرن الثالث الهجري على الأسر الحاكمة في المغرب العربي مـــا عدا أسرة ابن الخطاب في زويلة فقد حافظت هذه الأسرة على سلطاتها حتى قضي عليها =

قادتـــه ضدها قبائل زناتة بتأييد من الأمويين في الأندلس، [1] وكان العبيديون يعـــتمدون علـــى تأييد القبائل الصنهاجية، وسيطرت قبائل زناتة على أغلب مراكـــز المغرب الأقصى التجارية مما أدى إلى عزل دولة أنبية الصنهاجية في الداخل، كما أثرت الحروب التي دارت في المنطقة على النشاط التجاري لأودغست مما أدى إلى ضعفها.

أتـــاح ضـــعف دولة أنبية الفرصة أمام مملكة غانا للتوسع، فقد امتدت حـــدود مملكة غانا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى المنطقة التـــي قامـــت عليها تمبكت شرقاً وأعالي نهر السنغال في الجنوب والجنوب الغربي وحتى حدود تكرور غرباً، وامتدت حتى أقصى حدود البربر الجنوبية من ناحية الشمال.

ونحو نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تحركت غانا شمالاً واســـتولت علـــى أودغست، [2] وذُكر أن مملكة غانا اغتنمت بعض المشاكل الداخلية في أودغست مما ساعد على احتلالها [3].

=

عـــام 568 هــ قراقوش مملوك صلاح الدين الأيوبي وفي فاس أقر العبيديون أسرة الأدارسة وأنـــابوهم عنهم في حكم المنطقة لكن لم تدم العلاقات الطيبة بين العبيديين والأدارسة ودخل الأدارســـة تحـــت طاعة الأمويون في الأندلس لبعض الوقت واستقلوا عنهم بعد ذلك وتقلص نفـــوذ الأســـرة الإدريسية حتى انحصر في بعض الحصون حتى قضى عليهم الأمويين عام 362 هـــ، ابن خلدون: العبر، ج6، ص143.

الناصري: الاستقصاء، ج1، ص ص182، 183، 184، 201، 202.

(1) ارتبطـــت الدولة الأموية في الأندلس بعلاقات طيبة مع الرستميين الذين مثلوا حلقة الاتصال بيـــن الأندلـــس والمشـــرق في ذلك الوقت ولما قامت دولة بني عبيد وأنهت الدول الرستمية عزلت الأندلس.

السـيد عـبد العزيــز ســـالم: المغرب الكبير، ج2، دار النهضة المصرية، بيروت، 1981، ص ص570، 571.

(2) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص29.

(3) مجهول: محاضرات في تاريخ أفريقيا، ص24.

وقد أشار البكري إلى أن أودغست كانت قبل احتلال المرابطين تعاني من مشاكل بين سكانها من زناتة والعرب الذين كانوا متباغضين متدابرين،[1] وربما كانت هذه الخلافات قد ساعدت غانا إلى جانب ضعف الدولة في احتلالها.

إن احتلال مملكة غانا لأودغست قد أثار غضب المرابطين، وهذا الغضب من المرابطين قد يشير إلى أن خضوع أودغست لمملكة غانا لم يأت عن طريق الحرب، بل اختارت أودغست الدخول تحت سيادة مملكة غانا لما كانت تعانيه من ضعف، وهذا السبب أدى إلى إنزال العقوبة بأودغست واحتلالها.

وقد أدى النجاح السريع الذي حققه المرابطون على أودغست منذ عام 446 هـ/ 1054م إلى بعث الروح في قبائل صنهاجة، [2] وانضمت لمتونة للحلف، [3] وقد ساعد هذا على تثبيت أقدام الحلف في الصحراء، وبذلك رجعت غانا نحو الجنوب. وقد أدى اضطراب الأوضاع في الشمال[4] إلى توجه المرابطين نحو السوس الأقصى استجابة لنداء فقهاء سجلماسة ودرعة،[5] فاستولى المرابطون على سجلماسة، ودخلوا بذلك في صراع مع قبائل زناتة، ونصب اهتمامهم على المغرب الأقصى، ونتج عن ذلك إهمال الصحراء فلم تنعم بالتنظيم والاستقرار.

---

(1) البكري: المغرب، ص168.
(2) أخضع المرابطون جدالة في هذا التاريخ. ابن الخطيب: نفس المصدر، ص228.
- J. D. Fage, Ghana, p. 333.
- Basil Davidson, Old Africa, pp. 84- 85.
(3) غزا عبد الله بن ياسين لمتونة وأخضعها في نفس العام. ابن الخطيب: نفس المصدر، ج3، ص228.
(4) كانت المنافسات لا تزال قائمة بين قبائل زناتة وإبان قيام دولة المرابطين كانت فاس وسجلماسة تحت الزناتيين في خلاف، ابن الخطيب: نفس المصدر، ج3، ص151 وما يليها.
(5) البكري: المغرب، ص168.

كانـــت الخلافــات قد دبت بين القبائل الصنهاجية منذ عام 448هـ/ 1056م،[1] وأدى إهمـــال أمور الصحراء إلى تطور الخلافات مما أدى إلى قـــدوم أبـــي بكـــر بـــن عمر مخلفاً ابن عمه يوسف بن تاشفين على قيادة المرابطيـــن في المغرب،[2] لكن الضربة القاسية التي أودت بقوة المرابطين في الصحراء كانت انفراد يوسف بن تاشفين بقوات المرابطين في المغرب، وعودة أبي بكر بن عمر مرة أخرى إلى الصحراء تاركاً جنوده في الشمال.

ويبدو من الأخبار القليلة التي نقلتها لنا المؤلفات العربية عن هذه الفترة أن أبابكـــر حافظ على ما تبقى من قوة الحلف، وظل يجاهد في المنطقة حتى تمكـــن من هزيمة غانا، ودانت لـــه الصحراء حتى بلاد الذهب جنوباً، لكن الانتصارات لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما استعادت غانا نفوذها بعد موت أبي بكر بن عمر وانتهي بذلك عصر علاقات القبائل الصنهاجية مع مملكة غانا، التي ظلت قوية حتى مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.[3]

ومـــا عـــدا الحملة التي أرسلها عبيدالله بن الحبحاب إلى السودان عام 116 هــــ 734 م، والصراع الذي حدث بين دولة أنبية ثم دولة المرابطين مــــع غانا، لم يرد ما يوضح حدوث أي صدام بين غانا وبين دولة أخرى في دول المغرب العربي. وبالتالي فقد كانت هناك علاقات سلمية بين مملكة غانا وبقـــية دول المغرب العربي، والدليل على ذلك ما ذكره البكري في كتابه من وجـــود علاقات بين هذه الدول ومملكة غانا، فأوضح أن عاصمة غانا مكونة

---

(1) كانـــت جدالـــة قـــد خالفت زعامة الحلف ودخلت مع المرابطين في معركة كبيرة في أزكى وأنـــزلوا بالمرابطيـــن هزيمة كبيرة لم تكن لهم بعدها كرة إلى بني جدالة. البكري: المغرب، ص168.

(2) ابن الخطيب: نفس المصدر، ج3، ص232.

(3) الناصري: الاستقصاء، ج2، ص22.

مـــن مدينتين إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون[1]. فالمسلمون سكان هذه المديـــنة أتى جلهم – وإن لم يكن كلهم – من دول المغرب، ولهم ارتباطات ومصـــالح بـــالدول التي أتوا منها خاصة وأن أغلب هؤلاء الوافدين أتوا من أجل التجارة والدعوة للدين الإسلامي، وهذه المصالح التجارية المشتركة بين غانـــا وتلك الدول تتطلب نوعاً من الاتصال ولو على سبيل المجاملات تأكيداً للصـــداقة ورعاية المصالح. كما كان ببلاط ملك غانا موظفون ذوو درجات عالـــية من المسلمين مثل المترجمين ولما كانت مصالح مملكة غانا الحكومة ترتبط شمالاً بالمغرب يكون أغلب هؤلاء المترجمين[2] عرباً أو من يجيدون العربـــية؛ للاستقبال والترجمة للوفود التي تأتي الملك، كما كان صاحب بيت مالـــه وأكـــثر وزرائـــه من المسلمين،[3] وهؤلاء أيضاً من المرجح أنهم من مسلمي المغرب وليسوا من مسلمي غرب أفريقيا، ولا شك أنهم كانوا وزراء ذوي خـــبرة اكتســـبوها – أو أن بعضـــهم اكتسبها – من موطنه بالمغرب، ويتـــبادر إلـــى الذهـــن سؤال هو : هل كان ملوك غانا يطلبون مثل هؤلاء الموظفين من المغرب ؟ وعلى كل حال فإن صلات أولئك الوزراء بمواطنهم في المغرب أمر طبيعي، بل أن وجودهم يقود إلى إقامة تلك الصلات رسمياً بيـــن بـــلاط ملك غانا والأسر الحاكمة التي أتى أولئك الوزراء من مناطقها، ومـــن جهـــة أخرى فإن الأسر التي حكمت في المغرب تتطلب مصالحها في غانا – وهي مصدر الذهب – إقامة العلاقات مع ملوكها، ويبدو أن الإدريسي قد أشار إلى ذلك عندما ذكر أن ملوك غانا : من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [4].

---

(1) البكري: المغرب، ص175.

(2) البكري: المغرب، ص175.

(3) البكري: المغرب، ص175.

(4) الإدريسي: نفس المصدر، ص23.

فكان ملوك غانا ينتمون إلى أخ إدريس مؤسس أسرة الأدارسة في فاس[1]، وهذا الارتباط يوحي بوجود صلة بين الأسرتين وليس بعيداً أن تكون أسرة الأدارسة – وهي حليفة الصنهاجيين جيران غانا – قد قصدت تقوية علاقاتها مع الأسرة السوننكية لتضمن مصالحها الاقتصادية وتدفق الذهب عليها فصاهرت ملوك غانا، أو أن أحد أفراد البيت الإدريسي ذهب إلى غانا واستقر به المقام وتمكن من مصاهرة الأسرة الحاكمة، كما أشار ابن عذارى مرتين إلى سفارات تصل من ملوك السودان إلى الأسرة الصنهاجية في تونس فذكر : " وصلت من ملك السودان إلى المعز هدية جليلة فيها رقيق كثير وزرافات وأنواع من الحيوانات غريبة"[2].

والمعز هو المعز بن باديس قد حكم ما بين 406 – 454 هـ/ 1015 – 1062م فالهديتان اللتان وصلتا إلى الأسرة الصنهاجية كانت في عصر قوة غانا وتوسعها شمالاً، فكانت قد استولت على أودغست عام 380 هـ/ 990 م، وبدأت في بسط سيطرتها شمالاً على الطرق المتجهة نحو المغرب الأوسط عبر الصحراء الوسطى، وفي نفس الوقت كانت الأسرة الصنهاجية في أفريقية قد فقدت سيطرتها على سجلماسة منذ بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، [3] ولذلك يبدو معقولاً أن يبحث زعماء الدولة الصنهاجية عن بديل لسجلماسة عبر الصحراء، ويقوموا في نفس الوقت بتوطيد علاقاتهم مع غانا وتشجيع الطرق الوسطى الصحراوية.

أما في عام 423 هـ/ 1031م وقت السفارة الثانية فقد كان المغرب الأقصى في اضطراب، ولم تهدأ سجلماسة بعد أن أخذتها زناتة من الصنهاجيين، بل احتد الصراع منذ أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي

---

(1) ابن خلدون: نفس المصدر، ج4، ص211.
(2) ابن عذارى المراكشي: نفس المصدر، ج1، ص275.
(3) ابن الخطيب: نفس المصدر، ج 2، ص150.

عشـــر المـــيلادي بيـــن المنصـــور بن أبي عامر من الأندلس وقبائل زناتة، وحدثت حروب طويلة قادها في المغرب زيري بن عطية المغراوي.[1] ففي هـــذه الظـــروف التي كسدت فيها تجارة جنوب المغرب الأقصى أتت بعض القـــبائل المغربية إلى الأسرة الصنهاجية في قلعة بني حماد تلتمس العون في حفظ طريق التجارة وتوسع بني حماد حتى ورجلان جنوباً،[2] وأدى ذلك إلى نشـــاط طرق الصحراء الوسطى، وتطلب ذلك بناء علاقات بين كلا الطرفين الصـــنهاجي، ومملكـــة غانـــا ، ولذلك فمن المرجح أن تكون السفارات التي وصـــلت إلـــى البلاط الصنهاجي أتت من مملكة غانا، وربما كانت رداً على ســـفارات بعثتها قبائل صنهاجة، ورغم أنه لا سبيل إلى تأكيد هذا الرأي فإن السفارتين تعتبران على الأقل مثالاً من جانب غانا.

وعـــن علاقـــات المرابطين السلمية مع مملكة غانا ذكر مؤلف كتاب الاستبصـــار أنه رأى كتاباً من ملك غانا إلى يوسف بن تاشفين نصه : "إلى أمير أغمات قال غانا"[3] فالرسالة ترجع إلى الفترة التي كان فيها المرابطون مستقرين في أغمات قبل تأسيس مدينة مراكش.

وبالـــرغم من أن صاحب كتاب الاستبصار لم يشير إلى مضمون هذا الكـــتاب فإنـــه يدل على استمرارية صلة غانا بالمرابطين، حيث إنه وبعد دخـــول المرابطين مملكة غانا ازداد عدد الداخلين في الإسلام، وقامت غانا بـــدور كبير في نشر العقيدة الإسلامية بمنطقة السودان الغربي حتى اشتهر عن أهلها وأغلبهم من السوننك حماسهم للإسلام، إذ كانت هذه العقيدة ذات

---

(1) ابـــن عـــذارى المراكشـــي: نفـــس المصدر، ج1، ص ص252، 253، ابن الخطيب: نفس المصدر، ج2، ص161.

(2) ابن خلدون: نفس المصدر، ج6، 1971، ص ص171، 172.

(3) مجهول: الاستبصار، ص219.

أثر كبير في حياتهم الاجتماعية.[1] والدليل على ذلك ما ذكره لنا ابن سعيد عن إسلام ملك غانا وتحمسه لنشر الإسلام فقال : "وهو كثير الجهاد للكفار وبذلك عرف بيته"[2].

وذكر المؤرخون تواريخ مختلفة لتأسيس مدينة مراكش، وقد ناقش السيد عبد العزيز سالم تلك الآراء، ورجح أن يكون انتقال المرابطين إلى مراكش تم في عام 459 هـ/ 1066م[3]، وبالإضافة إلى هذه الرسالة فقد ذكرت لنا بعض المراجع أن العلاقات بين المرابطين وملوك السودان لا تزال قائمة ومستمرة حتى عام 479 هـ/ 1086 م، حيث يورد لنا الطيبي بعض مؤشرات هذه العلاقات نقلاً عن بعض المصادر، منها أن مشاركة أربعة آلاف من الجنود السودانيين في وقعة الزلاقة بالأندلس عام 479 هـ/ 1086م توحي بأن تحالفاً كان قد قام بين المرابطين وبين إخوانهم الأفارقة المسلمين، كما أن الوحدة التي أقامها المرابطون في المغرب الإسلامي من الأندلس إلى بلاد السودان الغربي تتضح من اكتشاف عدة شواهد قبور إسلامية يرجع تاريخها إلى العقد الأول من القرن الثاني عشر الميلادي.[4]

وهكذا فقد كانت علاقات مملكة غانا بدول المغرب العربي أحياناً تصل إلى درجة الحرب، وأحياناً يصل طابعها العام إلى درجة الود ورعاية المصالح التجارية المشتركة بين الطرفين.

وعن علاقات مملكة غانا السياسية بدول المشرق الإسلامي فقد ازدهرت هذه العلاقات، وظهرت معالمها واضحة في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وخاصة بعد اتصال حكام غانا المسلمين

---

(1) دندش: نفس المرجع، ص125.
(2) ابن سعيد: نفس المصدر، ص92.
(3) السيد عبد العزيز سالم: نفس المرجع، ج2، ص702.
(4) أمين الطيبي: دور المرابطين في انتشار الإسلام في السودان الغربي، ص25.

بالخلافة العباسية، وارتباطهم بها بوصفهم ممثلين لهذه الخلافة الشرقية في السودان الغربي، وبلغ بهم هذا الارتباط إلى ادعاء النسب العلوي، فانتشرت التقاليد الشرقية في غانا، ومنها لبس العمامة، ومنذ ذلك الحين لم تنقطع علاقة غانا بمصر شأنها في ذلك شأن غيرها من باقي بلاد السودان الغربي؛ وذلك لأن مصر تقع على طريق الحج بالنسبة لسكان غرب أفريقيا، واستمرت أهمية مصر هذه على الرغم من اضطراب أحوال الشرق الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بسبب الصراع الداخلي في مصر عند أواخر العصر الفاطمي، ثم بسبب مداهمة الخطر الصليبي لبلاد المشرق منذ عام 493 هـ/ 1099 م، ومحاولة زعماء المسلمين توحيد الجبهة الإسلامية من أجل الجهاد ضد عدوهم المشترك وهي المحاولة التي بلغت قمة نجاحها في عصر صلاح الدين الأيوبي الذي توفي عام 589هـ/1193م أي قرب نهاية عهد إمبراطورية غانا الإسلامية.[1]

هذا عن علاقة مملكة غانا بدول المشرق الإسلامي، أما علاقاتهم بالدول المجاورة لها فقد كانت علاقتهم بها أقرب إلى الصراع المستمر منها إلى الهدوء والمسالمة ولا سيما تلك الممالك التي خضعت لغانا وكانت تدفع لها الجزية لكنها تتحين الفرصة للخروج عليها، فمن جيران غانا الغربيين مملكة التكرور، وهذه استطاعت أن تحتفظ باستقلالها ضد توسع جارتها الشرقية القوية، وإلى جانب مملكة التكرور كانت هناك مملكة سلى الإسلامية التي استطاعت أن تحتفظ باستقلالها أيضاً، وهناك مملكة ماسنة الإسلامية في الجنوب الشرقي من غانا، وملوكها من الفولانيين، وأغلب سكانها من البربر والفولانيين، فهذه كذلك لم تخضع لغانا وكانت علاقتها بمملكة أودغست البربرية ودية، وكثيراً ما استعانت بها ضد جيرانها السود.

---

(1) إبراهيم طرخان: نفس المرجع، ص84.

وفي جنوبي غانا تقع مملكة الصوصو في كانياجا وهذه خضعت لغانا ودفعت لها الجزية لكنها لم تخلص لها، إذ كان الصوصو حينئذ على الوثنية، بيـــنما كانت غانا حافلة بعدد كبير من المسلمين، لذلك عندما داهم المرابطون غانـــا عام 469هـ/1076م استقلت كانياجا وأضحت هي الخطر الأكبر على غانا فيما بعد[1].

وخلاصـــة القول أن التأثير الإسلامي في الجوانب السياسية والإدارية كـــان واضحاً من خلال نظام الحكم، حيث أتضح لنا الفرق الشاسع بين نظام الحكم قبل انتشار الإسلام وبعد انتشاره حيث نلاحظ أن الإسلام قد حافظ على شخصية المملكة التي أصبحت لها علاقات سياسية خارج حدودها، فقد اتصل الملـــوك الغانيون بالبلدان الإسلامية وكونوا معها علاقات دبلوماسية، وتأثروا بأنظمتها المختلفة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تأثر هؤلاء الملوك بالديـــن الإسلامي، وبالتالي فإن هذه الأوضاع السياسية كانت منطلقاً لإعطاء دفعـــة قوية للنهضة الاقتصادية التي شهدتها البلاد، ويتمثل ذلك في الازدهار الاقتصادي بالمناشط الاقتصادية وهذا ما يعالجه الفصل التالي.

---

(1) طرخان: نفس المرجع، ص ص85، 86.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية
بمملكة غانا الإسلامية

1 – الزراعة .

2 – الثزوة الحيوانية.

3 – الثروة المعدنية.

4 – الصناعات المحلية.

5 – التجارة الداخلية.

6 – التجارة الخارجية.

الحياة الاقتصادية : -

اهتمت مملكة غانا اهتماماً كبيراً بالحياة الاقتصادية والتي كان عمادها الذهـــب والملـــح، فقد شهدت البلاد حركة تجارية داخلية وخارجية، ارتبطت الداخلـــية مـــنها مع باقي المناطق التابعة للإمبراطورية في تبادل السلع، أما الخارجية فقد ارتبطت بالشمال الأفريقي.

وقد نتج عن هذا الوضع الاقتصادي الممتاز أن عم الرخاء والازدهار الكثير بين طبقات المجتمع الغاني.

وبالرغم من أن المملكة قد اشتهرت بتجارة الذهب، وتسيير القوافل عبر الصحراء، فإنها تميزت بأراضيها الزراعية، حيث شهدت البلاد نشاطاً زراعياً ملحوظـــاً نظـــراً لمـــا تتمتع به من مقومات : منها خصوبة تربتها في أغلب مـــناطقها، وعذوبـــة المـــياه، فضلاً عن أنها كانت تتمتع بكثافة سكانية اتجهت معظمهـــا إلـــى خدمة الزراعة، هذا بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الأنهار والبحيرات الغنية بالأسماك.

وعليه فإن هذا الفصل يهتم بإلقاء الضوء على الحياة الاقتصادية لهذه المملكـــة، حيث سنطرح منه عدداً من الموضوعات، وهي الزراعة، والثروة الحيوانـــية والمعدنـــية والصـــناعية، بالإضـــافة إلـــى التجارة الداخلية منها والخارجية.

1 - الزراعة : -

وصـــفت إمبراطورية غانا في فجر نموها بأنها إمبراطورية زراعية. والدورة الزراعية فيها اثنتان. ويؤكد البكري ذلك بقولـــه : "وهم أي الغانيون

يــزرعون مرتيــن في العام على ثرى النيل".[1] وهذا يعني أن هذه المملكة شـــهدت استقراراً سكانياً اتضح في التجمعات السكانية التي أقاموها، وتعتبر هــذه المنطقة من السودان الغربي أكثر خصوبة من المناطق المجاورة لها، ممـــا أتاح الفرصة أمام الغانيين للاستقرار على مساحتها الشاسعة والتي تبلغ خمسة أو ستة آلاف ميل مربع.

فقد كانت مجموعات الغانيين تعيش في قرى متقاربة، وتتركز بصورة رئيسية في المناطق الأكثر خصوبة، وأماكن تجمع المياه بعد سقوط الأمطار، واكتسب أهل البلاد المهارة الكافية لاستغلال المياه في الزراعة.

وبـــتطور صـــناعة الحديد بمملكة غانا تطورت أدوات الزراعة، وتمكن الغانـــيون مـــن تحســـين أساليبهم الزراعية، فقطعوا الأشجار لزيادة المساحات الزراعية وتطورت أساليب الري.[2] وبهذا عرفت هذه البلاد نشاطاً زراعياً كان عمـــاده نهر النيجر والذي ينمو على ضفتيه القصب الشوكي، وأشجار الأبنوس وهو أكثر نبات وجد بأرضهم فمنه يحتطبون، والمشمشار والخلاف والأثل التي يزرعونها مرتين في السنة.

وبالإضافة إلى هذا كانت معظم الخضروات والفواكه معروفة في هذه الـــبلاد مـــثل الـــثوم والبصل واللفت والبطيخ فقد كانوا يزرعونها في جميع أرجـــاء الـــبلاد وكانـــت محاصيلها تغطي الأسواق ولذلك وجدناها رخيصة الثمن.[3]

كمـــا كانوا يزرعون الأرز الذي يعد غذاء رئيسياً لأفراد الشعب، فقد كان يزرع على وجه الخصوص حول روافد نهر النيجر، وذلك بسبب حاجة

(1) البكري: المغرب، ص177.
(2) عبده بدوي: مع حركة الإسلام في أفريقيا، ص123.
(3) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص38.

هــذا النبات إلى المياه الغزيرة، وهو نوعان : أحدهما قصير ومنتفخ ذو طعم لذيذ، والآخر رفيع طويل، وكانت قشوره وقشه تدخل في صناعة الطوب مع الــرمل لبناء المنازل، أو لتقوية أرصفة الموانيء، ويوجد لديهم أيضاً شجر طويــل الســاق يســمى توزي ينبت في الرمال، وله ثمر كبير منتفخ داخله صوف أبيض تصنع منه ملابسهم.

وفــي بلــدة أوغام إحدى مقاطعات غانا الشرقية يزرع الأهالي الذرة والبقول والتي يستخدمونها في غذائهم اليومي، كما يوجد في بلدة طاقة شجر يســمى تادمــرت، وكانت لــه ثمرة كالبطيخ، داخله شيء يشبه الفند، تشوبه حلاوة وحموضة وهو نافع للمحمومين.[1]

وبالإضافة إلى هذا كانوا يزرعون الدخن والذي كان يمثل غذاء رئيسياً لغالبــية الــناس فــي البلاد.[2] ومن المزروعات الهامة التي حظيت باهتمام الغانيين زراعة القطن والذي يدخل في نطاق المزروعات الصناعية وقد ذكر البكري ذلك بقولــه : "أن البساتين كانت تحيط بعاصمة غانا وتنتشر في كل البلاد زراعة القطن".

وقــد تركــزت زراعته في المناطق المحيطة بالنهر كمدينة ترنقة، فقد كــان الســكان بحاجــة إلى محصول القطن الذي كانت تصنع منه ملابسهم، فضلاً على أن الدين الإسلامي قد شجع على الاكتساء وستر العورات، ولذلك يعتبر من المزروعات المهمة، يستفاد منه في صناعة النسيج والملابس.[3]

---

(1) عــبده بــدوي: نفس المرجع، ص125، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص38، نبيلة حسن محمد: في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعة، ص242.
(2) عبد الرحمن زكي: تاريخ الدول السودانية، ص ص73، 74.
(3) نقــلاً عــن إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص65، نعيم قداح: أفريقيا الغربية، ص38، نبيلة حسن: نفس المرجع، ص242.

2- الثروة الحيوانية : -

بعـد الإشــارة إلى الزراعة يجدر بنا أن نتناول الثروة الحيوانية بشتى أنواعها، وذلك لما لها من أهمية كبرى بوصفها عاملاً حيوياً من عوامل الحياة الاقتصــادية لمملكة غانا، فقد كانت هذه المملكة تتمتع بثروة حيوانية عظيمة، وهي تنقسم إلى حيوانات أليفة وأخرى برية، [1] فالحيوانات الأليفة : تتمثل في الإبـل والتي كان يعتمد عليها في نقل البضائع وقطع المسافات الطويلة، وذلك لقـوة تحملها للعطش، كما تعتبر لحومها غذاءً هاماً لسكان البلاد، ويستفاد من جلودها في صناعة ملابسهم.

كما وجدت عندهم الأبقار التي كانت تحتل المرتبة الثانية في البلاد من حيث الكثرة والانتشار، وبالتالي فقد أصبحت ملكيتها منتشرة بين جميع فئات الشـعب، وكانـت ألـبانها ومشتقاتها تشكل جزءاً هاماً من غذاء المواطنين الغانيين، إلى جانب لحومها وجلودها.

كما دخلت الأبقار كذلك في مجال النقل، حيث استخدمت في حمل الأثقال، الأمـر الـذي يدل على كثرة وجودها، وانتشارها في المملكة، وبالتالي رخص أثمانها.[2]

أمـا عـن المواشي فقد تمثلت في الغنم والماعز، حيث تشتري عشرة أكـباش بمـثقال،[3] وبالتالي فقد كان لها أثر ملحوظ في حياة السكان بشكل عـام، فقد كانوا يتغذون من لبنها ولحومها، ويتخذون من صوفها ألبسة، كما

---

(1) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص ص38، 39.

(2) محمود طه: نفس المرجع، ص52.

(3) المـثقال يسـاوي حوالي ثمن أوقية من الذهب، طرخان: إمبراطورية غانا، ص67، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص31.

صنعوا منها خيامهم.[1] هـذا عن الحيوانات المستأنسة، أما الحيوانات البرية فقد تمثلت في الفيلة التي يكثر وجودها في الغابات، وقد استفادت مملكة غانا من هذا الحيوان استفادة كبيرة، فقد كان الصيادون يصطادون الفيلة ويبيعون أنـيابها لكـبار التجار حيث كانت من السلع الرابحة التي يقبل عليها التجار الأجانـب إقبالاً شديداً، حيث إنها تمثل المادة الخام لصناعة العاج الذي يعتبر من أهم صادرات البلاد. [2]

كما وجدت عندهم الزرافة، والتي كانوا يصطادونها، ويأكلون لحومها، وبالإضـافة إلى الزرافة وجد عندهم حيوان يعرف باللمط،[3] كما ربوا كذلك القنافد والأرانب والغزلان.[4]

أمـا عـن الحـيوانات البحرية فقد كانت تشمل حيواناً مائياً قال عنه الإدريسـي أنـه يشبه الفيل، وهو يقصد بذلك فرس النهر الذي يصطاد من الـنهر بضـربة المزاريق، كما توجد لديهم الحيتان الكبيرة والصغيرة التي يصـطادونها من النهر، وقد اعتمد جزء كبير من سكان هذه البلاد على هذه الـثروة السمكية فقد اتخذوا منها غذاءً رئيساً إلى جانب التبادل التجاري في الداخل. [5]

---

(1) عنايات الطحاوي: أفريقيا، ص62.
(2) عنايات الطحاوي: نفس المرجع، ص63.
(3) هو دابة دون البقر لها قرون رقاق حادة للذكر والأنثى وكلما كبر منها الواحد طال قرنه حتى يكون أكثر من أربعة أشبار، البكري: المغرب، ص171.
(4) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص39.
(5) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص39.

3- الثروة المعدنية : -

أ- الذهب :

حـــوت مملكـــة غانا علي العديد من الثروات المعدنية التي كان لها دور بـــارز في بناء الحياة الاقتصادية بهذه البلاد، حيث كان الذهب على رأس قمة هــذه الــثروات التــي اشتهرت بها هذه الإمبراطورية حتى أن ملوكها كانوا يسمون بملوك الذهب.

قــد ذكــر المســعودي ذلك بقولــه : "وتحت يد ملك غانا عدة ملوك وممالك فيها الذهب ظاهر على الأرض يستخرجه أهلها".[1]

كما أشار الهمداني إلى ذلك فذكر : "أن بلاد غانا ينبت فيها الذهب نباتاً في الرمل كما ينبت الجزر، ويقطف عند بزوغ الشمس".[2]

ويجــب الإشـــارة هنا إلى أن هذا المعدن لم يكن موجوداً في أراضي غانا، بل كان في الأراضي الواقعة إلى الجنوب منها وهي منطقة ونقارا، تلك المــنطقة التي أصبحت علماً على بعض مجموعات قبائل الماندي التي تسكن عند أعالي نهر السنغال.

وبالـــرغم مـــن أنها لم تكن ضمن حدود مملكة غانا فإن موقع كومبي صـــالح الممتاز جعل غانا تقوم بدور الوسيط، وتأخذ الضرائب عن كل كمية مـــن الذهـــب فـــيما عرف باسم التجارة الصامتة، ويعني هذا المصطلح مبدأ المقايضة بناء على رضى الطرفين.[3]

---

(1) المسعودي: أخبار الزمان، مخطوط، ورقة 39 أ.

(2) أبو بكر بن أحمد الهمداني: مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، لندن، 1302، ص87.

(3) عطـــية مخـــزوم: دراســـات، ص237، حمـــيد ضيدان: الجذور التاريخية للصلات العربية الأفريقـــية، مركـــز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، 1993، ص48، إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانا، ص70.

فالمســـعودي أورد لنا وصفاً دقيقاً لهذه التجارة عند حديثه عن مملكة غانا فذكر :

"وملكهـــا – أي ملك غانا – عظيم الشأن، ويتصل ببلاد معادن الذهب، وبهـــا أمم عظيمة، ولهم خط لا يجاوزه من صدر إليهم، فإذا وصلوا إلى ذلك الخـــط جعلـــوا الأمتعة والأكسية عليه وانصرفوا، يأتي أولئك السود ومعهم الذهـــب، فيـــتركونه عـــند الأمتعة وينصرفون، ويأتي أصحاب الأمتعة، فإن أرضاهم وإلا عادوا ورجعوا، فيعود السود فيزيدونهم حتى تتم المبايعة".[1]

وبالإضافة إلى منطقة ونقارا كانت هناك مدينة غيارو والتي اشتهرت بإنـــتاجها للذهب، وهي تقع على بعد ثمانية عشر يوماً من مدينة الملك، وقد احـــتوت هذه المدينة على أنواع من الذهب الذي كان الملك الغاني يستضيفها لنفســـه، ويترك ما دونها لرعاياه حتى لا ينحط سعره أو تضعف قيمته، وقد أوضـــح الـــبكري ذلـــك بقولـــه : " وأفضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غيارو"[2]

وعلى ضوء ذلك نستنتج من أن خزائن الملك الغاني كانت تحتوي على كـــتلة ضخمة من الذهب ذاعت شهرتها خارج غانا بدليل ما ذكر لنا مؤرخنا الإدريســـي : "أنها تزن ثلاثين باوند" ونتيجة لأنها ضخمة فالملك يقيد فرسه بها.[3]

---

(1) المسعودي: أخبار الزمان، ورقة 38 ب، 39 أ.

(2) البكري: المغرب، ص177.

(3) نقلاً عن الهادي الدالي: الإسلام واللغة العربية، ص28.

- Peter Kup, A history of Sierraleone, 1400- 1787, p. 30.

ب – الحديد : –

يأتي معدن الحديد في الدرجة الثانية مباشرة بعد الذهب، وذلك للحاجة الماسة إليه في الصناعات الحربية.

فقـد اهتم الغانيون بهذا المعدن، حيث كانت مملكتهم من أولى الممالك فـي غرب أفريقيا والتي عرفت هذا المعدن، والذي كان وسيلة فعالة في يد الشعوب القاطنة جنوب الصحراء لاستغلال الأرض والغاب، [1]كما يذكر أن إمـبراطورية غانا تكونت في أول أمرها من عشيرة الحدادين وهي العشيرة التي أطلق عليها اسم كوروما، حيث كانت هذه العشيرة تصنع من هذا المعدن الأسلحة كالحراب والرماح والخناجر.

ويجـب الإشارة هنا إلى أن السبب الرئيسي في ازدياد نفوذ غانا إنما يعـود إلـى القـوة العسـكرية، فقد كان الجيش يستخدم في حروبه الأسلحة المصـنوعة مـن الحديـد كالسيوف والحراب والرماح والخناجر، والنشاب والدبابـيس التي صنعوها من شجر الأبنوس، كما استخدموا القصب الشوكي الذي صنعوا منه سهامهم.[2]

وبـتطور استخدام معدن الحديد إلى جانب الثراء الذي بدأ يظهر على الـتجمعات الغانية نتيجة للنشاط التجاري ارتفع عدد سكان القرى، وانتظمت تحـت أسـرة تمكنت من فرض نفوذها، وأصبحت تعيش تحت نظام يشرف عليه الحكام والضباط المدنيون والعسكريون، [3]وإلى جانب المعدنين السابقين هـناك عـدد مـن المعادن من بينها معدن الشب، وهو رديء الجودة إلا أن التجار يخلطونه بالشب الطيب ويبيعونه. [4]

---

(1) بازل دافدسن: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ص ص134، 135.
(2) عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص240.
(3) محمود طه: المسلمون في أفريقيا، ص48.
(4) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص39.

أمـــا معدن النحاس فقد كان قليلاً جداً بهذه المملكة، وكانت أقرب نقطة يستغل منها هذا المعدن هي مدينة تكدة التي تقع إلى الشرق من نـهر النيجر، وهـــي مشهورة بإنتاجه، فقد كانت تخرجه من مناجمها، وتصدره إلى جميع بـــلاد الســـودان الغربي والأوسط، بالإضافة إلى الشمال الإفريقي، وقد كان غالي الثمن لندرة وجوده والإقبال عليه، فكان يستبدل أحياناً بالذهب. (1)

4- الصناعة : -

وفـــيما يـــتعلق بالصناعات المحلية فمن المعروف أن هذه الصناعات حققت تقدماً ملموساً في العديد من مناطق الإمبراطورية الغانية، وقد نتج عن هـــذا الـــتقدم تطـــور النشـــاط التجاري، الأمر الذي أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية بهذه البلاد.

فقد اهتم الغانيون بالصناعة والتي كان على رأسها استخدام الذهب في العديـــد مـــن الصناعات، فقد كانوا يستخدمونه في ثياب الملك وكبار رجال الدولة وفي أغطية الرؤوس ومقابض السيوف وسروج الخيل، (2) وكان للملك الغانـــي صـــولجان بـــه ثلاثون رطلاً من الذهب، (3)وإلى جانب الذهب اهتم سكان البلاد بصناعة الحديد، حيث كانت مملكتهم من أولى الممالك في غرب أفريقـــيا التـــي عرفـــت الحديد، ومن المعروف أن مناجم الحديد كانت كثيرة الانتشـــار بهـــذه المملكة، وكان رخيص الثمن، وتستخرج منه كميات كبيرة، الأمر الذي قامت عليه العديد من الصناعات، حيث كان الحدادون يستعملون الأفـــران العادية في تليين الحديد، ويصنعون منه الأسلحة من حراب ورماح وخناجر وسيوف ومطارق وسلاسل.

---

(1) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص67.

(2) عطـــية مخـــزوم: دراســـات في تاريخ شرق أفريقيا، ص239، نعيم قداح: أفريقيا الغربية، ص ص37، 38، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص40.

(3) بوفيل: تجارة الذهب، ص149، إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص77.

والــروايات التاريخية تذكر لنا أن الجيوش الغانية كانت تعتمد اعتماداً كبــيراً علـــى معـــدن الحديـــد، حيث كانوا يتسلحون بالأسلحة الحديدية التي ســاعدت علـــى تحقـــيق انتصارات عظيمة على العدو، تمثلت في المزاريق الحديديـــة والسيوف والخناجر والسهام السامة، ولجيشها حذق في رميها، [1] كما ازدهرت كذلك في البلاد صناعة الأخشاب التي كانوا يأخذونها من شجر يسمى الأبنوس، ولهم فيها حكمة وصناعة متقنة، حيث صنعوا منها أسلحتهم مثل النشاب والدبابيس والرماح وقد أوضح الإدريسي ذلك بقوله : " وأسلحة أهــل هـــذه الـــبلاد القسي والنشابات، وعليها عمدتهم، والدبابيس أيضاً من أســلحتهم يتخذونها من شجر الأبنوس ولهم فيها حكمة وصناعة متقنة، وأما قسيهم فإنها من القصب الشوكي، وسهامهم منه، وكذلك أوتارها من القصب، وبناء أهل هذه البلاد بالطين والخشب العريض الطويل".[2]

وكانـــت صناعة الأقمشة من الصناعات التي اشتهرت بها هذه البلاد، حيـــث كانت منتشرة بكثرة في مدن غانا، ولكنها بطبيعة الحال كانت يدوية، فقد كانت لديهم صناعة ملابس من صوف يستخرج من شجر يدعى تورزي ينمو ببلادهم، ولا تؤثر فيه النار.

كما كانت لديهم أنواع عديدة من المنسوجات القطنية، والتي تتمشى مع الاســتعمال المحلـــي فقـــد صُنع من النسيج الناعم السراويل، والأغطية التي تغطي الرؤوس، وما شابه ذلك من المصنوعات الشفافة لاتقاء الذباب وغيرها مـــن الحشـــرات. وقد نتج عن صناعة الأقمشة أن ازدهرت صناعة الخياطة والتطريز والتي هي حرفة كانت خاصة بالرجال دون النساء.[3]

---

(1) عطـــية مخـــزوم: دراسات، ص239، نعيم قداح: أفريقيا الغربية، ص36، إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص76، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص36.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد الأول، ص20.

(3) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص878، الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص ص38، 39.

كمـــا اهتم سكان البلاد كذلك بصناعة الصوف، والتي كانت في أغلبها للاســـتعمال الشخصي والمحلي، حيث كانت عملية تليينه وغزله تعتمد على الأقـــواس الخشـــبية، والكتان، وكانت هذه الصناعة تقتصر على النساء دون الرجال.(1)

وبدخـــول الإســـلام إلى مملكة غانا شهدت الصناعات المحلية تطوراً واضحاً، حيث ساهم الإسلام في بناء المدن التجارية التي لعبت دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية، حيث عرفت هذه المدن الصناعات العربية الإسلامية، فقد قامت مصانع يدوية للنسيج.(2)

ولا شـــك أن تعمـــيق مفاهـــيم العقيدة الإسلامية كان سبباً في ازدهار الصـــناعة، ومن أمثلة ذلك محاربة العقيدة الإسلامية لعادة العري التي كانت معـــروفة بالمـــنطقة، ولذلك حرص الأهالي على ارتداء الملابس، فازدهرت نتيجة لذلك صناعة النسيج وحياكة الملابس.(3)

ومـــن بين الحرف التي يمارسها سكان البلاد صناعة حفظ الأسماك(4) حيـــث كانـــت تســـتخرج الأسماك من النهر والبحيرات والمستنقعات المائية باســـتخدام شبكات الصيد والرماح والمخاطف، وربما كانت الشبكة أهم هذه الوسائل التي تصنع من ألياف خاصة بها، بحيث كانت تتخللها عقد تلتقي عند دوائـــر خشـــبية أو من الخزف المحروق؛ لكي يسهل غمرها في الماء عند إنزالها في البحر.(5)

---

(1) عنايات الطحاوي: أفريقية الإسلامية، ص55.
(2) عطية مخزوم: دراسات، ص253.
(3) أمطير سعد غيث: التأثير العربي، ص161، طرخان: إمبراطورية غانا، ص76.
(4) عـــبد الرحمـــن زكي: تاريخ الدول السودانية، ص74، طرخان: إمبراطورية غانا، ص76، الدالي: التاريخ السياسي، ص39.
(5) عنايات الطحاوي: نفس المرجع، ص58.
- Peter Kup, A history of Sisrraleone, 1400- 1787, p. 175.

كما كان لغانا دار لصناعة المراكب الحربية على جوانب بحيرة كوري والتي تستخدم في حمل أمتعتهم عبر نهر النيجر.[1]

5- التجارة الداخلية : -

كانت وسيلة التعامل الواسعة الانتشار في مملكة غانا هي المقايضة والاتفاق بين الطرفين على مبادلة السلع، وقد اعتمدت التجارة الداخلية اعتماداً أساسياً على هذا النوع من التعامل، فقد كان التجار الوطنيون والمقيمون في مراكز التجارة يتجولون في مختلف أنحاء المملكة؛ لجمع السلع من المواطنين عن هذا الطريق من التعامل.

وكانت المقايضة أيضاً تدخل في المعاملات التجارية الخارجية؛ لعدم انتشار التعامل بالنقد بصورة واسعة، فكل السلع الآتية من الشمال الأفريقي يمكن مبادلتها بالسلع المحلية.

ولم تذكر المصادر العربية تفاصيل تلك المقايضات خاصة في غانا، [2] غير أن ما ذكره البكري عن المقايضة في مدينة سلي الواقعة إلى الغرب من المملكة يمكن أن يعطينا فكرة عما يدور فيها، خاصة وأن مواطني المنطقتين تتشابه ظروف حياتهم الاقتصادية والحضارية، ويحضرون التبر من نفس المناطق وبنفس الطريقة.

---

(1) عطية مخزوم: دراسات، ص ص239، 240.

(2) أغلب المصادر التي تناولت وسائل التعامل في مراكز وممالك جنوب الصحراء تناولت الفترة التالية لمملكة غانا مثل ذلك ما سجله ابن بطوطه بملاحظاته وتجاربه الخاصة بهذا الصدد في مملكة مالي، وما ذكر في بعض المصادر الأخرى المتأخرة في القرن السابع الهجري مثلاً لا يمكن أخذه بدون تردد وتطبيقه على الفترة المبكرة التي يتناولها البحث ولم يمدنا البكري وهو مصدرنا الأساسي عن هذا الجانب بشيء يتعلق بمدينة غانا.

وورد أن التعامل يتم في سلي ببعض السلع مثل الملح والذرة وحلق النحاس،[1] ويمكن أن نضيف إلى هذه السلع ما تبقى مما تحمله القوافل الداخلة إلى مملكة غانا ويتم عرض تلك السلع مقابل السلع المحلية مثل الذهب والعاج والأبنوس.

ولم تكن قيمة السلع بطبيعة الحال ثابتة، بل كانت تعتمد على الكميات المعروضة، وكانت المقايضة تدخل في الصفقات الكبرى في المراكز، ولذلك يصعب تصور تحديد قيم تلك السلع عند تبادلها، فبعض تلك السلع يكال، وبعضها يوزن، وبعضها يقيم كأدوات الزينة مثلاً.[2]

وفي مناطق الذهب في الجنوب كانت المقايضة تتم بنفس الطريقة التي عرفت بها منذ العصور القديمة، حيث لا يتعامل البائع والمشتري مباشرة، فالتاجر يضع بضاعته وينصرف ليضع أمامها المواطن ما يوازي قيمتها من السلع المحلية وينصرف، فإذا قبل التاجر بما وضع له أخذه وإلا تركه وانصرف، دلالة على عدم الرضا، وهكذا حتى يتم الاتفاق. [3]

ويتضح مما ذكره المؤلفون العرب أن النقد كان مستخدماً في مملكة غانا في بعض الأعمال، فقد ذكر ابن حوقل أنه كان يتم التعامل بالنقد الذهبي في مناطق الجنوب حيث مواطن الذهب، فيبلغ سعر الملح : " في دواخل السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار"[4]

وهذا يعني أن الدينار كان متوفراً في أقصى المناطق الداخلية، حتى يتسنى دفع قيمة الملح به، غير أن إشارات بعض المؤلفين توضح أن الملح

---

(1) البكري: المغرب، ص173، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص217.
(2) رؤف عباس: العرب في أفريقيا، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1987، ص142.
(3) القزويني: آثار البلاد، ص19.
(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص98.

في الداخل يقايض بالتبر وسيلة رئيسية للتعامل.[1]

وذكـــر الــبكري أن ملـــك غانـــا يأخذ الضرائب من التجار بالدنانير والمثاقيل. فقد قرر ضريبة قدرها دينار ذهب على كل حمولة حمار من الملح يدخـــل بلاده، وديناران عن كل حمولة تخرج من دياره، وعبارة البكري : " ولملكهم على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد، وديناران في إخراجه، وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل، وعلى حمل المتاع عشر مثاقيل".[2]

وبالتالـــي فقد حصلت مملكة غانا على ثروة طائلة من الضرائب التي فرضـــتها على السلع التي يحملها التجار، وقد أدى هذا إلى إقامة نظاماً دقيقاً للجمـــارك، وكـــان للمسلمين في غانا خبرة واسعة بالشؤون المالية مما جعل ملوك غانا يستعينون بهم منذ العهد الوثني. [3]

ويبدو أن العملة الفضية لم تكن رائجة الاستعمال في مملكة غانا، إذ لم تُشـــر المصادر إليها، فقد ذكر البكري أنها لم تكن تستعمل في أودغست [4]. إلى جانب ذلك كان الودع يستخدم في مملكة غانا وكانت لـــه قوة النقد.

6 – التجارة الخارجية : –

لـــم تكن الصحراء تشكل منذ أقدم العصور عائقاً للاتصال بين شمالها وجـــنوبها، فقد عبرتها جماعات بشرية عديدة، وكان التواصل بينهما لأسباب عديـــدة مـــنها : تلبية متطلبات المراعي، أو التجارة، وغيرها من الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

---

(1) لذلـــك يمكن اعتبار ما ذكره ابن حوقل صادقاً على المعاملات في المراكز التجارية الجنوبية في مديـــنة غانـــا. لأنه ليس من المرجح أن يكون لدى المواطنين القدر الكافي من الدنانير ليدفعوها مقابل الملح بل يفضل ذلك التجار في تلك المراكز ويقوموا ببيعه للمواطنين مقابل التبر.

(2) البكري: المغرب، ص176.

(3) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص67.

(4) البكري: المغرب، ص158.

وبانتشـــار الإسلام في مناطق السودان الغربي والذي عمل على تقوية العلاقـــات مـــع شـــمال الصحراء وأصبحت التجارة تمثل مصدراً هاماً من مصادر الدخل للأفراد والدولة، فقد انخرطت فيها مجموعات كبيرة من الناس بمختلف طبقاتهم ومستوياتهم.(1)

ولكـــن امتهان التجارة بصفة عامة والتجارة الخارجية بصفة خاصة لم يكن أمراً سهلاً، إذ كانت أماكن تبادل السلع بعيدة، فالتاجر الذي يريد الذهاب إلى غانا مثلاً لابد لـــه من قطع مسافات طويلة محفوفة بالمخاطر، وتستغرق الرحلة ذهاباً وإياباً شهوراً عديدة.

أمـــا وسائل النقل فلم تكن في ذلك الوقت متيسرة باستثناء الإبل وهي الوسيلة الوحيدة لنقل السلع، حيث لعب الجمل دوراً بارزاً في عملية الاتصال بفضل ما تميز به من سمات وخصائص منها كما نعرف : الصبر على تحمل المشاق والصعوبات، وقطع المسافات دون كلل أو ملل، والصبر على تحمل العطش، وهي خاصية انفرد بها هذا الحيوان دون غيره من سائر الحيوانات حيـــث قـــال الله تعـــالى فـــي كتابه العزيز : "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت"(2).

وبهـــذا أحدث دخول الجمل إلى الصحراء ثورة في وسائل النقل عبر الصـــحراء، فلـــم تعد القفار والرمال الزاحفة حواجز عازلة، وحطم استخدام الجمل كل الحواجز، وتحولت الصحراء إلى معبر للقوافل، وقامت في مناطق مخـــتلفة محطـــات تجاريـــة مزدهرة، وبالتالي فقد كان التجار يحتاجون في تـــرحالهم إلى جنوب الصحراء أعداداً كبيرة من الإبل لنقل سلعتهم، فقد ذكر الإدريسي أن تاجراً من تجار أغمات سافر وله ما بين 70 إلى 100 جمل.(3)

---

(1) جميلة التكيتك: نفس المرجع، ص112.
(2) سورة الغاشية، آية 17.
(3) الإدريسي: نفس المصدر، ص232.

كما أن التجارة كانت تتطلب من التاجر المعرفة التامة بأخبار السلع وتوفرها أو ندرتها، وتتطلب معرفته بالأسعار في الجهات التي سيتجه إليها، فمثل هذه الأخبار الهامة ضرورية للتاجر قبل اختيار الأصناف التي سيسافر بها.

أدى كل ذلك إلى ضرورة تجمع المشتغلين بالتجارة لتتضافر الجهود، وتذليل تلك العقبات، فبدأت تتشكل نظم التجارة، فأنشأ العرب نقابات للتجارة، وضمت مجموعات مختلفة من قطاعات الشعب ساهمت في رؤوس الأموال، وقامت تلك النقابات بالأعمال التجارية في مختلف مراكز التجارة، وكان لها وسائل نقلها الخاصة من جمال وسفن، وتوزيع وكلائها على مختلف مراكز وموانئ التجارة.(1)

وبذلك تكون الأخبار التجارية المطلوبة من مختلف المراكز متصلة، فيقوم التجار باختيار السلع التي ينبغي إرسالها جنوباً وشمالاً، وتخزين ما يتطلب التخزين، وقد كان التجار في كومبي صالح يقيمون مخازنهم فوق مساكنهم.(2)

وتذكر المصادر التاريخية إلى أن هناك ثلاثة أنواع من التجار : الأول ويسمى الخزان، ويقوم بتخزين البضائع، واختيار الأفضل منها، كما أنه عليه ملاحظة الأوضاع السياسية وشخصية السلطان الذي يعيش في دولته من ناحية، وعدله أو عدمه واستقرار وضعه لما يترتب على ذلك من سلامة أمواله من ناحية أخرى.

---

(1) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط بين القرنين 7 – 15 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص ص391، 392.

(2) محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، بحث منشور في كتاب العلاقات العربية الأفريقية، دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، القاهرة، ص69.

أمـــا النوع الثاني من التجار هو الركاض، وهو الذي يتولى مصاحبة السـلع من بلد إلى آخر، ولابد لــه من معرفة المسافة التي يقطعها إلى البلد المقصود وأسعار السلع فيها.

والـنوع الثالـث من التجار هو المجهز، وعمل المجهز يتطلب وكيل أعمال لكي يتسلم السلع، ويطلق عليه القابض، ويتولى بيعها وشراء ما ينبغي إرساله وله حقه في الربح.(1)

وقد أشار ابن حوقل أثناء كلامه عن مرسى الخرز على ساحل أفريقيا إلى وجود سماسرة وقفوا لبيع المرجان وشرائه.(2)

فكـان وكلاء الأعمال والسماسرة موزعين على المراكز التجارية في الشمال والجنوب، وكانت مهمتهم في مملكة غانا – إلى جانب جمع السلع من مخـتلف أنحـاء المملكة – مصاحبة التجار إلى مراكز تبادل الذهب جنوبي غانا، فقد ذكر ياقوت الحموي أن التجار عند وصولهم غانا :

"يـأخذون معهـم جهابزة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين أرباب التبر"(3).

أ – طرق القوافل : –

تركـز الاتصال بين شمال أفريقيا ومملكة غانا عبر المنطقتين الغربية والوسـطى من الصحراء الكبرى، ولكن لم تكن تلك الاتصالات عن طريق الـبر فقـط، بل تمت كذلك عبر سواحل المحيط الأطلسي، وقد ساعد الموقع

---

(1) أبـو الفضـل جعفر بن علي الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ط المؤيد، 1318 هـ، ص ص50، 51، 52.

(2) ابن حوقل: نفس المصدر، ص76.

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص12.

الجغرافـــي لمراكـــز الســـوس الأقصى وواحات الجزائر على تقوية النشاط التجاري على تلك الطرق.

فقـــد اســـتقرت أعداد كبيرة من السكان في المنطقة الواقعة بين السوس الأقصى في الغرب وواحات فزان من الشرق وتأسس على هذه المنطقة الكثير من القرى والمدن والحصون، وقد لاحظ الجغرافي العربي محمد بن أبي طالب الدمشقي ذلك، وجاء وصفه لها بما يوضح أن عمرانها كان متصلاً.[1]

وقد توفرت سبل الحياة على تلك المنطقة، فالخضرة والمياه التي تتوفر فـــي الســـوس الأقصـــى امتدت شرقاً إلى بلاد الجريد وجبل نفوسة وواحات فزان، وأدى ذلك إلى أن أطلق بعض الكتاب إقليم الجريد على طول المنطقة الواقعة بين السوس ومنطقة فزان.[2]

وبنفس القدر وفر حوض نهر السنغال والنيجر البيئة الملائمة لاستقرار شعوب تلك المنطقة على الطريق الجنوبي للصحراء الكبرى، وبذلك أصبحت المنطقـــتان الواقعـــتان علـــى طرفي الصحراء الشمالي والجنوبي مأهولتين بالسكان، مما أدى إلى اتصال مملكة غانا بالشمال الأفريقي والمغرب العربي عبر طرق متعددة في الصحراء.

والطـــرق التـــي ســـنهتم بدراستها هي الطرق عبر الصحراء الغربية والوسطى، إلى جانب الطرق التي كانت تصل إلى نهر السنغال؛ لارتباط هذه المـــنطقة الوثـــيق بمملكة غانا من جهة، ولأنها كانت في بعض الأوقات تمد نفوذهـــا إلى مساحات واسعة غرباً من جهة أخرى، ثم أن مملكة غانا كانت

(1) محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، ص239.

(2) ســـعد زغلـــول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب، من الفتح حتى قيام دولة الأغالبة والرستميين والأدارسة، دار المعارف، القاهرة، 1965، ص18.

ترتبط بطرق بحرية عبر المحيط الأطلسي إلى نهر السنغال. [1] فالطرق التي ربطـــت غانا بالشمال الأفريقي عبر الصحراء الكبرى انحصرت عند كتاب القـــرن الثالـــث الهجري/ التاسع الميلادي، وأكد ذلك الاصطخري في القرن الـــرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث ذكر بأن الدخول إليها لا يتم إلا من جهة الغرب.[2]

وذكـــر الجغرافـــي ابن حوقل أن طريق سجلماسة أودغست شهران، ثم بضعة عشر يوماً إلى غانا، كما أضاف إلى ما ذكر قبله طريق أوليل سجلماسة وتقـــدر مســـافته بشهر وكسر[3] ويبدو أن هذا هو طريق الساحل الذي وصفه البكري فيما بعد.

وقـــد أشار ابن حوقل كذلك إلى طريق مصر غانا، ويتضح مما ذكره عن هذا الطريق أن القوافل كانت تخرج عبر الواحات المصرية إلى واحات فزان، ثم منها إلى مملكة غانا عبر الطريق الشرقي إلى نهر النيجر فغانا.[4]

وبـــدأت معـــالم الطرق الغربية تتضح بكتابات البكري الذي ذكر أربع طـــرق ربطـــت مملكـــة غانا بالشمال الأفريقي عبر الصحراء الغربية يمكن تتبعها من الغرب إلى الشرق.

طريق في أقصى الغرب على ساحل المحيط الأطلسي يخرج من أوليل ثـــم يتجه شمالاً مع الساحل في ديار قبيلة جدالة ثم ديار قبيلة لمتونة، وتقطع

---

(1) ذكر ابن خلدون أن مملكة غانا كانت تجاور البحر المحيط، ابن خلدون: العبر، ج6، ص200.

(2) أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد الحيني، دار القلم، 1961، ص35.

(3) ابن حوقل: نفس المصدر، ص91.

(4) ذكـــر ابـــن حوقل أن هذا الطريق كان مزدهراً حتى القرن الثالث الهجري حين تعرضت بعض القوافل للعواصف فأمر أحمد بن طولون بقفل هذا الطريق والعدول منه إلى الطريق الساحلي الذي يأتي من برقة ثم يتجه منها إلى واحات فزان: ابن حوقل: نفس المصدر، ص ص143، 144.

القوافـــل هذه الرحلة في شهرين حتى تدخل مدينة نول ثم إلى وادي السوس في ثلاث مراحل تقطعها في أرض قبيلة جزولة ولمطة. [1]

وجمـــيع مراحل هذا الطريق ما بين نول وأوليل صخرية صلبة، حتى أنـــه لـــو مـــات أحد المسافرين لا يتمكنون من حفر قبر لدفنه بل يلقونه في البحر. [2]

ولـــم يتعرض البكري للكلأ وكيف تتحصل عليه الإبل في تلك الأرض الحجـــرية طـــيلة شـــهري الرحلة، إذ ليس من المعقول أن يحمل التجار إلى جانب سلعهم علفاً للإبل، ويبدو أن بعض الكلأ يتوفر على مصاب الأودية في الـــبحر، كمـــا يمكن أن تكون هناك بعض الحشائش على ساحل البحر تعيش علـــيها الإبـــل، ومن المرجح أن يكون المسلمون قد ارتادوا هذا الطريق منذ حملة عقبة إلى السوس.

والطـــريق الثانـــي إلى الشرق من هذا يخرج من تامدلت إلى أودغست، وأول مرحلة على هذا الطريق بعد تامدلت،[3] هي بئر الجمالين – التي حفرها عبدالرحمـــن بن حبيب – ولما كانت تامدلت قد تأسست بعد حفر بئر الجمالين فإن الطريق كان يخرج من المنطقة الواقعة غربي درعة في العصر الأموي.

ويتضح من وصف البكري لهذا الطريق أن هذا الطريق يتبع الأودية؛ لأن المـــاء يوجد بكثرة، فأكبر مسافة تقطعها القوافل دون أن تجد الماء أربع مراحل.

فالماء يوجد قريباً من السطح، فقد وجد على صفا تحت الرمل من بقية الأمطـــار والآبار، وعمق بعضها ثلاثة أقدام، وبعضها ذراعان وثلاثة أذرع،

---

(1) البكري: المغرب، ص ص161، 172.

(2) البكري: المغرب، ص172.

(3) تأسست مدينة تامدلت في عصر الأدارسة.

وبالتالـــي فمـــن الطبيعي أن يتوفر الكلأ للإبل على هذا الطريق، وتتعرض القوافل للخطورة على هذا الطريق عند بئر وانزامين على بعد 22 مرحلة من بـــئر الجمالين؛ لأن قبيلتي لمطة وجزولة تغير على التجار، وأيضاً في جبل أزوجـــان شـــمال أودغســـت بعشـــر مـــراحل يهدد بعض عناصر السودان القوافل،[1] وهذا الخطر يزول بوجود السلطة القوية التي تردع البدو، وتحفظ سلامة القوافل والتجار.

والطـــريق الثالـــث يـــبدأ من وادي درعة، حيث تتبعه القوافل جنوباً، وتصـــل بعـــد خمس مراحل إلى وادي ترجا،[2] ثم بعد يومين أو ثلاثة تصل إلى بئر تزامت، ومسافة هذا الطريق أقل من شهر على أرض صنهاجة حتى يصـــل إلـــى مملكة غانا، وربما لأن هذا الطريق يمر بمنطقة لا يتوفر فيها الماء، لذلك لا ترتاده القوافل، وتفضل عليه الطريق الأطول.

أمـــا الطـــريق الـــرابع فيبدأ من سجلماسة إلى غانا، ومسافته شهران، وجاءت المعلومات عن هذا الطريق مقتضبة مثل الطريق السابق له، غير أن البكري أوضح أن القوافل التي تسير على هذا الطريق تمر على تغازة، حيث إنهـــا تخرج من سجلماسة، وبعد شهرين تصل إلى تغازة ومنها إلى غانا، أن هذا الطريق يقع على صحراء غير عامرة.[3]

كما ذكر البكري أن مملكة غانا ترتبط بالشمال الأفريقي عبر الصحراء الوسطى عن طريق تادمكة، ومسافة الطريق منها إلى تادمكة خمسون مرحلة علـــى أرض قبيلتي مداسة وسغمارة البربريتين، ومن تادمكة يخرج الطريق فـــي ثلاثـــة اتجاهـــات أحدهـــا يتجه نحو ورجلان، وقد ساعد وجود تغازة

---

(1) البكري: المغرب، ص ص156، 157.
(2) البكري: المغرب، ص ص163، 164.
(3) البكري: المغرب، ص149.

وتاودينـــي – مركـــز الملح في الصحراء – في منتصف المسافة تقريباً بين ورجلان وغانا على إعطاء هذا الطريق أهمية خاصة مكنت القوافل من حمل الملح في طريقها نحو مملكة غانا.

أمـــا الطريقان الآخران يتجهان نحو غدامس، أحدهما مسافته خمسون مـــرحلة، والآخـــر لم يوضح البكري مراكزه كلها بل تتبعها من تادمكة حتى يصل جبل نفوسة ومنطقة طرابلس شمالاً.(1)

كمـــا ارتبطت مملكة غانا أيضاً بالمغرب العربي عن طريق البحر من موانـــئ السوس الأقصى، مثل رباط قوز الذي كانت ترتاده السفن من جميع الـــبلاد تحمل تجارة أغمات ومرسى نول ومرسى ماست الذي يحمل تجارة وادي الســـوس(2)، وكانت السفن تبحر على سواحل المغرب الأقصى جنوباً حتى مراكز السوس الأقصى ؛من أجل التجارة وقد ورد في المصادر العربية مـــا يشير إلى إبحار تلك السفن جنوباً من مراكز السوس الأقصى والمراكز الواقعـــة جـــنوب السوس الأقصى على ساحل المحيط والتي كانت تطل على مناطق تجارة الذهب جنوباً.

فإشـــارات الإدريســـي المتكررة إلى النشاط الذي كان دائراً بين جزر الســـعادة وسواحل المحيط الأطلسي المطلة على الصحراء الغربية والمغرب الأقصى والأندلس توضح أن الحركة التجارية البحرية في هذه المناطق كانت قائمة.(3)

---

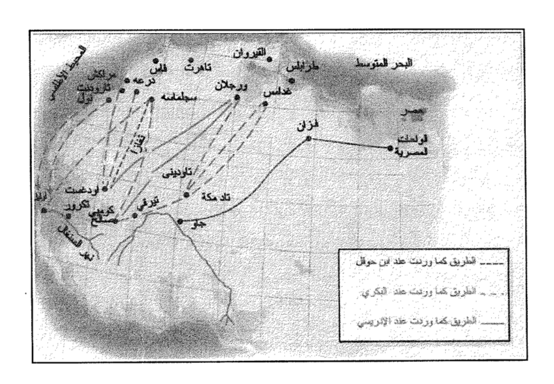
(1) البكري: المغرب، ص ص181، 182.
(2) البكري: المغرب، ص ص153، 161، اليعقوبي: البلدان، ص360.
(3) أن القصـــص التـــي أوردها الإدريسي عن جزر السعادة من الإقليم الأول جنوباً حتى الإقليم الثالـــث شـــمالاً توضح أن المغرب العربي وأوروبا الغربية منذ أول العصور الوسطى كانت لديهـــم فكـــرة عـــن هـــذا الساحل وما يتوفر عليه من السلع وما على تلك الجزر من المدن والمراسي. الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص ص17، 103، 104.

كما ذكر ابن سعيد أنه ركب البحر من مرسى نول، وتعرضت سفينتهم لبعض المصاعب، ولما خرجوا إلى البر كانوا في أرض جدالة، وديار جدالة تقـــع جنوبي نول بالقرب من نـهر السنغال، مما يدل على أن السفينة اتجهت جنوباً من مرسى نول.[1]

أما القلقشندي فقد أشار صراحة إلى اتصالات أودغست البحرية فذكر أن : "السفن تصل إليها في البحر من كل بلد "، [2] ويعني هذا وجود مرسى خاص بأودغست، لأن البكري ذكر مرسى آخر إلى الجنوب بجوار أوليل هو مرســـى أيونـــي،[3] ويتضـــح مـــن ذلك أن اتصالات غانا بالشمال الأفريقي والمغـــرب العربـــي لـــم تنحصر على الطرق البرية فقط بل ارتبطت أيضاً بطريقين بحريين أحدهما ينتهي عند مرسى أودغست ثم يواصل براً، والثاني يـــتجه جـــنوباً حتى مرسى أيوني ثم عبر نهر السنغال وأرض التكرور إلى مملكة غانا.

---

(1) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص111.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص172.
(3) البكري: المغرب، ص ص171، 172.



شكل رقم (20)

طرق القوافل التجارية كما وردت عند ابن حوقل والبكري والإدريسي

(من عمل الباحث)

ب – المراكز التجارية : –

1 – المراكز التجارية على الطرف الشمالي للصحراء الكبرى :

أ) غدامس :

تقــع مديــنة غدامس على خطي عرض 30.5ْ شمالاً و 9.16ْ شرقاً. ملــتقى حــدود كل من ليبيا وتونس والجزائر، وتعتبر مدينة غدامس مركزاً تجارياً هاماً فقد ساهمت في تجارة الصحراء، بحيث إنها كانت محطة تجارية للقوافــل المــتجهة نحو غرب أفريقيا عبر ورجلان أو نحو نهر النيجر، وقد وصفها أبو الفداء " بأنها مدينة جليلة عامرة "[1].

كمــا وصــفها صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار : "بأنها مديــنة لطــيفة قديمة أزلية، وإليها ينسب الجلد الغدامسي، وبها كهوف كانت ســجوناً للملكــة الكاهنة التي كانت بأفريقيا، وفيها غرائب من البناء والإزاج المعقــودة تحــت الأرض يحــار الناظر فيها، إذا تأملها تبين أنها آثار ملوك ســالفة وأمــم دارسة، وأن تلك الأرض لم تكن صحراء وأنها كانت خصبة عامرة وأكثر طعامهم التمر".[2]

كمــا اشتهرت المدينة أيضاً بدباغة الجلود التي عرفت باسمهما "الجلد الغدامســي"، وهــو مــن أجود الدباغ لا شيء يفوقها في الجودة كأنها ثياب الخزفــي الــنعومة،[3] ويوجد حولها أيضاً معادن الشب الأبيض الجيد يحمله

---

(1) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص147.
(2) مجهول: الاستبصار، ص ص145، 146، محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980، ص427.
(3) القزويني: آثار البلاد، ص57.

التجار إلى جميع البلاد.[1]

وارتبطت غدامس بتادمكة عبر طريقين لم يسهب البكري في وصفهما، فذكر أن مسافة أحدهما خمسون مرحلة، ولم يحدد مسافة الطريق الثاني، لكنه أوضح أن الطريق يمر بعد ثماني مراحل من تادمكة على منطقة الأحجار الكريمة " ناسي النمست " ذات الشهرة الكبيرة في مملكة غانا.[2]

كما تتفرع منها عدة طرق تجارية، وتصل إليها القوافل القادمة من طرابلس وجنوب تونس والجزائر، وتتجمع فيها، وبعض هذه القوافل يتجه غرباً إلى توات فتمبكتو، وبعضها يتجه إلى غات فكانو، أما القسم الثالث من هذه القوافل التجارية فإنه يتجه جنوب غرب إلى مرزق ومنها إلى برنوا.[3]

وعلى ضوء هذه الطرق والمنافذ لعبت هذه المدينة التاريخية دوراً بارزاً في تنشيط الحركة التجارية بين شمال أفريقيا وجنوبها، حيث أنها كانت محطة تجميع وتوزيع للقوافل التجارية، ومركزاً لتبادل البضائع بين دول شمال أفريقيا ومملكة غانا، وقد أدى هذا كله إلى دفع المؤثرات العربية الإسلامية جنوب مملكة غانا بصفة عامة، ومناطق الشمال الإفريقي بصفة خاصة.

ب- فزان : -

تقع مدينة فزان في إحدى المنخفضات الجنوبية للصحراء الليبية، إذ تبدأ هذه السلسلة بمنخفض الواحات الخارجية والداخلية في الصحراء المصرية، وتستمر في الامتداد حتى سواحل المحيط الأطلسي، إذ نجد الماء

---

(1) مجهول: الاستبصار، ص ص224، 225، الحميري: الروض المعطار، ص427.
(2) البكري: المغرب، ص182.
(3) جميلة التكيتك: نفس المرجع، ص130.

فـــي هذه المنخفضات على هيئة قيعان الأودية، ووجوده هو نتيجة لانخفاض سطحها عن عامة الهضبة ومرتفعاتها من حولها. [1]

وقــد وصـــفها الحسن الوزان بأنها : " منطقة كبيرة، تقوم فيها قصور ضـــخمة وقرى كبيرة، وكلها مأهولة بأناس أغنياء بالمال، وبحدائق النخيل، وهم واقعون فعلاً على تخوم أغاديس وصحراء ليبيا التي تتاخم مصر ". [2]

وبالتالـــي فإن هذا الموقع الجغرافي أعطاها أهمية كبرى كمركز تجاري هـــام مـــن مراكـــز التجارة والتي تقع عليه طرق القوافل التي كانت تذهب إلى السودان الغربي.

فمديـــنة فـــزان سهلت على القوافل التجارية عملية الاتصال والتبادل الـــتجاري، وإحكام الصلة بين الرحلات الوافدة من الشمال إلى الجنوب، كما قـــام سكان واحات هذا الإقليم من الصحراء الليبية بدور إيجابي في استقبال القوافـــل، وإرشادها عند المغادرة، وتوفير احتياجاتها من المياه وغيرها من الخدمات. [3]

ويعطيـــنا بوفيل صورة واضحة عن أهمية مدينة فزان كمركز تجاري مع السودان الغربي فيقول :

"وعلـــى الرغم من أن طريق فزان – كوار حمل كمية هائلة من الملح فممـــا لا شـــك فيه أنه كان طريقاً للرقيق، وسجل كل أوروبي سافر عن هذا الطريق فزعه من آلاف الهياكل البشرية التي انتشرت على جانبيه".

---

(1) حســين مؤنــس: فزان ودورها في انتشار الإسلام، مجلة كلية الآداب، العدد الثالث، 1969، بنغازي، ص83.

(2) الحسن الوزان: نفس المصدر، ج2، ص ص146، 147.

(3) إبراهيم فخار: " تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكـــبرى "، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص57.

ويتضـــح من ذلك أن أهالي فزان كانوا يتوافدون على مناطق السودان الغربـــي لغرض التجارة والاستقرار، مثلما توافد على تلك الأصقاع العلماء والدعــاة الذيــن مهمــتهم نشر العقيدة الإسلامية بين تلك الشعوب الإفريقية والدعوة إليها.[1]

ج – سجلماسة : –

قامــت مديــنة سجلماسة عام 140هــ/ 757م على وادي زيري الذي يحــيط بها من جميع الجهات، لأنه يتفرع إلى فرعين قبل أن يصلها،[2] وقد كانــت هناك مدينتان قائمتان على هذا الوادي هما ترغة وزيزا انتقل سكانها إلى سجلماسة.[3]

وقــد وصفها لنا القلقشندي في كتابه صبح الأعشى فذكر : "وهي مدينة إســلامية، وبيــنها وبين البحر الرومي خمس عشرة مرحلة، وليس قبلها ولا غــربها عمــران، وبينها وبين غانا من بلاد السودان مسيرة شهرين في رمال وجبال قليلة المياه لا يدخلها إلا الإبل المصبرة على العطش".[4]

وعلــى وادي زيــزي والــذي قامت عليه مدينة سجلماسة قام السكان بــزراعة الحبوب والفواكه، كما اشتهرت المدينة بكثرة النخيل حتى وصفت بــأن غاباتهــا تشــكل حائطاً يحميها من الغارات، [5] ويمثل بربر صنهاجة

---

(1) صالح المزيني: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ط 2، جامعة قاريونس، بنغــازي، 1994، ص219.
(2) الــبكري: المغــرب، ص148، ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص156، ابن سعيد: نفس المصدر، ص124، الدمشقي: نخبة الدهر: ص238.
(3) البكري: المغرب، ص148.
(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص163.
(5) أبــو الفداء: تقويم البلدان، ص137، الدمشقي: نخبة الدهر، ص238، القزويني: آثار البلاد، ص42.

العنصـــر الغالب على سكانها إلى جانب بعض العناصر الوافدة من الأندلس، وبعض العناصر السوداء، ومجموعات من قبائل البربر.(1)

وبالإضـــافة إلـــى ذلك احتلت المدينة مكانة بارزة في تجارة الصحراء، فكانـــت أول محطة تجارية على طرق القوافل التي تأتي عبر المغربين الأدنى والأوســـط في طريق دخولها الصحراء الغربية إلى مملكة غانا، ولذلك ارتبطت دون غيرها من مراكز جنوبي المغرب الأقصى بتجارة الذهب، واكتسبت شهرة كبيرة في المشرق الإسلامي.

واعتبر الجغرافيون العرب(2) سجلماسة الباب الرئيسي لطريق الذهب، فقد قصدها التجار من المشرق العربي بأعداد كبيرة، واستقروا بها للإشراف علـــى حـــركة الـــتجارة ورعاية مصالح شركائهم، فكان فيها تجار من بغداد والبصرة والكوفة، (3) بالإضافة إلى تجار المغرب العربي، مما جعل أسواقها معرضاً لصناعات وسلع العالم الإسلامي شرقه وغربه وجنوبه.

وبالتالي فقد كانت هذه المدينة سوقاً عالمياً تركزت نحوها أنظار العالم الإسلامي بقدر ما تركزت على الذهب، فكانت تجارتها غير منقطعة إلى بلاد الســـودان وسائر البلدان، وامتاز تجارها بالثراء الذي قلما يتصف به غيرهم من التجار في أقطار العالم الإسلامي؛ لدوام تردد القوافل عليهم.(4)

---

(1) البكري: المغرب، ص148.
(2) اليعقوبي: تاريخ البلدان، ص ص359، 360، الأصطخري: نفس المصدر، ص34.
(3) ابن حوقل: نفس المصدر، ص65.
(4) ابن حوقل: نفس المصدر، ص96.

ومن هنا تعتبر هذه المدينة التجارية نقطة تجمع للقوافل الذاهبة إلى غرب أفريقيا، ومن سجلماسة تسير القوافل على الطريق المؤدي إلى تغازا ثم إلى أودغست ومن هناك إلى غانا.[1]

ولأهمية مدينة سجلماسة التجارية عبر الصحراء يحدثنا مؤرخنا ابن حوقل أنه رأى في مدينة سجلماسة التي تمر بها قوافل المغرب الأوسط في طريقها إلى غانا ماراً بتغازا صكاً بمبلغ وقدره 42000 ديناراً من الذهب ديناً لتاجر من أودغست على آخر من سجلماسة، وأنه (ابن حوقل) لم ير من قبل حجم هذه المعاملة المالية في المشرق العربي، وأنه لما حكاها للناس ببغداد لم يصدقوه.[2]

كما ذكر لنا السلاوي أن تجار المغرب كانوا يجتمعون في سجلماسة حاضرة بني مدرار، ثم يسيرون في قوافلهم إلى غانا وكانوا يقطعون المسافة في ثلاثة أشهر ذهاباً، وفي شهر ونصف إياباً، وكانوا يبيعون ما معهم من الأمتعة والأثقال بالتبر، وكان انتشار الإسلام يسير مع قوافل التجار، ويزدهر على طول الخطوط التجارية.[3]

---

(1) إدريس الحرير: العلاقات الاقتصادية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام هناك، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، 1983، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص78.

(2) ابن حوقل: نفس المصدر، ص96، إدريس الحرير: العلاقات، ص ص81، 82، عطية مخزوم: دراسات، ص238.

(3) السلاوي: الاستقصاء، ج5، ص99.

د – تغازا : –

تقع هذه البلدة جنوبي المغرب بقرب البحر المحيط،[1] أي على الطريق الرئيســي للقوافل التجارية والتي ربطت المغرب الأقصى بالسودان الغربي، وهو الطريق الذي اشتهر في المصادر التاريخية باسم طريق الذهب.[2]

وتخبرنا المصادر التارخية بأن بلدة تغازا كانت مصدراً أساسياً للملح، ذات الأهمية التجارية على مر العصور.[3]

وتغــازا بلــدة لــيس فيها ما يجذب، ذات سمة غريبة وهي أن بيوتها ومســاجدها مبنــية مــن الملح، ومسقوفة بجلود الجمال، وليس هناك أشجار لا شــيء غير الرمال، وفي الرمال منجم للملح، ولا أحد يعيش في هذه البلدة غــير الرقيق المملوكين لقبيلة مسوفة الذين ينقبون عن الملح ويجدونه بشكل ألواح سميكة.[4]

وقــد أمدنــا الحســن الــوزان بمعلومــات قــيمة عن منجم ملح تغازا بقولـــــه : "فكان مأهولاً فيه عدد من مناجم الملح تشبه مقالع الرخام، يستخرج الملــح مــن حفــر تحيط بها أكواخ عديدة، يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح، وليسوا من سكان البلدة".[5]

كما زارها ابن بطوطة أثناء رحلاته إلى بلاد السودان الغربي ووصفها بقولــه : "وهي قرية لا خير فيها، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجــارة الملح، وسقفها من جلود الجمال، ولا شجر بها، وإنما هي رمل فيه

---

(1) يقصد بالبحر المحيط هو المحيط الأطلسي. القزويني: آثار البلاد، ص25.
(2) جميلة التكيتك: نفس المرجع، ص127.
(3) أمطير سعد غيث: نفس المرجع، ص125.
(4) بوفيل: تجارة الذهب، ص270.
(5) الحسن الوزان: نفس المصدر، ج2، ص108.

معدن الملح، يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض، يحمل الجمل منها لوحين".[1]

وكـــان أهل تغازا يعتمدون في معيشتهم اليومية على ما يحمله لهم تجار مدينتـــي تمبكـــت ودرعة اللتين تبعدان عنها بمسيرة عشرين يوماً، الأمر الذي يهدد سكان هذه البلدة بالهلاك جوعاً إذا ما تأخر وصول القوافل التجارية إليها.

وعلـــى الـــرغم من أن تغازا لم تكن تعاني من مشكلة المياه الصالحة للشـــرب، إذ كانت توجد بها آبار عذبة، ولكن المشكلة الحقيقية التي واجهتها هـــي أن طبيعتها كانت كثيراً ما تعاني من تأثير العواصف الشديدة التي تهب علـــيها صيفاً من الشرق، وتحمل كثيراً من الحصى الذي إذا ما صادف عين الإنسان أفقده البصر.[2]

هـ - توات : -

هو اسم بربري الأصل ومعناه الواحات، وبالتالي فإن هذا الاسم يطلق على مجموعات واحات النخيل المتناثرة في الصحراء بين بلاد الطوارق في الجـــنوب والجـــنوب الشـــرقي ومـــنطقة الكثبان الغربية الواسعة التي تصل بتافيلالت.[3]

وتعتـــبر توات من المراكز التجارية الهامة التي كان لها دور كبير في تـــبادل السلع التجارية بين شمال الصحراء وجنوبها وغربها، فهي واحة في وسط الصحراء.[4]

---

(1) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج2، ص192.
(2) بوفيل: تجارة الذهب، ص271، الهادي الدالي: مملكة مالي، ص101.
(3) أحمـــد العماري: توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، *1988*، ص*11*.
(4) جميلة التكيتك: نفس المرجع، ص128.

فقد وصفها الحسن الوزان بقولـــه : "تحتوي على أربعة آلاف عائلة، ولها تـــربة خصبة لزراعة الحبوب وخاصة الشعير ويزرعون قصب السكر بكميات كبيرة تكفي حاجاتهم، ويصدرون الباقي لتجار المغرب والسودان وعندهم كمية كبيرة من التمر".[1]

كمـــا أشار إليها ابن خلدون قائلاً " وقبل سجلماسة بست مراحل وطن يســـمى توات، فيه قصور متعددة تناهز المئتين آخذه من الغرب إلى الشرق، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد".[2]

وقـــد كان لموقع توات الممتاز كمحطة تجارية هامة لقوافل الصحراء أثـــر كبـــير فـــي نشر الأفكار والثقافات التي يحملها التجار والمسافرون من العلماء عبر الصحراء، حيث زودت التجار في رحلاتهم التجارية بما يلزمهم من غذاء وماء الأمر الذي جعل هؤلاء التجار يقومون بعرض بضاعتهم بها.

كمـــا كانـــت هذه المدينة تضم مجموعات كبيرة من اليهود الذين لعبوا دوراً رئيســـاً كوسطاء في التجارة مع السودان الغربي، إذ كانوا على اتصال مع أرباب التجارة والشركات الأوروبية التي تتعامل في تجارتها مع المغرب خاصـــةً أبناء أمتهم المقيمين في أوروبا.[3] ولعل ذلك كان أكثر شيء جذب الناس إليها خاصةً القوافل التجارية من شتى الأقطار، الأمر الذي جعلها حلقة وصـــل بيـــن القوافـــل العربية القادمة من شمال أفريقيا حاملة القمح والملح والملابـــس والـــنحاس وغيرها من السلع، والقوافل القادمة من تمبكت حاملة الذهب والرقيق، بالإضافة إلى القوافل القادمة إليها من مصر.[4]

(1) أمطير سعد غيث: نفس المرجع، ص123.
(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص120.
(3) جميلة التكيتك: نفس المرجع، ص ص 128، 129.
(4) صالح المزيني: ليبيا منذ الفتح العربي، ص222.

و- أغمات :-

تقـــع أغمـــات إلـــى الجنوب من أعالي وادي أم الربيع بين سجلماسة ووادي الســـوس ومـــنها إلـــى سجلماســـة ثماني مراحل، وإلى السوس ست مراحل.(1)

وكانـــت مديـــنة أغمات تمثل طابعاً مميزاً بين المراكز التجارية، فقد أعطاها موقعها مركزاً مرموقاً بين مراكز السوس، فهي تتوسط تلك المراكز تقريـــباً، مما أدى إلى استقرار مجموعات كبيرة من التجار بها، حيث كانت أســـواقها حافلـــة بأنواع السلع المختلفة وأعداد التجار من كل الجهات يأتونها بـــراً وبحـــراً، فقد كان يذبح في سوقها أكثر من مائة ثور وألف شاة تنفذ في ذلك اليوم.(2)

وازدادت أهمـــية المديـــنة فـــي منتصـــف القرن الخامس الهجري فقد أصـــبحت مركـــزاً للمرابطيـــن في المغرب الأقصى قبل انتقالهم إلى مدينة مـــراكش، فانتقل إليها مركز الثقل التجاري لدولة المرابطين التي امتدت من أودغست جنوباً حتى السوس الأقصى شمالاً.(3)

وفـــي هـــذه الفترة ارتفع عدد سكان المدينة، واستقرت بها مجموعات كبـــيرة مـــن هـــوارة الذيـــن اشتهروا بتجارتهم وعلاقاتهم القوية بالصحراء والمراكز الواقعة جنوبها، وقد أسهب الإدريسي في الحديث عن ثراء تجارها في هذه الفترة، وعن قوافلهم الكبيرة التي يكون للتاجر الواحد فيها ما بين 70 إلى 100 جمل.(4)

---

(1) الإدريسي: نفس المصدر، ص ص226، 229.
(2) البكري: المغرب، ص153.
(3) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص125.
(4) الإدريسي: نفس المصدر، ص232.

وبقيام مدينة مراكش غربي أغمات باثنين وثلاثين كم^2 بدأت أهمية أغمات تقل بانتقال أثريائها إلى عاصمة الدولة الجديدة، ثم انتهى دورها كمركز تجاري قيادي بعد زوال دولة المرابطين.[1]

ز– ورجلان : –

تقع مدينة ورجلان بين خطي 30.5 ْ شمالاً و5.17 ْ شرقا في جمهورية الجزائر وتعتبر ورجلان الحد الشرقي لواحات الجزائر، وأعطاها هذا الموقع أهمية خاصة للقوافل الآتية من المغربين الأدنى والأوسط في اتجاه مملكة غانا وحوض نهر النيجر الأوسط.

ولم تتعرض المصادر التاريخية لنشاط هذه المدينة المبكر قبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، غير أنه تتضح من خلال الطرق التجارية التي ربطت مملكة غانا بالشمال الإفريقي أهميتها حيث إنها كانت مركزاً تجارياً هاماً للدولة الرستمية يمكن مقارنتها بسجلماسة بالنسبة لدول المغرب الأقصى، [2] حيث إنه وبعد سقوط الدولة الرستمية في نهاية القرن الثالث الهجري وما تلا ذلك من أحداث في المغرب الأقصى ازدادت أهمية ورجلان كمحطة هامة على طرق الصحراء الوسطى، ويرى بعض المؤرخين أن سقوط تايهرت لم يكن له أثر كبير في ازدهار ورجلان، لأن الهجرة التي خرجت من تايهرت لم تكن أعدادها كبيرة أولاً، ثم إنها توزعت على كل المراكز في المنطقة مثل وادي ريغ وجبل نفوسة وإقليم الجريد.[3]

---

(1) الإدريسي: نفس المصدر، ص ص233، 234، ابن سعيد: الجغرافيا، ص ص123، 125.
(2) عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ص ص69– 86.
(3) لقبال موسى: من قضايا الدولة الرستمية الكبرى، مجلة الأصالة، عدد 41، 1971، ص57.

فازدهـــار تجـــارة ورجلان منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يرجع إذا إلى الظروف التي ألمت بالمغرب الأقصى والصحراء الغربية، ويبدو أن الـــثراء الـــذي اتصفت به ورجلان يبدأ منذ ذلك الوقت، فقد وصف سكانها بأنهم قبائل مياسير يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانا وبلاد ونقاره.

وقد أشار الإدريسي إلى تجارها وربطهم بتجار المغرب الأقصى وبلاد النـــيجر وكانـــت صلات ورجلان مباشرة بأدوغست وغانا،[1] كما بين ابن خلدون أهمية ورجلان التجارية مع السودان.[2]

ح – وادي درعة : –

يقـــع وادي درعـــة بين أعالي وادي أم الربيع ومدينة سجلماسة، حيث يمـــتد في اتجاه الجنوب والجنوب الغربي، وقد ضم هذا الوادي قرى متصلة تعرف ببني درعة.[3]

وقـــد مـــارس سكان وادي درعة (البربر) الزراعة، واشتهروا بإنتاج الحـــناء وبذرتهـــا،[4] وينبت على الوادي أيضاً الشجر الذي يستخدم في دباغة الجلـــود، فاشـــتهر أهل درعة بالدباغة[5] كما مارسوا التعدين في مناجم الفضة القريبة من الوادي.[6]

أمـــا النشـــاط الكبـــير الذي مارسه السكان فهو خدمة التجارة، فقد كان الـــوادي محطـــة تجاريـــة هامة لطرق الصحراء الغربية، فقامت على الوادي

---

(1) الإدريسي: نفس المصدر، ص20، طرخان: إمبراطورية غانا، ص65.
(2) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ج6، ط2، لجنة البيان، 1965، ص446.
(3) اليعقوبي: البلدان، ص359.
(4) البكري: المغرب، ص61.
(5) البكري: المغرب، ص152.
(6) أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة: المسالك والممالك، مكتبة المثني، بغداد، ص88.

العديـــد من الأسواق الجامعة والمتاجر[1] فاتجه قطاع من السكان إلى الاشتغال بالـــتجارة، وآخرون إلى امتهان بعض الأعمال المساعدة والمكملة للتجارة مثل إعـــداد المطاعم والفنادق والحمامات وإعداد ما تحتاج إليه الإبل في رحلاتها، وقـــد أدى وجـــود قبيلة مسوفة بالقرب من درعة إلى تنشيط الحركة التجارية، خاصـــة وأن مسوفة تسيطر على تغازا وملحها، وكان لهذا أهمية كبيرة خاصة بالنسبة للقوافل الداخلة إلى مملكة غانا.[2]

ط – نول : –

احتلـــت مديـــنة نول موقعاً تجارياً هاماً كأقصى مدينة جنوبي السوس الأقصـــى، فأصـــبحت المحطة الأخيرة للقوافل في طريق دخولها الصحراء، والمحطـــة الأولـــى في استقبال القوافل العائدة عبر الطريق الساحلي،[3] وقد قامت نول على واد صغير يصب في البحر المحيط ويبدو أن الوادي كله كان آهلاً بالسكان بحيث ضم قبيلتي لمتونة ولمطة.[4]

ولم تُشر المصادر التاريخية قبل القرن الخامس الهجري إلى مدينة نول ولذلـــك يصعب معرفة تاريخ ازدهارها كمركز تجاري على طرق القوافل أو علـــى الطـــريق البحري، وكذلك تاريخ ازدهار الوادي واستقرار أفراد لمطة ولمتونة عليه غير محدد، غير أن ذلك يمكن أن يرجع إلى تاريخ دخول قبائل صنهاجة إلى الصحراء الغربية، فتكون المدينة قد زاولت نشاطها التجاري.

---

(1) البكري: المغرب، ص152.
(2) البكري: المغرب، ص149.
(3) البكري: المغرب، ص ص161، 162.
(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص224.

وقــد اشــتهرت مديــنة نول بالصناعات المتعلقة بخدمة القوافل مثل السروج واللجم والحبال، وكانت تشتهر أيضاً بصناعة النسيج فأعدت الأكسية والبرانيس.[1]

كمــا بــدأت مدينة نول (من خلال ما ذكره البكري ومن جاء بعده) كمركز تجاري هام يخرج منها الطريق الذي يتبع الساحل جنوباً حتى أيوني وسـلي وتكـرور،[2] كمــا كانت ميناءً هاماً على الساحل المحيط، وساهمت بدورهــا علــى الطريق البحري المتجه جنوباً نحو نهر السنغال، حيث ذكر مؤرخنا ابن سعيد أنه ركب البحر منها، والمرجح أنه اتجه منها جنوباً.[3]

2 – المراكز التجارية على الطرف الجنوبي للصحراء الكبرى : –

أ – أودغست : –

قامــت مدينة أودغست على وجه التقريب بين خطي طول 12.10° غرباً وخطي عرض 19.18° شمالاً، وهي وفقا لهذا التحديد تقع في الركن الشمالي الغربــي لمــنطقة الحــوض وأوكــار في الحدود الجنوبية الشرقية لجمهورية موريتانيا الإسلامية.[4]

وهذا الموقع يضعها في نفس المكان الذي استقرت عليه الهجرات التي وفدت من الشمال، واستقرت بين قبائل السوننك، حيث تأسست مملكة غانا.

---

(1) الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص ص224، 225.
(2) البكري: المغرب، ص172.
(3) ابن سعيد: الجغرافيا، ص111.
(4) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص215.

وقـــد كانت أودغست عاصمة مملكة غانا منذ قيامها، والدليل على ذلك الـــنص الـــذي ورد عـــند البكري بأن أودغست كانت منزلاً لملك غانا قبل أن يدخل العرب غانا.(1)

وهذا يدل على أهمية مدينة أودغست كعاصمة لأول مملكة على طرف الصـــحراء الكـــبرى الجنوبـــي، وكمركز تجاري هام ربط بين شمال أفريقيا وغربها منذ وقت سابق لدخول العرب المسلمين.

ولاحـــظ المؤلفون العرب أهمية موقع أودغست، فجعلوها معبراً هاماً للدخول إلى مملكة غانا في باكورة إنتاجهم.(2)

وقـــد أسهب كتاب القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في الحديث عنها، فبدأت مدينة ذات أعمال واسعة، يشتغل سكانها بزراعة القمح والدخن والـــذرة واللوبيا، وكان عندهم النخيل الكثير، وتعتمد الزراعة على الري من الآبـــار والأمطـــار الطبيعـــية كما أشاروا إلى أسواقها الجليلة، وكثرة السفر المتصل إليها من كل البلاد.(3)

وبلغـــت أودغســـت قمة نشاطها في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، فقد كان وصف مؤلفات القرن الرابع لها واضحاً، حـــتى لو اعتبرنا أن الكثير من ذلك الوصف يصدق على نشاط القرن الثالث الهجـــري فقـــط، فإن البكري في أول القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وصف أسواقها عامرة الدهر كله، وكثرة تجارها من العرب وقبائل

---

(1) البكري: المغرب، ص168.

(2) ابن حوقل: نفس المصدر، ص ص91، 98.

(3) ابن حوقل: نفس المصدر، ص ص91، 97، 98، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص125. يـــاقوت الحمـــوي: معجـــم الـــبلدان، ج1، ص277، القلقشـــندي: صـــبح الأعشـــى، ج5، ص ص172، 173.

البربر، ووصف سكانها بالثراء العريض.[1]

وفي نهاية القرن الرابع الهجري دخلت أودغست تحت سيادة مملكة غانا، فاتصلت اتصالاً مباشراً بتجارة التبر، وأصبحت المركز الصحراوي المتقدم لغانا.

وبعد قيام دولة المرابطين في الصحراء الغربية خلصوا أودغست من نفوذ غانا [2] واستعادت صنهاجة سيادتها على المدينة، لكن بدأ دورها كمركز تجاري هام في الصحراء الغربية، يقل ويضعف للظروف التي تجددت في المنطقة.

فمملكة غانا بدأت تواجه المشاكل في حدودها الجنوبية بعد أن تخلصت من المرابطين منذ نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وفي نفس الوقت انتقل مركز الثقل لدولة المرابطين شمالاً، فلم تعد أودغست كما كانت عاصمة للصنهاجيين، بالإضافة إلى ذلك عم الجزء الغربي من الصحراء الغربية جفافاً أدى إلى بداية الهجرة من المنطقة. [3]

ب- كومبي صالح : -

مدينة كومبي صالح هي المكان المقترح لعاصمة غانا في مرحلتها الثانية بعد دخول العرب إليها وانتقال الأسرة السوننكية جنوباً.[4]

---

(1) كان اهل أودغست يحضرون التبر من الجنوب ثم يصوغونه ذهباً خالصاً. البكري: المغرب، ص ص158، 168.

(2) البكري: المغرب، ص168.

(3) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص51.

(4) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص41.

وقد كانت عاصمة غانا مدينة كبيرة، مأهولة السكان، مما يؤيد وصف ابـن خلـدون لهـا بأنها "من أعظم مدائن العالم وأكثرها معتمراً"[1] وكانت المبانـي فـي المديـنة من الطين والحجارة والخشب، والمدينة ذات شوارع مستقيمة ومنظمة.

ولـم يكـن مواطنو مملكة غانا مستهلكين فقط يعتمدون على ما يدره علـيهم التـبر، بل كانوا تجاراً نشطين، يتجولون في أنحاء المملكة والممالك المجاورة حاملين السلع الواردة، وجامعين السلع المحلية.[2]

كمـا اتجهـت مجموعـة من السكان للاشتغال بالزراعة في العاصمة وخارجهـا، فكـانوا يزرعون القمح والخضروات والأرز والذرة؛ لتأمين ما يستهلكه السكان خاصة في مراكز التجارة داخل المملكة، وقاموا أيضاً بإعداد أنواع كثيرة من الصناعات المحلية مثل : حلي النحاس والخرز والنظم كسلع داخلية.[3]

وعلـى ضـوء ذلك فقد ارتبطت مملكة غانا بمراكز التجارة العالمية، ويمكـن أن نتصـور مدينة التجار بأسواقها العامرة، والحافلة بمختلف أنواع السـلع المغربـية وغـيرها من حوض البحر المتوسط والمشرق الإسلامي، والأعداد الكبيرة من التجار من مختلف الجنسيات عابرين ومقيمين، ووكلاء التجار، ووكلاء الشركات، وسماسرة التبر المقيمين في المدينة.

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص199.

(2) الـبكري: المغـرب، ص ص175، 177، 178، 180، الإدريسـي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص ص6، 8، 9، 20.

(3) البكري: المغرب، ص175، الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص ص5، 8.

جـ- تيرقي : -

تقـــع مدينة تيرقي إلى الشرق من مدينة غانا على طريق غانا تادمكة، وذكـــر الإدريسي أنها تبعد ستة أيام من غانا ، ويبدو مما ذكره البكري أنها أبعـــد من ذلك بقليل، فهو لم يحدد كل مراحل الطريق لكن من المراحل التي حددهـــا يتضح أنها تزيد على العشر مراحل بقليل، ولم يوضح البكري ما إذا كانـــت تيرقي تابعة لغانا، أم لا،[1] إلا أن الحميري والإدريسي جعلاها ضمن حدود مملكة غانا.[2]

وقـــد وصـــفت تيرقي بأنها مدينة كبيرة آهلة بالسكان، وأسواقها حافلة بمختلف أنواع السلع، يجتمع فيها التجار من مختلف الأمكنة خاصة من غانا وتادمكة.

واستمرت مدينة تيرقي موقعها على طريق الصحراء الوسطى المتجه نحو مملكة غانا، فأصبحت سوقاً ومحطة هامة، خاصة وأنها أول مركز تحط به القوافل بعد أن تقطع المنطقة الصحراوية بينها وبين تادمكة.[3]

د- تادمكة : -

تعد مدينة تادمكة من أحسن مدن السودان الغربي، فهي تبعد عن مملكة غانـــا خمســـين مـــرحلة،[4] وهـــذا الموقع الجغرافي أعطاها مركزاً حيوياً واستراتيجياً ذا أهمية بالغة في المجال الاقتصادي.

---

(1) الإدريسي: نفس المصدر، ص25، البكري: المغرب، ص180.
(2) الحميري: الروض المعطار، ص145، الإدريسي: نفس المصدر، ج1، ص25.
(3) البكري: المغرب، ص180، مجهول: الاستبصار، ص222.
(4) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص880.

وعن أصل سكان هذه المدينة فهو مزيج من العرب المغاربة، ويدل هذا علـــى أن اختلاط العناصر السكانية بها أدى إلى استقرار الوضع الاقتصادي، حـــتى صارت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أحسن بناء من غانا وكوكو.(1)

وقد تحدثت المصادر العربية عن مدينة تادمكة فذكرت : " بأنها مدينة كبـــيرة بيـــن جبال وشعاب، وهي أحسن بناء من مدينة غانا ومدينة كوكو، وأهـــل تادمكـــة بربـــر مســـلمون، وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء، وعيشـــهم علـــى اللحـــم واللبن، ويجلب إليهم الذرة وسائر الحبوب من بلاد السودان، ولباسهم ثياب القطن المصبغة، وملكهم يلبس الثياب الملونة، فتكون عمامـــته حمراء، وقميصه أصفر، وسراويله زرق، ونسائهم فائقات الجمال، لا يعدل بهن نساء بلد حسناً " (2)

ومـــن خلال هذه الإشارات يتضح لنا الأهمية التاريخية التي تتمتع بها المديـــنة فهي تتميز بحسن البناء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنها كانـــت ملتقى لطرق القوافل القادمة من الشمال الإفريقي والمتجهة إلى غانا، وهذا يعطينا مؤشراً هاماً على أن المؤثرات العربية الإسلامية قد وصلت إلى هـــذه المديـــنة مـــنذ فترة طويلة، عبر الموجات العربية التي اخترقت آفاق الصـــحراء، وحطـــت الرحال بها، وعندما وصلهم الإسلام عمل على زيادة أواصر المحبة والوحدة بينهم.(3)

---

(1) أمطير سعد غيث: التأثير العربي الإسلامي، ص135.
(2) البكري: المسالك، ج2، ص880، الحميري: الروض المعطار، ص ص128، 129، مجهول: الاستبصار، ص223.
(3) أمطير: نفس المرجع، ص135.

جـ - السلع المتداولة : -

1 - السلع الصادرة من مملكة غانا : -

اعــتمدت سلع تجارة الصحراء اعتماداً أساسياً على المعادن، والموارد الزراعية، والثروة الحيوانية، ومشتقات هذه السلع من الصناعات الخفيفة، إلى جانب بعض إنتاج الغابات، وقد شاركت كل من مملكة غانا والشمال الإفريقي بنصــيب في تزويد قوافل التجارة بأنواع مختلفة من السلع، بحيث يمكن تتبع سلع كل منطقة على حدة.

ومن أهم السلع التي صدرتها مملكة غانا : الذهب، إلى جانب الرقيق، وبعض السلع الأخرى.

أ - الذهب : -

يــرجع تاريخ تجارة الذهب إلى ما قبل وصول المسلمين إلى المغرب العربــي بوقــت طويــل. فقد أثار ذهب غرب أفريقيا انتباه الدول في شمال أفريقيا منذ العصر الفينيقي.

ويــبدو أن قيام مملكة غانا أدى إلى انتظام وصول الذهب غربي أفريقيا إلى المغرب وحوض البحر المتوسط، لاسيما وأن مؤسسي غانا أتوا من الشمال الأفريقي، فكانوا على علم بدور الذهب في اقتصاد حوض البحر المتوسط.

وبــدأ أن ذهب السودان الغربي يحتل مكانه هامة، حتى أصبح عنصراً أساســياً فــي اقتصــاد العصــور الوســطى لدول الشمال الأفريقي وغرب أوروبا.[1]

---

(1) عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية، ص ص185، 186.

=

وعــند وصول المسلمين إلى المغرب كان تجار الذهب من مملكة غانا ومـن بـدو الصـحراء قد اعتادوا الوصول إلى المراكز الكبرى في الشمال، ووقـف المسـلمون بذلك على الدور الهام الذي يلعبه ذهب غربي أفريقيا في اقتصاد شمال أفريقيا.(1)

وقـد اهـتم الجغرافيون والرحالة المسلمون بذهب مملكة غانا اهتماماً كبـيراً، فقـد ذكر ابن الفقيه : "أن بلاد غانا ينبت فيها الذهب نباتاً في الرمل كما ينبت الجزر، ويقطف عند بزوغ الشمس".(2)

كمـا أوضـح البكري مصادر الذهب في المنطقة بالتفصيل، فذكر أن أفضـل ذهـب بلاد غانا " ما كان بمدينة غيارو ا "،(3) على بعد ثماينة عشر يومـاً مـن عاصـمة غانـا، وكذلك وجد الذهب في برستي إلى الغرب من غيارو ا.(4)

وقـد اتفـق كل من الإدريسي وابن سعيد من أن جزيرة ونقارة يجمع الذهب منها بعد انحسار مياه الفيضان عنها.(5)

كمـا تذكـر لـنا الروايات التاريخية أن للملك منطقة خاصة به على الجزيرة لا يدخلها المواطنون في بحثهم عن الذهب، ويجمع الذهب للملك من تلك المنطقة، أما باقي الجزيرة فللمواطنين. (6)

=

- Clyde Chantler, The Ghana Story, pp. 52- 53.

(1) ابـن خلـدون: العبر، ص202، محمد بن أحمد بن تميم القيرواني أبو العرب: طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيق نعيم حسن اليافي، الدار التونسية، تونس، 1968، ص71.

(2) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص87.

(3) البكري: المغرب، ص176.

(4) البكري: المغرب، ص177، مجهول: الاستبصار، ص221.

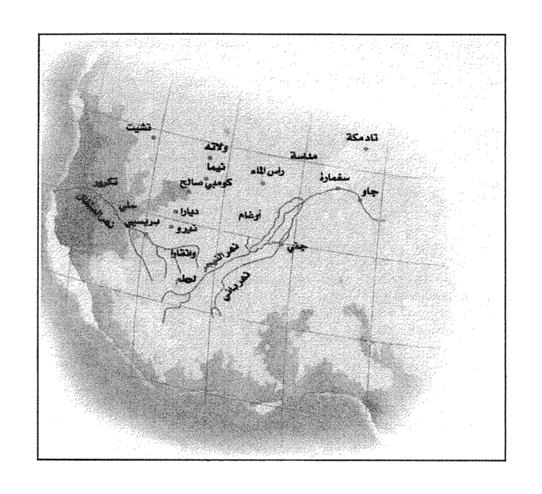
(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد الأول، ص24، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ص92، 93.

(6) برايما باري: نفس المرجع، ص186.

وقـــد أشـــار الـــبكري أيضـــاً إلى محافظة الملوك على كميات الذهب المجموعة، فإن وجدت تبرة كبيرة "الندرة من الذهب" تحمل للملك، وسبب ذلك أن السياســـة العامة هي عدم ترك كميات كبيرة من الذهب في أيدي المواطنين محافظة على سعره.[1]

---

(1) البكري: المغرب، ص177.



شكل رقم (21)

وانقارا جزيرة الذهب

ويـــتفق أيضاً ياقوت مع البكري والإدريسي وابن سعيد في وجود الذهب بـــأرض ونقارا غير أنه جعل المنطقة الواقعة بين مدينة غانا ونقارا صحارى فـــيها ريح السموم، تنشف فيها المياه داخل الأسقية لذلك ذكر أن التجار يأخذون إبـــلاً يســـقونها بالمـــاء، ويربطون خياشيمها، ويذبحونها في الطريق لشرب ما بجوفها من الماء.[1]

والمكـــان الثاني الذي ذكره البكري كمصدر للذهب هو بلاد الفروبين، حيـــث يـــبدل الملـــح بالذهـــب، والفرويون يجاورون غانا من جهة الغرب، وأضاف مؤلف كتاب الاستبصار أن ذهب بلاد الفروبين يستخرج من بلادهم كما يستخرج الحديد والرصاص والنحاس والفضة ببلادنا. [2] والمكان الثالث هـــو كوغـــة غربـــي غانـــا، ويوجد الذهب حولها، ووصفت بأنها أكثر بلاد السودان ذهباً، [3] ولم يكن الذهب الذي استخرج من هذه المناطق يصدر عن طـــريق مملكـــة غانـــا، خاصة وأنه يتركز في المنطقة القريبة من التكرور، ولذلك فإن جزءاً منه خرج بواسطتهم.

ب – الرقيق : –

يعـــد الرقـــيق أحد السلع التجارية الهامة في العالم منذ أقدم العصور، وكانـــت بلاد السودان الغربي المصدر الرئيسي لهذه التجارة إلى بلدان شمال أفريقيا وحوض البحر المتوسط.

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص12، ابن سعيد: الجغرافيا، ص113.
(2) مجهول: الاستبصار، ص219.
(3) البكري: المغرب، ص179، مجهول: الاستبصار، ص222.

والروايات التاريخية تذكر لنا أن الرومان (خلال حكمهم لمنطقة شمال أفريقيا) قد استخدموا الرقيق على نطاق واسع في دولتهم.[1]

ولم تكن لتجارة الرقيق شهرة كبيرة على طريق سجلماسة غانا بقدر ما كانـــت عليه في طريق زويلة كوار ببحيرة تشاد ونهر النيجر، فكان الطريق الغربي طريق الذهب، والشرقي طريق الرقيق، ويظهر ذلك عند اليعقوبي.[2]

وهـــذا لا يعنـــي أن تجـــارة الرقيق انعدمت على الطريق الغربي، فقد وجدت إقبالاً خاصة من تجار الشمال الإفريقي الذين كانوا يخرجون منهم في كـــل عـــام أعداداً كثيرة،[3] وعلى ضوء ذلك فقد راجت هذه التجارة، وجنت مـــنها إمبراطورية غانا أرباحاً طائلة، حيث كان في العاصمة كومبي صالح ســـوقاً رابحـــة لهذه التجارة، وتمون السوق بالعبيد عن طريق الاقتناص من الحدود الجنوبية، حيث يوجد الزنوج البدائيون.[4]

وتركز المصادر التاريخية على منطقة لملم جنوبي غانا باعتبارها أكبر مصـــدر لاصـــطياد الرقـــيق، وقد وصف الإدريسي سكانها أنهم أكثر الناس نسلاً،[5] وفي موضع آخر "وجنوب غانا أرض الكفار اللملمية"[6]

وكان أهل غانا والمناطق المجاورة لها يستخدمون الحديد أمام اللملميين الذين كانوا يقاتلون بأسلحة اتخذوها من الأبنوس، ويؤدي ذلك إلى أسر أعداد كبيرة تعد لتجارة الشمال، وقد أوضح الإدريسي ذلك بقولـــه :

---

(1) أمطير سعد غيث: التأثير العربي، ص144.
(2) اليعقوبي: البلدان، ص ص345، 359.
(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ص19، 22.
(4) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص72، 74.
(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص22.
(6) الإدريسي: نفس المصدر، ص24.

"وفـــي الجنوب من برسي أرض لملم، ويغير عليها أهل برسي وسلي وتكـــرور وغانـــا ويسبون أهلها ويجلبونهم إلى بلادهم، فيبيعونهم إلى التجار الداخلين إليهم، فيخرجوهم التجار إلى سائر الأقطار، وإذ بلغ أحدهم الحلم في أرض لملم وشم وجهه وصدغه بالنار علامة لهم".[1]

ونظراً لحاجة السودان إلى الملح وأهميته فقد كان العبد يباع بكمية من الملـــح لا تعدو قدر حجم قدمه، فقد أورد الشنقيطي بصدد تجارة بلاد شنقيط بالمغرب في الملح مع السودان أن تجارة أهل شنقيط كانت رابحة، وأن أعظم ما يتاجرون به الملح إلى السودان، ويقال أن العبد كان يباع بحذائه أي نعله، أي أن الملح يقطع على هيئة اللوح الكبير، فيشد بالحبال، ويوضع على ظهر الجمـــل، فإذا صار إلى السودان يجعل تحت قدم العبد منه مقدار نعل فيكون قيمة له.[2]

ولقـــد ســـاهم الرقيق في كثير من النشاطات، فقد كانوا يؤدون بعض الأعمـــال فـــي ميدان الزراعة، ويعملون في التعدين، وحراسة القوافل، وفي البناء والصناعات الخفيفة التي ظهرت في المراكز،[3] غير أن أغلب الرقيق الأسود كان يستخدم في الأعمال المنزلية، وفي بعض المناطق اعتبر امتلاك الرقيق مظهراً من مظاهر الثراء كما في أودغست.[4]

كمـــا كان للرقيق مركز كبير في بعض قصور حكام المغرب العربي، حيـــث لعبوا دورهم في النظام العسكري، فقد تكون حرس الأمير إبراهيم بن الأغلب في أفريقيا من الرقيق الأسود.[5]

---

(1) الإدريسي: نفس المصدر، ص19.
(2) نقلاً عن طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص74، 75.
(3) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ص ص29، 30.
(4) محمود طه أبو العلاء: المسلمون في أفريقية، ص75.
(5) محمد علي كرد: الإسلام والحضارة العربية، ج2، القاهرة، 1354 هـــ، ص472.

كما عملت فئات في خدمة الخلافة العباسية فقد ضم الجيش العباسي طائفة كبيرة من أولئك الرقيق، ووصل كثير من هؤلاء إلى مراكز سامية كقيادة الجيش.(1)

ويبدو أنه بانتشار العقيدة الإسلامية بغرب أفريقيا تعرضت تجارة الرقيق إلى استهجان من قبل بعض الفقهاء الذين وصل بهم الأمر إلى إصدار الفتاوى الدينية التي تحرم تلك التجارة.(2)

فقد كانت الأقطار الإسلامية تحسن إلى معاملة هؤلاء؛ لأن الدين الإسلامي حث على ذلك، وفضلاً عن ذلك أن هؤلاء الأرقاء قد انخرطوا في الجيوش الإسلامية الفاتحة؛ دفاعاً عن الإسلام والعقيدة الإسلامية.(3)

جـ- سلع أخرى : -

خرجت من مملكة غانا أيضاً بعض السلع الأخرى التي كانت تصدرها إلى الشمال الأفريقي من قبل، غير أن ازدياد حركة التجارة بعد الفتح الإسلامي للشمال الأفريقي أدت إلى ازديادها.

ومن هذه السلع الأبنوس، فقد كان بغانا نوع من الأبنوس الجيد الذي صنعوا منه الأقواس والنشاب والدبابيس.(4)

كما كانت القوافل الغانية تحمل أيضاً العنبر من أودغست، ويأتي العنبر إليها من سواحل البحر المحيط.(5)

---

(1) حميد دولاب ضيدان: الجذور التاريخية للصلات العربية الأفريقية، ص73.

(2) أمطير سعد غيث: التأثير العربي الإسلامي، ص ص144، 145.

(3) جميلة التكتكيك: مملكة السنغاي، ص136.

(4) البكري: المغرب، ص177.

- Edward W. Blyden, Christianity, Islam and Negro Race, pp. 173- 174.

(5) البكري: المغرب، ص159.

كما صدرت غانا العاج، والذي يعتبر من المواد الغالية الثمن، ولذا فقد كـــان قسم من التجار يكسب ثروته ومعيشته من الاتجار بأنياب الفيلة ونقلها من مكان إلى آخر.

وقـــد أكد الحسن الوزان في أن وجود الفيلة بالمناطق المطلة على نهر النـــيجر والممـــتدة بيـــنه وبين بحيرة تشاد، وأن السكان يجهدون أنفسهم في اصطيادها؛ ليبيعوا أنيابها للتجار المغاربة والمصريين أما لحومها فتؤكل.(1)

وبالإضـــافة إلـــى العاج فقد صدرت غانا بيض النعام والذي يدخل في تركيب الأدوية، كما كان يوضع فوق المناضد، أو يعلق على حيطان القاعات للزينة.

ونظـــراً لأهميـــته فقـــد حظى بيض النعام بعناية كبيرة من قبل تجار الشـــمال الأفريقـــي، فقـــد كانوا يحملون منه ما تيسر لهم، وكانت أثمانه في الأسواق الخارجية مرتفعة.

وإلى جانب بيض النعام كان هناك ريشه، والذي حظي بإقبال كبير من قـــبل الطبقات العليا في المجتمع، حيث كانوا يتخذون منه مراوح للتهوية أو للزينة في البيوت والقاعات.

لذا فقد عمل تجار الشمال الأفريقي على تهيئة وجمع ما تيسر لهم منه أثناء عودتهم من السودان الغربي.

ومـــن السلع التي كانت تحملها قوافل التجار العرب التوابل " البهارات "، والتـــي كانـــت تشكل في تلك الفترة مادة رفوف الصيدليات، وتتكون منها جمـــيع العقاقـــير التـــي تحتويها وصفات الأطباء ومؤلفاتهم، وكانت أثمانها

---

(1) الحسن الوزان: نفس المصدر، ج2، ص258، طرخان: إمبراطورية غانا، ص65، مجهول: محاضرات في تاريخ أفريقيا، ص28.

مرتفعة جداً، في الوقت الذي كان الإقبال عليها شديداً، وبالتالي فقد كان تجار الشمال يحملون منها ما استطاعوا، ويربحون من ورائها أرباحاً كثيرة.[1]

2 – السلع الواردة إلى مملكة غانا : –

أ – الملح : –

لقد شارك الشمال الأفريقي بنصيبه في تجهيز وتزويد القوافل بمجموعة كبيرة من السلع على درجة كبيرة من الأهمية، والملح هو أهم السلع التي صُدرت إلى الجنوب، وذلك لأنه نادر في المناطق الواقعة جنوبي الصحراء،[2] وندرة الذهب في الشمال، ولذلك حرص التجار على أخذ أكبر قدر يتمكنون من أخذه إلى الداخل، ونسبة لصعوبة نقله ارتفع ثمنه، حتى أنه كان يباع وزناً بوزن الذهب، وربما باعوه بوزنين أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم. [3]

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هو السبب في غلاء معدن الملح في تلك المناطق من السودان الغربي لدرجة وصلت مقارنته بالذهب؟

إن السبب في غلاء معدن الملح هو الندرة في تلك المناطق من الصحراء في الوقت الذي كان يستخدم في جميع مجالات الحياة كالطعام مثلاً،

---

(1) عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية، ص ص168، 169.

(2) كانت أوليل على ساحل المحيط الأطلسي تصدر الملح عبر نهر السنغال لكن يبدو أن الكمية التي كانت توزع قليلة جداً لصعوبة الملاحة إلى مساحات كبيرة على النهر ولم يكن في كل منطقة حوض نهر النيجر مكان يستخرج الملح ما عدا ما يستخرج من حوض البنوي أحد روافد نهر النيجر الشرقي وكانت تصحب استخراجه طقوس دينية دلالة على ندرته وأهميته. عنايات الطحاوي: أفريقيا الإسلامية، ص35.

(3) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا، ص ص66، 67.

بالإضـــافة إلى ذلك ارتفاع درجة حرارة الصحراء لا تسمح بنقل معدن الملح من سواحل المحيط الأطلسي إلى الداخل نظراً للرطوبة العليا في تلك المناطق مما أدى إلى ارتفاع ثمنه.

وقــد اهتمت المصادر التاريخية بمعدن الملح وأماكن استخراجه، حيث إنـــه يعتبر الوسيلة الرئيسية للحصول على الذهب لدرجة اتخاذه عملة شرائية مـــنذ وقــت مبكر، وقد أوضح ابن حوقل ذلك بقولـــه : "وحاجتهم إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام".[1]

كمـــا ذكـــر ابن بطوطة ذلك بقولـــه : "وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعاً ويبايعون به".[2]

وعلـــى ضوء ذلك فقد اتفقت المصادر التاريخية على أن معدن الملح كان السلعة الأولى التي أولاها السودان الغربي أهمية كبيرة، وكانت الممالك والمراكز التجارية الواقعة غرب الصحراء توليه اهتماماً كبيراً.

وبالتالي فقد لعب هذا المعدن دوراً بارزاً في تقوية العلاقات الاقتصادية بيـــن شـــمال الصحراء وجنوبها فغربها، فمثلاً كانت مملكة غانا تعمل على ضرورة تحسين علاقاتها بأودغست لضمان وصول الملح عبرها.[3]

وكـــان الملـــح الذي يصدر إلى مملكة غانا يؤخذ بالدرجة الأولى من تغازه التي تقع على بعد عشرين يوماً جنوب شرقي سجلماسة.[4]

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص98.
(2) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج2، ص192.
(3) أمطير سعد: التأثير العربي، ص ص137، 139.
(4) البكري: المغرب، ص171.

ففي هذه المنطقة يوجد الملح بقدر كبير، وهو أنصع بياضاً من الرخام، حيث يستخرج بالحفر عليه من بعض الكهوف أو الحفر، وبالتالي ينقل على الجمال لمملكة غانا.[1]

ب – سلع أخرى : –

وصلت إلى مملكة غانا عبر الصحراء الكبرى بعض السلع الأخرى مثل الحجارة الكريمة التي اشتهر بها أكثر سكان الصحراء، فكانت توجد شمال تادمكة بأربعة عشر يوماً، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى جودتها ووصف جمال ألوانها، وأطلق عليها البكري اسم "ناسي النمست" وكانت هذه الحجارة مطلوبة بدرجة كبيرة في غانا وكانوا يدفعون فيها كثيراً.[2]

كما توجد في شرقي أغمات بعض أنواع الياقوت "المتناهي في الجودة وحسن اللون" [3] ولذلك أشار الإدريسي إلى وجود الكثير من أنواع هذه الأحجار الكريمة في جزر المحيط الأطلسي المطلة على سواحل الصحراء الغربية.[4]

---

(1) بوفيل: تجارة الذهب، ص271.

(2) البكري: المغرب، ص182. عرف هذا الحجر عند الفراعنة باسم حجر التمحو وفي أوروبا عرف باسم الحجر القرطاجي لأنهم عرفوه عن طريق القرطاجيين وفي العالم الروماني عرف باسم الكابونكل. محمد سليمان أيوب: جرمة في عصر ازدهارها، بحث منشور في كتاب ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، 1968، ص188.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد الأول، ص153، مجهول: الاستبصار، ص ص224، 225.

(4) الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص ص28، 29، 55.

وبالإضـــافة إلـــى ذلك فقد كانت القوافل الصحراوية تصدر إلى مملكة غانـــا الصمغ[1] والتمر والشب،[2] وبعض الصناعات الخفيفة مثل : السروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل.

كمـــا ســـاهمت دول المغرب العربي بتصدير بعض السلع لمملكة غانا والتـــي علـــى رأسها المعادن، إلى جانب القمح والفواكه المجففة، وقد حصر الإدريسي أغلب تلك السلع عندما تحدث عن تجارة أهل أغمات إلى السودان فقال يحملون :

"الـــنحاس الأحمـــر والأكســـية وثـــياب الصوف والعمائم والأصداف والأحجار والعطر وآلات الحديد المصنوع".[3]

وقد ساهمت مراكز المغرب المختلفة في إعداد تلك السلع وتصديرها، فاشتهرت قلعة بني حماد ومدن السوس وقسنطينة وفاس وجدة بالمنسوجات؛ ووصـــفت أنسجة السوس بالجودة والنعامة والبياض ما لم يتوفر لغيرها من منسوجات المراكز الأخرى.[4]

وفي ميادين التعدين كانت الصناعات الحديدية في سجلماسة، [5] وكذلك يوجد الحديد في مدينة مجانة بالقيروان.[6]

---

(1) البكري: المغرب، ص158.
(2) الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص ص20، 118.
(3) الإدريسي: نفس المصدر، المجلد الأول، ص ص224، 225، 232.
(4) الإدريسي: نفس المصدر، ص62.
مجهول: الاستبصار، ص119.
(5) البكري: المغرب، ص149.
(6) ابن حوقل: نفس المصدر، ص84.

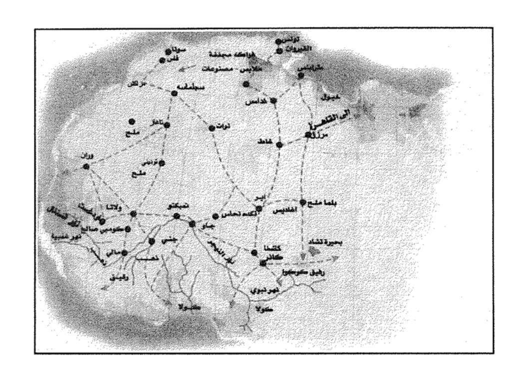
ويتواجد النحاس في غربي سجلماسة[1] وإيجلي، ونحاس إيجلي المسبوك يتجهز به في كل البلاد،[2] وكانت صناعة النحاس قد بلغت مرتبة كبيرة من التقدم بالمغرب، فقد كانوا يصنعون من سلاسل النحاس المطلية بماء الذهب لجم الخيل التي تصدر إلى بلاد السودان. [3] وتصدر إلى مملكة غانا النظم والأصداف والأحجار من منطقتين هما : مرسى الخرز وسبتة، وكانت صناعة الخرز لأجل تجارة السودان صناعة هامة وهي على أنواع كثيرة، اشتهر منها ما يصنع من زجاج ضارب إلى الزرقة مختلط الألوان.[4]

هذا كما كانت غانا على علاقة تجارية ببلاد الأندلس، ويتضح لنا ذلك من خلال بعض المصادر التاريخية التي توضح لنا تلك العلاقة، فقد ذكر المقري التلمساني (في معرض حديثه عن الوافدين على الأندلس من المشرق) أن الشيخ تاج الدين بن حموية السرخسي قال في جواب رسالة إلى ملك غانا ينكر عليه تعويق التجارة فذكر ذلك بقوله : " نحن نتجاوز بالإحسان وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتآلف على الرفق بالرعية، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، والجور لا تعطيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة، وقد بلغنا احتباس مساكن التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكين من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من جهتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي بمثله والسلام".[5]

---

(1) البكري: المغرب، ص156.
(2) البكري: الممالك والمسالك، ج2، ص854.
(3) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص59.
(4) محمود طه أبوالعلاء: المسلمون في أفريقية، ص112.
(5) أحمد بن محمد التلمساني المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت، 1986، ص105.

فهـــذه الديـــباجة تكشف لنا عن الكيفية التي تتم بها المبادلة التجارية، والتـــي كانت مستعملة في تلك الفترة، وأهم شيء يتضح لنا من ذلك هو مدى الاتصال والامتزاج بين مملكة غانا وبلاد الأندلس.



شكل رقم (22)

طرق القوافل الرئيسية في غرب أفريقيا وبعض سلع التبادل في العصور الوسطى

المصدر : إبراهيم طرخان : إمبراطورية غانا ، ص73

الخـــاتمـة

لقد اتضح لنا من خلال فصول الدراسة أن مملكة غانا تعد من أولى الممالك الإسلامية بمنطقة غرب أفريقيا، والتي استضاءت شعوبها بنور الإسلام منذ أمد ليس بالقصير، وذلك عن طريق الهجرات العربية التي جاءت من الشمال الأفريقي، حيث كان للعرب فضل كبير في كشف القارة الأفريقية، فهم الذين سبقوا غيرهم من الأمم إلى اكتشاف أفريقيا جنوب الصحراء، وارتادوا مجاهلها.

ويمكن إجمال ما تمخضت عنه هذه الدراسة من نتائج ما يلي : -

1. إن ما تميزت به مملكة غانا من طبيعة جغرافية هامة متمثلة في خصوبة تربتها، ووفرة مياهها ومعادنها، كانت عامل جذب لاستقطاب العديد من المجموعات البشرية عبر الصحراء الكبرى، التي لم تكن في يوم من الأيام عائقاً للتواصل الحضاري بين أبناء شمال القارة وجنوبها، بل كانت منافذها ومسالكها وطرقها عامل جذب، ومنطقة حية، وجسر تعبره الأجيال في حركة مزدوجة منذ قرون عديدة.
2. إن الإسلام قد عم انتشاره في كثير من المدن والمراكز الكبرى بمملكة غانا الإسلامية، وكان ذلك على عاتق نفر من التجار المسلمين الذين كان لهم دور كبير في ربط شمال أفريقيا بجنوبها، فقد كان هؤلاء التجار في تنقلاتهم بين المراكز التجارية يختلطون بإخوانهم الأفارقة، ويؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصي، وأمانتهم ونظافتهم، وكثيراً ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول كثيرين من الأفارقة في الإسلام. فقد كان بعض أولئك التجار يجمع بين التجارة والعلم، فإذا استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن والعبادة، كما أنهم كانوا يستقدمون العديد من الفقهاء والعلماء لتعليم وتثقيف الأفارقة بأمور دينهم ودنياهم، وشرح ما يستوجب شرحه من العقيدة الإسلامية، والعمل على إعلاء كلمة الله.

وبالتالـــي فإن قدوم أعداد كبيرة من التجار والفقهاء المسلمين قد لعب دوراً هاماً في ترسيخ العقيدة الإسلامية، وأدى هؤلاء واجبهم في نشر دينهم، والتفوا حول الملوك والأمراء ورؤساء القبائل، وحببوا لهم الدين الجديـــد، ممـــا نتج عنه أن اعتنق غالبية الشعب الغاني الإسلام، الأمر الذي أدى إلى تميز مملكة غانا بحماس ديني لا نظير له.

كما ظهر إلى جانب هؤلاء التجار والدعاة قوة أخرى كان لها دور هام وواضـــح فـــي هذا المجال وهي حركة المرابطين، فعندما قامت هذه الحـــركة في السودان الغربي دفعت عجلة انتشار الإسلام دفعات قوية إلى الأمام، إذ تعتبر هذه الحركة الإسلامية من أولى الحركات المتتالية التـــي أدت إلى تنمية وتعميق انتشار الإسلام بمملكة غانا، حيث خلقت من قبائل صنهاجة بقيادة الفقيه عبد الله بن ياسين دعاة للدين الإسلامي، وكـــان مـــن نتائج تلك الحركة نشر الثقافة العربية الإسلامية ومن ثم ازدهار حركة التعليم التي أدت إلى تأسيس المراكز العلمية، مثل مدينة تمبكـــت والتـــي أنشئت في عهد الأمير يوسف بن تاشفين 490 هـــ/ 1096م وغـــيرها من المراكز، فبلغت مكانة كبيرة في الثقافة العربية الإســـلامية حـــتى أنهـــا لا تقـــل مكانة عن غيرها من مراكز الشمال الأفريقي.

كمـــا تبين من الدراسة أنه بدخول الإسلام والحضارة الإسلامية لمملكة غانـــا اســـتقرت مجموعـــات كثيرة من تجار الشمال الأفريقي، حيث انعكســـت آثـــاره الإيجابية على جميع أساليب الحياة في هذه المملكة، فخفـــت بوجـــوده – الإســـلام- حـــدة التـــناحر والصراع بين القبائل والعشـــائر، وتمـــت المصـــاهرات بين الجانبين، كما ارتبط العديد من أســـماء ملوك غانا بملوك الشمال الأفريقي، وهذا يدل على أن غالبية مـــن حكـــم هـــذه المنطقة من السودان الغربي قد تأثروا بدرجة كبيرة

بعرب شمال أفريقيا، وأخذوا يطلقون الأسماء العربية على أبنائهم الذين أصبحوا ملوكاً فيما بعد.

هـذا كمـا اختفت بعض العادات المشينة في المنطقة، والتي لا تمت للإسـلام بصـلة كعـادة العُرْي، حيث انتشر الزي الإسلامي الأبيض اللون، كما انتشر لبس العمائم، هذا كما اختفت ظاهرة نسب الفرد إلى أمـه، وأصبح يسمى باسم أبيه، في الوقت الذي حافظ فيه الإسلام على مكانـة المـرأة الاجتماعـية، كما ارتبطت المدن الغانية بمدن الشمال الأفريقي في تخطيطها وعمارتها ونظام أسواقها.

3. أثبتـت الدراسة أن التأثير العربي الإسلامي كان لـه دور إيجابي في الحـياة السياسية لمملكة غانا الإسلامية فقد أدى اعتناق عدد كبير من شـعوب المملكـة للإسلام وتمثلهم للثقافة العربية الإسلامية إلى خلق نـوع مـن التماسـك والـترابط وبين الشمال الأفريقي حيث شهدت العلاقـات السياسـية بين مملكة غانا والشمال الأفريقي قمة مجدها، وسـعت كل الدول التي قامت في المغرب العربي إلى تقوية صلاتها بغانـا، مـثل دولـة المرابطيـن، وبنـي مدرار، والدولة الرستمية، والأدارسـة، وغيرها من الدول وذلك عن طريق سياساتها الخارجية التـي لعبـت دوراً هاماً في تحسين العلاقات لضمان حرية وسلامة مـرور القوافل التجارية عبر حدودها، كما تم إرسال الوفود والسفراء إلـى مملكة غانا التي كانت مهيأة لتلك العلاقات. فقد كان ببلاط غانا بعض كبار الموظفين الذين ساهموا وساعدوا على تقوية هذه العلاقات الأمر الذي مكن العروبة والإسلام في تلك المنطقة من غرب أفريقيا، وسادت اللغة العربية والثقافة الإسلامية بها.

4. أوضـحت الدراسة اهتمام سكان مملكة غانا بالحياة الاقتصادية والتي تعـد مـن الـروافد الأساسـية لسكان البلاد، حيث إنه تنوعت فيها

المنتوجات الزراعية والتي من بينها الحبوب والخضروات والفواكه، كما وجد بها العديد من المعادن وعلى رأسها الذهب، حيث يعتبر الشريان الرئيسي للتجارة، والتي كانت هي العمود الفقري في نقل التأثير العربي الإسلامي للملكة فقد كان المركز السياسي يتبع دائماً مركز الثقل الاقتصادي وذلك لأن السيطرة على التجارة الداخلية والخارجية كانت من المقومات الرئيسية المساعدة في توطيد دعائم مملكة غانا مع غيرها من دول الشمال الأفريقي الأمر الذي ساعد على الرخاء الاقتصادي وجلب المنسوجات والأقمشة من الخارج والتي كان لها الأثر الكبير في محافظة المواطنين على التستر بالثياب والمحافظة على نظافتهم حسب منطوق التعاليم الإسلامية.

5. وكان من الممكن أن تستمر سطوة غانا ومكانتها الإسلامية لولا العديد من العوامل التي أدت إلى انهيارها، فقد كان أول تلك العوامل هو العامل الطبيعي والذي بدأ قبل القرن الحادي عشر، وهو الجفاف التدريجي الذي حل بالمناطق الواقعة شمالي حوض السنغال، مما حمل الناس على الهجرة والتفرقة.

أما العامل الثاني : وهو انهيار حكم المرابطين السريع بمملكة غانا وعودة الخلافات بين القبائل الصحراوية -جدالة ولمتونة ومسوفة-، فموت أبي بكر أبن عمر عام 480 هـ/ 1087 م، واختلاف أتباعه فيمن يحكم بعده، وانشغالهم بأمور المغرب الأقصى، جعلت المرابطين يتخلون عن العمل العظيم الذي قاموا به وراء الصحراء وفي خضم هذه الأوضاع السيئة استطاعت القبائل السوننكية والقاطنة في إقليم الصوصو من استعادة استقلالها بعد أن سنحت لها الفرصة، ورفضت أن تدفع الجزية لغانا.

وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي استولى أحد أباطرة الصوصو وهو سومانجورو على العاصمة كومبي صالح عام 600 هـ/ 1203 م، وبذلك

أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين، فتفرقوا في البلاد، كما أن عدداً مـــن المسلمين من سكان العاصمة الغانية اتجهوا إلى مدينة ولاته، حيث أقاموا مركــزاً تجاريـــاً، وســـرعان ما ازدهرت هذه المدينة حتى صارت من أعظم المراكـــز الـــتجارية في السودان الغربي، وبعد أن فرض سومانجورو سيطرته وسع إمبراطوريته وتوجه نحو الجنوب حيث دولة الماندنيجو النامية في كانجايا، وهـــي التي اشتهرت باسم إمبراطورية مالي، حيث قتل جميع أبناء الملك ناري فامغـــان الأحـــد عشر، ونجا أصغرهم المشهور في التاريخ باسم ماري جاطة (ســـندياتا كيـــتا مؤســـس إمـــبراطورية مالي) الذي قضى على إمبراطورية الصوصو وذلك بعد واقعة حربية فاصلة في عام 633 هـ/ 1235م.

وفـــي عـــام 639 هـ/ 1240م استطاع أن يحرر المنطقة كلها، ويمد فتوحاته شمالاً حتى بلغ غانا واستولى عليها واستبدل اسمها باسم إمبراطورية مالي.

قائمة

المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطات : ـ

- الدرجيني، أبوالعباس أحمد (السابع هـ- الثالث عشر الميلادي) :
- طـبقات الإباضـية، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة، رقم 12561.
- الشماخي، أبوالعباس أحمد بن سعد (928 هـ- 1522م) :
- كتاب السير، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة، تاريخ 769.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن (346 هـ- 958م) :
- أخـبار الزمان ومن أبادة الحدثان وعجائب البلدان، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة، مجلد 879.

ب ـ مصادر باللغة العربية : ـ

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (630 هـ- 1232م) :
- الكـامل فـي التاريخ، ج4. 8 ، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (649هـ- 1251م) :
- نـزهة المشـتاق فـي اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية.
- الاصطخري، ابن اسحاق إبراهيم الفارسي (350هـ- 961م) :
- المساك والممالك، تحقيق محمد الجيني، دار القلم، 1961م.

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (779هـ- 1377م) :

- رحلة ابن بطوطة، المكتبة التجارية الكبرى، 1964م.

- البكري، أبو عبيد الله (487هـ- 1094م) :

- المسالك والممالك، تحقيق إدريان فان ليوفن، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.

- المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة المثني، بغداد.

- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (279هـ- 892م) :

- فتوح البلدان، المكتبة التجارية، القاهرة، 1932م.

- التنبكتي، محمود كعت (العاشر هـ- السادس عشر الميلادي) :

- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، هوداس، باريس، 1964م.

- التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد (706هـ- 1307م) :

- رحلة التيجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1958م.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم (866هـ- 1462م) :

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980.

- ابن حوقل، أبو القاسم النصبي (380هـ- 990م) :

- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

- ابن خردادبه، أبي القاسم عبد الله بن عبد الله (300هـ- 912م) :

- المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد.

- ابن الخطيب، أبوعبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين (766هـ-1374م):
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلـك من شجون الكلام، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ج1. 2. 3، جالرمو، 1910م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ- 1405م) :
- المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد، ج6، ط2، لجنة البيان، 1965م.
- العـبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصـرهم مـن ذوي السـلطان الأكبر، ج6.4، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.
- ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد (681هـ- 1282م) :
- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج7، دار الثقافة، بيروت، 1971م.
- ابن خياط ، أبو عمر خليفة (240هـ- 854م) :
- تـاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط2 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977م.
- الدرجيني، أبي العباس (السابع هـ- الثالث عشر الميلادي) :
- طـبقات المشـائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم صلابي، ج2، مطبعة البحث.
- الدمشـقي، أبـو الفضـل جعفـر بن علي (السادس هـ- الثاني عشر الميلادي) :
- الإشارة إلى محاسن التجارة، طبعة المؤيد، 1318 هـ.

- الدمشقي، محمد بن أبي طالب الأنصاري (727هـ- 1326م) :

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد.

- ابن أبي دينار، محمد بن أبو القاسم القيرواني (1110هـ- 1698م) :

- المؤنس في تاريخ أفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي عبد الله (726هـ- 1325م) :

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، الرباط،1973م.

- السعدي، عبد الرحمن (1066هـ- 1655م) :

- تاريخ السودان، هوداس، باريس، 1964م.

- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعد (928هـ- 1522م) :

- السير الأباضية، طبعة قسطنطينة.

- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن (257هـ- 870م) :

- فتوح مصر وأفريقية، تحقيق محمد صبح، طبعة لندن، القاهرة، 1920م.

- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (333هـ- 940م) :

- طبقات علماء أفريقيا وتونس، تحقيق، نعيم حسن اليافي، الدار التونسية، تونس، 1968م.

- الغرناطي، أبوحامد محمد بن عبد الرحيم (566هـ- 1170م) :

- كتاب تحفة الألباب، نشر فرار، باريس 1925م.

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (732هـ- 1330م) :
- تقويم البلدان، ج1، باريس، 1840م.
- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن الهمذاني (290هـ- 902م) :
- مختصر كتاب البلدان، بريل، لندن، 1303 هـ.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (682هـ- 1283م) :
- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (821هـ- 1418م) :
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية العامة.
- مجهول (السادس هـ- الثاني عشر الميلادي) :
- الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958م.
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تونس.
- المراكشي، ابن عذارى (أواخر القرن السابع هـ- الثالث عشر الميلادي) :
- البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق إحسان عباس، ج1. 4، ط3، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1983م.
- المراكشي، عبد الواحد (621هـ- 1224م) :
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1949م.

- المغربي، أبو علي بن موسى بن سعيد (685هـ- 1286م) :
- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (1041هـ- 1633م) :
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج3، بيروت، 1968م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (845هـ- 1441م) :
- الإلمام بأخبار من بالحبشة من ملوك الإسلام، مصر، 1940م.
- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد (1315هـ- 1897م) :
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2. 5، الدار البيضاء، 1954م.
- الهمذاني، أبو بكر أحمد : - البلدان، مطابع بريل، لندن، 1986م.
- ابن الوردي، زين الدين أبوحفص (749هـ- 1348م) :
- تتمة المختصر في أخبار البشر، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1970م.
- الوزان، الحسن بن محمد (935هـ- 1540م) :
- وصف أفريقيا، ت. محمد صبحي ومحمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي للتأليف والترجمة والنشر، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (626هـ- 1228م) :
- معجم البلدان، ج 1. 2. 4، دار صادر، بيروت، 1957م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (282هـ- 895م) :
- كتاب البلدان، ملحق بكتاب الأعلاق النفسية لابن رستة، لندن 1891م.
- تاريخ اليعقوبي، المجلد الأول دار صادر، بيروت، 1960م.

جـ - المراجع : -

- إبراهيم، عبد الله عبد الرازق، وآخرون :

- دراســـات فـــي تـــاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1998م.

- الصـــوفية والمجـــتمع في غرب أفريقيا ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 1999م.

- أحمد، محمد عبد القادر :

- المسلمون في غينيا، ط1، القاهرة، 1986م.

- أرنولد، سير توماس :

- الدعـــوة إلـــى الإســـلام، ت. حسن إبراهيم حسن، وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

- أمين، محمد محمد :

- تطـــور العلاقـــات العربـــية الأفريقية في العصور الوسطى بحث منشـــور فـــي كتاب العلاقات العربية الأفريقية، دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، القاهرة.

- أيوب، محمد سليمان :

- جرمة في عصر ازدهارها، بحث منشور في كتاب ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، 1968م.

- بدوي، عبده :

- مـــع حركة الإسلام في أفريقيا " دراسة من خلال الدول التي قامت قبل الاستعمار، القاهرة، 1970.

- برايما باري، عثمان :

- جـذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

- البرغوتي، عبد اللطيف محمد :

- التاريخ الليبي القديم، دار صادر، بيروت، 1971.

- البري، عبد الله خورشيد :

- القبائل العربية في القرن الثلاثة الأولى للهجرة، دار الكتاب العربي، 1967م.

- بصلي، الشاطر :

- تـاريخ وحضـارات السودان الشرقي والأوسط بين القرنين السابع والخامس عشر الميلادي، الهيئة المصرية للكتاب.

- بوفيل :

- الممـالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء، ت. زاهر رياض، القاهرة 1968م.

- تجـارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ت. الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م.

- التكتيك، جميلة امحمد :

- مملكـة سـنغاي الإسـلامية في عهد الأسيكا محمد الكبير 1493 – 1528، منشـورات مركـز جهـاد الليبيـن للدراسات التاريخية، الجماهيرية، 1998م.

- الجنحاني، الحبيب :

- المغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 1980م.

- جودة، جودة حسن :

- جغرافية أفريقية الإقليمية، دار النهضة المصرية، بيروت 1996م.

- قـارة أفريقـيا (دراسـات في الجغرافيا الإقليمية)، دار المعرفة الجامعية، 1999م.

- جوزيف، جون :

- الإسـلام فـي ممـالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، ت. مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة.

- جوليان، شارل أندرية :

- تاريخ أفريقية الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب) من البدء حتى الفـتح الإسـلامي، ت. محمـد رمزالي، والبشر بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1969م.

- حركات، إبراهيم :

المغرب عبر التاريخ، ج1، ط2، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1984م.

- حسن، حسن إبراهيم :

- انتشـار الإسـلام والعـروبة فـيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1957.

- انتشـار الإسـلام فـي القـارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م.

- حسن، محمد إبراهيم :
- دراسات في جغرافية أفريقيا وحوض النيل، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997م.
- الجغرافيا الإقليمية والاقتصادية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998م.
- دافدسن، بازل :
- أفريقيا تحت أضواء جديدة،ت.جمال أحمد، دار الثقافة، بيروت.
- الدالي، الهادي :
- الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب أفريقيا، دار صنين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.
- التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18، الدار المصرية اللبنانية، 1998م.
- مملكة مالي وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الأفريقي من القرن 13 إلى القرن 15، ط2، 1999م.
- الدناصوري، جمال الدين :
- جغرافية العالم (أفريقيا، استراليا)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- دندش، عصمت عبداللطيف :
- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- رزق ، ماهر صبحي :
- غانا أرضاً وشعباً ودولة، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، الجماهيرية.

- رفلة، فيليب : -

- الجغرافيا السياسية لأفريقيا، ت. عزالدين فريد، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1966م.

- رياض، زاهر :

- تاريخ غانة الحديث، دار المعرفة، القاهرة.

- الزاوي، الطاهر أحمد :

- مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، 1983م.

- زبادية، عبد القادر :

- مملكة السنغاي في عهد الأسيقين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- زكي، عبد الرحمن :

- تاريخ الدول السودانية بأفريقية الغربية، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1964م.

- سالم، السيد عبد العزيز :

- المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

- ستوارد، لوثروب :

- حاضر العالم الإسلامي، ت. عجاج نويهض، المجلد الثالث، دار الفكر، 1971م.

- سعودي، محمد عبد الغني :

- أفريقية، مكتبة الأنجلو المصرية.

- السيد، محمود :
- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، 1999م.
- شلبي، أحمد :
- موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6، ط 4، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1983م.
- ضيدان، حميد دولاب :
- الجذور التاريخية للصلات العربية الأفريقية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، الجماهيرية، 1993م.
- الطحاوي، عنايات :
- أفريقية الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1970م.
- طرخان، إبراهيم علي :
- إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.
- دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
- طليمات، عبد القادر أحمد :
- سكان ليبيا عند اليعقوبي، ليبيا في التاريخ " المؤتمر التاريخي من 16 إلى 23 مارس "، 1968.
- الطيبي، أمين توفيق :
- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1984م.

- عباس ، إحسان :
- ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968.
- عباس، رؤف :
- العرب في أفريقيا، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1987م.
- عبد الحميد، سعد زغلول :
- تـــاريخ المغرب العربي – ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب منذ الفـــتح حتى قيام دولة الأغالبة والرستمين والأدارسة، دار المعارف، القاهرة، 1965م.
- عبد الظاهر، حسن عيسى :
- الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1981م.
- عبد الوهاب، حسن حسني :
- ورقـــات عـــن الحضـــارة العربية بأفريقية التونسية، مكتبة المنارة، تونس، 1964م.
- العربي، إسماعيل :
- الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، 1983م.
- أبو العلاء، محمد :
- الملامـــح العربـــية والتكويـــن الاجتماعـــي، بحث منشور في كتاب الجمهوريـــة الإســـلامية الموريتانية، المنظمة العربية للتربية والعلوم الثقافية، 1978م.

- أبو العلاء، محمود طه :

- المسلمون في أفريقية المدارية، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1999م.

- العماري، احمد :

- تــوات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1988م.

- عنان، محمد عبد الله :

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، 1964م.

- عوض الله، الشيخ الأمين :

- العلاقــات بيــن المغــرب الأقصى والسودان الغربي مالي سنغاي، المجمع العلمي، جدة، 1979م.

- أبو عيانة، فتحي محمد :

- جغرافــية أفريقية، دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار المعرفة الجامعية، 1995م.

- الغربي، محمد :

- بدايــة الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر.

- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد :

- حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، مصر.

- غيث، أمطير سعد :

- التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد، 1996م.

- فخار، إبراهيم :
- تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984م.
- فليجة، أحمد نجم الدين :
- أفريقية دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة.
- الفيتوري، عطية مخزوم :
- دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998م.
- فيج، دي، جي :
- تاريخ غرب أفريقيا، ت. السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، 1982م.
- فيرون، ريمون :
- الصحراء الكبرى، ت. جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963م.
- قداح، نعيم :
- حضارة الإسلام وحضارة أوربا في أفريقية الغربية، الجزائر، 1974م.
- أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1960م.
- كرد، محمد علي :
- الإسلام والحضارة العربية، ج2، القاهرة، 1354 هـ.

- كنون، عبد الله :

الينـــبوع المغربـــي في الأدب العربي، ج1، ط2، دار الكتاب اللبناني، 1960م.

- محمد، محمد عوض :

- الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- محمد، نبيلة حسن :

- في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية.

- محمود، حسن أحمد :

- قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1975م.

- الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة.

- المزيني، صالح مصطفى :

- ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994م.

- معمر، علي يحيى :

- الأباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، 1964م.

- المغربي، محمد أحمد :

- موريتانيا ومشاغل المغرب الأفريقية،الرباط،1964م.

- مقلد، محمد يوسف :

- موريتانيا الحديثة، دار الكتاب اللبناني، 1960م.

- منصور، محمد صالح :

- العلاقـــات بيـــن المرابطيـــن وملـــوك الطوائف، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1995م.

- نصحي، إبراهيم :
- مصر في عصر البطالمة،ج1، ط3، القاهرة، 1966م.
- هودكين، توماس :
- ممــالك الســودان الغربي – مقال من كتاب فجر التاريخ الأفريقي لطائفة من الأساتذة البريطانيين، ت.عبد الواحد الامباني، القاهرة.
- يانيكار، مادهو :
- الوثنــية والإســلام، ت. أحمــد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1995م.
- يونس، عبد الحميد :
- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي،القاهرة، 1956م.

د – الدوريات : -

- الجمل، شوقي :
- الحضارة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها، مجلة المناهل المغربية، نوفمبر، 1976م.
- الحرير، إدريس صالح :
- العلاقــات الاقتصــادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصــحراء وأثرها في نشر الإسلام هناك، مجلة البحوث التاريخية، العــدد الأول 1983 م، مركــز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- حسين، أحمد إلياس :
- الإســلام فــي مملكة غانا من خلال كتاب البكري المغرب في ذكر بــلاد أفريقــيا والمغــرب لأبــي عبيدالله البكري، مجلة الدراسات

- راشد، عبد العزيز :

- وسائل انتشار الإسلام في أفريقية، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد السادس، فبراير 1990 م، المركز الإسلامي الأفريقي.

- زمامة، عبد القادر :

- أبو عمران الفارسي، مجلة البينة، العدد الثالث، 1962 م، الرباط.

- طرخان، إبراهيم علي :

- غانا في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مجلد 13، 1967م، القاهرة.

- الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثاني، 1969م.

- الطيبي، أمين توفيق :

- دور المرابطين في انتشار الإسلام في السودان الغربي، مجلة الثقافة العربية، العد الثاني، 1987 م، مؤسسة الثقافة الجماهيرية.

- العبيدي، عبد العزيز :

- مراكز الحضارة في السودان الغربي، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الرابع، مارس 1988 م، المركز لإسلامي الأفريقي.

- العراقي، السير سيد احمد :

- انتشار الإسلام واللغة العربية في غرب أفريقيا عبر التاريخ، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الأول، يوليو 1985م، المركز الإسلامي الأفريقي، الخرطوم.

- الفيتوري، أحمد :

- الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة الثالثة، 1981 م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

- مجهول :

- محاضرات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

- محمود، حسن أحمد :

- المرحلة الأفريقية من تاريخ المرابطين، المجلة التاريخية المصرية، مجلد 12، 1964.

- مؤنس، حسين :

- فـــزان ودورها في انتشار الإسلام، مجلة كلية الآداب، العدد الثالث، 1969م، بنغازي.

- موسى، لقبال :

- مـــن قضـــايا الدولـــة الرستمية الكبرى، مجلة الأصالة، العدد 41، 1971م.

هـ – الرسائل العلمية : –

- جوب، إبراهيم موسى :

- انتشـــار الإسلام وتأثيره على تطور العلاقات الفولانية العربية حتى القرن التاسع عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الفاتح، الجماهيرية، 1999 – 2000.

و- المراجع الأجنبية : -

- Awe, Balone. Empires of Western Sudan, A thousand Years of West African History, Ibadan Univ. Press Ibadan, 1967.
- Blyden, Edward. W. Christianity, Islam and the Negro Race. Edinburgh, Att Hha Un. Press Great Britain, 1967.
- Bovill, E.V. The Golden Trade of The Moors, London, 1958.
- Chantler, Clyde. The Ghana Story. Linden, Press, 1971.
- Davidson, Basil. Old Africa, Rediscovered. Longman, Group Limited, London, 1970.
- Dickson, Kwamina B. : A historical Geograph of Ghana. Cambridge Un. Press, 1964.
- Fage, J. D. Ghana A historical Interpretation. Un. Wisconsin Press, 1966.
-

  (Paris, 1900).
- Kup, Peter. A history of Sierraleone, 1400- 1787, Cabridrdge, Un. Press, 1962.
- Levtzion, Nehemia. Ancient Ghana and Mali Methuen & Co. Ltd. London, 1973.
- Marphy, J. History of African Civilization, New York, 1972.
- Ozanne, P. C. (Shinnie, P. L. ed) The African Iron Age. Clarendon, Press, Oxford, 1971.
- Trimingham , J. Spencer. Islam in West Africa, Oxford University Press, 1959.
- Ward, W. E. F. A history of Ghana. Ruskin House, George Allen and Unwin Ltd. London.

الملاحق

ملحق رقم (1)

نموذج من مخطوط أبي الحسن على المسعودي

(أخبار الزمان ومن أبادهُ الحدثان وعجائب البلدان)

توجد بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، مجلد رقم 879

نموذج من مخطوط أبي الحسن على المسعودي

(أخبار الزمان ومن أبادهُ الحدثان وعجائب البلدان)

ملحق رقم (2)

نموذج من مخطوط أبي الحسن أحمد بن سعد الشماخي

(كتاب السير)

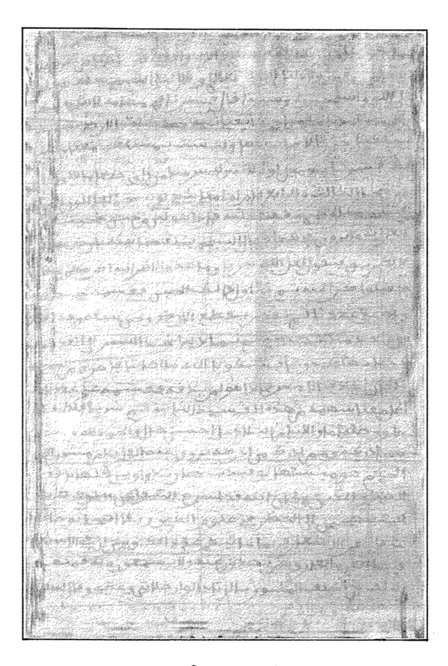
توجد بدار الكتب المصرية، القاهرة، مجلد رقم 769

نموذج من مخطوط أبي الحسن أحمد بن سعد الشماخي

(كتاب السير)

نموذج من مخطوط أبي العباس الشماخي

(كتاب السير)



ملحق رقم (3)

نموذج من مخطوط أبي العباس الدرجيني

(طبقات الأباضية)

توجد بدار الكتب المصرية، القاهرة، مجلد رقم 12561

نموذج من مخطوط أبي العباس الدرجيني

(طبقات الأباضية)

ملحق رقم (4)

نموذج يوضح مسافة المرحلة التي ذكرتها المصادر التاريخية بالكيلومتر.

ذكـــر إحســـان عباس في كتابه ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات أن المسافة ما بين مدينة طرابلس وبنغازي تقدر حوالي ثلاثين مرحلة.

ومـــن المتعارف عليه أن المسافة ما بين مدينة طرابلس وبنغازي تقدر بحوالي 1050 كم.

∴ 1050 ÷ 30 = 35 كـــيلو متراً أي أن المرحلة تساوي 35 كيلومتر تقريـــباً، كما ذكر أيضاً أن المسافة ما بين مدينة طرابلس ومدينة سرت تساوي 11 مرحلة.

ومن المتعارف عليه أن المسافة ما بين طرابلس وسرت تساوي 450 كيلو متراً تقريباً.

450 ÷ 11 = 40 كيلومتراً تقريباً.

∴ المرحلة تساوي 40 كيلو متراً تقريباً.

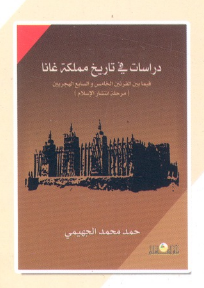
وبالإضـــافة إلى ذلك فقد ذكر عبد القادر أحمد طليمات في كتابه سكان ليبيا عند اليعقوبي أن المسافة ما بين مدينة تاورغا ومدينة طرابلس تساوي 6 مراحل.

فمـــن المتعارف عليه أن المسافة ما بين هاتين المدينتين تساوي 250 كيلومتراً تقريباً.

∴ 250 ÷ 6 = 41 كيلومتراً.

وبالتالي فإن المرحلة تساوي ما بين 35 إلى 41 كيلومتراً.

تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية
دار قباء الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
جمهورية مصر العربية
16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر
تليفاكس 02/22621365 - محمول 0123140315
E-mail : modern_qubaa@hotmail.com



يقدّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.



مجلس الثقافة العام